المجلد الأول

العدد الثانى ١٩٩٨

علوم اللغة

في هذا العدد :

- اللغة الأجريتية بنيتها وعلاقتها بالعربية.
- الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي.
- الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية.
- أنواع المورفيم في العربية.
- ظواهر الغموض ووسائل رفع اللبس في التراكيب العربية.



علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دوري

المجلد الأول | العدد الثانى | ١٩٩٨

الناشر

دار غريب

القاهرة



علــوم اللغــة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج١ ، ع٢ ١٩٩٨

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسـلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحـــتويات

تقديم

هذا هو العدد الثانى من هذه السلسلة المتخصصة فى علوم اللغة ، تركز على اللغة العربية ، وتنشر الدراسات الجادة فى بنيتها وقضاياها ، وتهتم بالتراث اللغوى العربى ، وترحب بالاتجاهات المعاصرة .

هدف هذه السلسلة أن تشارك فى النهوض بالبحث العلمى فى اللغة العربية . تضم دراسات فى الأصوات والصرف والنحو والدلالة والمعجم ، وترحب ببحوث فى علم اللغة المقارن وفى علم اللغة التقابلى وفى القضايا اللغوية المعاصرة . تتلقى من الباحثين أعمالا جادة بوجهات نظر مبتكرة وتوثيق علمى دقيق، ولا تقبل الكتابات التى لا تدخل فى هذا النسق.

البحوث التى تنشر فى هذه السلسلة سيكون لها حيز مناسب ، حتى يتمكن الباحث من التوثيق الكامل وتقديم الفكرة مدعمة ومدققا فيها . ولهذا نفضل أن يكون البحث الواحد بين خمسين صفحة ومائة صفحة ، وهو نمط جديد ثبت أنه يصل ببحوث علمية إلى مستوى طيب .

يخضع النشر فى هذه السلسلة لعملية تحكيم علمى دقيق ، اعتمادا على رأى كبار المتخصصين فى علوم اللغة فى الجامعات العربية والأجنبية . ونرجو أن يجد التحكيم العلمى مزيدا من القبول لدى الباحثين ، يتم التحكيم لصالح المستوى العلمى . وتجد ملاحظات المحكمين صدى طيبا عند أكثر الباحثين ، ويظل كل بحث منسوبا إلى صاحبه معبرا عن رأيه ودالا على جهده ، وهو وحده المسئول عن الدفاع عنه .

هذا النمط الجديد من السلاسل العلميـة المحكمة يعد بداية مهمة فى مجال علوم الـلغة ، يديـن بالفكرة - مـن حيث الشكـل - إلى زملاء أعزاء سـبقوا فأصـدروا من قبل دراسـات عربية وإسـلامية ، وزملاء بـادروا إلى نشر كـتب دورية تضم بحوثا علمية محكمـة فى مجالات المكتبات والمعلومات . وهو نمط يجـعل للنـاشرين الجاديـن مكانا فـى النشـر العلمـى المتخصـص على النـحو المعروف فى دول أوربـا وأمريكا حيث تصـدر دوريات علمية محـكمة فى دور نشر خاصة ، وذلك بعد تحكيم علمى ، ويفتح للباحثين آفاقا جديدة . وكل ما ينفق فى هذه السلسلة من جهد أو مال هدفه خدمة البحث العلمى بشكل يصل بنا إلى العمل المعمق الجاد الذى يقدم الجديد إلى المعرفة .

وتخطط السلسلة لإصدار أربعة أعـداد فى كل سنة ، وتعهد إلى أحد كبار الأساتـذة فى علوم الـلغة بـالإشراف على عـدد أو أكثر ، حـرصا على تـنوع الاتجاهات وتكامل الخبرات ، مع الالتزام بالموضوعية والتحكيم العلمى .

والأمل كـبير أن تكـون هذه الســلسلة الـفصليـة محقـقة لجانب مـن أمل المتخصصين فى علوم اللغة وأداة للتـواصل العلمى وتبادل الرأى من أجل مزيد من البحوث الجادة فى اللغة العربية .

أ.د. محمود فهمى حجازى

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

اللغة الأجريتية
بنيتها وعلاقتهما بالعربية (*)

أ . د. محمود فهمي حجازي

أولا : الإطار العام :

١ - إعادة تصنيف اللغات فى ضوء الكشوف اللغوية :

أ) يهدف علم اللغة المقارن إلى كشف العلاقات بين اللغات المنتمية إلى فصيلة لغوية واحدة . وكان تعرف علاقات اللغات المسماة بالسامية هدفا من أهداف علم اللغات السامية المقارن فى الجامعات الأوربية - علىوجه الخصوص - فى القر ن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين . وبفضل جهود نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣٠)[١] وبروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦)[٢] وغيرهما أمكن رسم ملامح هذه الفصيلة اللغوية وتحديد أفرعها وتصنيف كل لغة وكل لهجة منها فى داخل فرع محدد . الأكادية تمثل الفرع الشرقى ، وتضم مستويات لغوية شتى بابلية وآشورية ، والعبرية والفينقية ثم الآرامية بلهجاتها ومستوياتها المتعددة تشكل الفرع الشمالى الغربى ، أما العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية فتمثل الفرع الجنوبى الغربى من اللغات السامية ، وظل هذا التصنيف مقبولا فى ضوء سمات لغوية تشترك فيها اللغات واللهجات والمستويات اللغوية

* قدّم هذا البحث إلى المؤتمر السنوى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى مارس ١٩٩٨

١ - انظر عن جهود نولدكه:

Th. Nöldeke, Beiträge und neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, 1904 - 1910 Strassburg, Neudruck 1982 in APA - Philo- Press, Amesterdam.

٢ - انظر العمل الأساسى لبروكلمان:

C. Brockelmann, Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, I, II, Berlin 1907 - 1913.

المتعددة فى داخل كل فرع لغوى ، وتميزه - أيضا - عن الفرعين الآخرين ، وعلى أساس الاشتراك فى مجموعة من السمات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية كلها أو بعضها يتحدد الانتماء .

ب) كان اكتشاف اللغة الأُجَرِيتيَّة فى أطلال مدينة قديمة بالقرب من رأس شمرا فى سورية سنة ١٩٢٩ بداية طرح جديد لهذه المشكلة . لقد وُجدت هذه اللغة فى آلاف النقوش فى موقع واحد يقع على الساحل السورى الشمالى ، وعُرفت منسوبة إلى مدينة أُجَرِيت التى وجد اسمها مدونا فى عدد من هذه النقوش . وأدى فك رموز هذه النقوش إلى اكتشاف أنها حروف أبجدية ، لكل حرف منها دلالة محددة على صوت مفرد . وتعرف الباحثون زمن هذه النقوش ، فكانت كلها من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وإن كانت بعض نصوصها الأدبية تمثل تراثا أقدم من ذلك التاريخ ، رُوِى شفاها ، ثم دُوِّن فى النقوش بعد ذلك .

جـ) إنّ تحديد انتماء اللغة الأُجَرِيتيَّة وغيرها إلى فصيلة لغوية محددة يقوم على تعرف خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، ثم بحث مدى الاتفاق والاختلاف بين هذه الخصائص من جانب واللغات القريبة منها من الجانب الآخر ، لقد ثبت أن الأجريتية لغة سامية ، ولا تنتمى إلى فصيلة أخرى من فصائل اللغات فى العالم القديم . ولكن اللغات السامية لها أفرع متعددة ، ولما كانت الأُجريتية قد اكتشفت فى بلاد الشام فكان أقرب الفروض هو بحث مدى قربها أو بعدها عن العبرية والفينيقية لأنهما كانتا أيضا فى بلاد الشام ، وكان هذا الفرض قريبا من الفكر اللغوى لباحثين أوربيين تخصصوا فى اللغات السامية ، ولهم صلة وثيقة بدراسات العبرية التى كانت بداية تعلم اللغات السامية بالنسبة لكثير منهم ، ولها معاجمها المتقنة وبحوثها النحوية المفصلة المدونة باللغات الأوربية الكبرى ، ولذلك ظل أكثر المهتمين بالأجريتية

من العلماء المتخصصين فى دراسات النص العبرى للعهد القديم ، ووجدوا فيها - كما وجدوا من قبلُ في لغات سامية أخرى - مادة مفيدة لفهم العبرية القديمة . ومع هذا فلم يتفق الرأى على انتماء الأجريتية ، وعدّها بعض الباحثين أقدم اللغات الكنعانية وفسّروا من خلالها صيغا عبرية كثيرة[٣] ، وجعلوها الشكل الأقدم الذى نُجِمَتْ عنه العبريةُ عبر تغيرات محددة ، وجعلها باحثون آخرون فرعا لغويا مستقلا فى داخل فصيلة اللغات السامية . وهدف هذا البحث إعادة النظر فى هذا الموضوع برؤية جديدة تقوم على بحث بنية الأجريتية من حيث مدى قربها أو بعدها عن العربية ، وذلك من حيث الأصوات وبنية الكلمة ، والمفردات،مع التركيز على السمات الفارقة التى تحدد انتماء اللغة إلى فرع بعينة وليس على السمات المشتركة فى بنية اللغات السامية كلها[٤] .

د) يعتمد هذا البحث بالنسبة للمادة اللغوية الأجريتية على عملين أساسين هما :

- C. Gordon , Ugaritic Textbook, Grammar, Texts in Transliteration, Cuneiform selections, Glossary and Indices, Roma 1965.

- J. Aistleitner, Wörterbuch der Ugaritischen Sprache,Berlin 1963.

وذلك بالإضافة إلى الأعمال الأساسية فى علم اللغات السامية المقارن[٤].

٣- انظر: J. Aistleitner, Untersuchungen zur Grammatik des Ugaritischen, Berlin 1945.
R. Meyer, Hebräische Grammatik, I Einleitung, Schrift - und Lautlehre, Berlin 1996.
وفيه إفادة واضحة من الأجريتية فى تحليل جوانب كثيرة من عبرية العهد القديم، انظر مثلا الصفحات: 103, 97, 92, 48.

٤- فى هذا الموضوع انظر:
- J. Friedrich, Kanaanäisch und Westsemitisch, in : Scientia 84, 1949, s.226. ff.
- H. Goeseke, Die Sprache der semitischen Texte Ugarits und Jhre Stellung innerhalb des Semitischen, Wissenschaftliche Zeitschrift der Martin Luther Universität, / Halle Wittenberg 1958, 622 - 652.

٢ - الكتابة الأجريتية ودلالتها الصوتية :

أ) الكتابة الأجريتية ذات أشكال مسمارية مدونة على ألواح طينية ، وجد الباحثون فيها أبجدية متكاملة ، لكل صوت مفرد فى اللغة رمز واحد يدون به ، تضم هذه الرموز كل الصوامت مع تنوع فى تدوين الهمزة المفتوحة والهمزة المكسورة والهمزة المضمومة فلكل منها رمز كتابى مستقل ، وبذلك وصل عدد هذه الرموز إلى ثلاثين رمزا ، ترتيبها طبقا لما ورد فى عدة ألواح هو على النحو التالى : الألف (المفتوحة) ، الباء ، الجيم ، الخاء ، الدال ، الهاء ، الواو ، الحاء ، الطاء ، الياء ، الكاف ، الشين ، اللام ، الميم ،الذال ، النون ، الظاء ، السين ، العين ، الباء ، الصاد ، القاف ، الراء ، الثاء ، الغين ، التاء ، والكسرة ، والضمة ، والسين الجانبية ، وهذه الحروف الثلاثون يرمز أكثرها إلى الصوامت ، أما استخدام رموز الكسرة والضمة و الفتحة ، فكان فى حالات محدودة ، وذلك عند تدوين الكلمات الدخيلة من اللغات غير السامية ولتدوين كلمات أكادية أحادية المقطع ، وبهذا كان للأجريتيين فضل تطوير نظام الكتابة الصوتية على أساس الأصوات المفردة ، وهو الأساس الذى قامت عليه أكثر النظم المتداولة فى كتابة اللغات فى أكثر أنحاء العالم .

يختلف نظام الكتابة الأجريتية (١٤٠٠ ق.م.) عن النظام المقطعى الذى كان مُطَبَّقًا من قبلُ فى تدوين الأكادية (٢٥٠٠ق.م.).كان للأجريتيين دور حاسم فى تبسيط نظام الكتابة واختراع الكتابة بالحروف وتدوين اللغة بها ، اى ابتداع نظام للكتابة برموز يعبر كل رمز واحد منها عن صوت مفرد معين ، كانت بذور هذه الفكرة فى تدوين بعض الأصوات المفردة توجد فى كتابة اللغة المصرية القديمة ،فقد دُوِّنت بعض الأصوات بحروف بالإضافة إلى الرموز الصورية المعنوية ، ولكن هذه العلامات الإضافية لم تتحول إلى نظام كامل للتدوين .

ب) يرتب الباحثون المحدثون فى دراستهم للأُجَرِيتيَّة هذه الحروف ترتيبا معدّلا ومماثلا لترتيبها فى العبرية والسريانية ، وهو أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ، مع إدخال باقى الحروف الأجريتية فى سياق الترتيب ، وبذلك يكون الترتيب الكامل للحروف الأجريتية عند الباحثين لأغراض الوضوح والتيسير ما يأتى :

- الألف مع إحدى الحركات (الفتحة ثم الكسرة ، ثم الضمة)
- ب ، جـ ، د (+ ذ) ، هـ ، و ، ز ، ح (+ خ) .
- ط (+ ظ) ، ى ، ك ، ل ، م ، ن ، س (+ سين جانبية) .
- ع (+غ) ، پاء مهموسة ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت (+ ثاء).

وقد ورد ترتيب الحروف طبقا للنظام الأبجدى مدونا فى نقوش أجريتية يبدو أنها كانت لأغراض تعليمية ، وهذا الترتيب مُوَثَّق بعد ذلك فى العبرية القديمة والآرامية .

جـ) كان انتقال فكرة الأبجدية التى ابتكرها الأجريتيون إلى أكثر أنحاء العالم القديم عن طريقين ، أخذها اليونان من خلال علاقاتهم بالفينيقيين وعنهم دخلت إلى أوربا ، وانتقلت إلى كل شعوب بلاد الشام فدونت بها العبرية والفينقية والآرامية ، وعدّلت أشكال الحروف - بعد ذلك - فى تدوين السريانية ، وعرف عرب الجزيرة العربية نظام الكتابة عن النَّبَط فى تخوم بلاد الشام ، فكتبوا العربية بالحروف المفردة ، يدل الرمز الكتابى المفرد على صوت معين واحد .

كما استخدم العرب أيضا الترتيب المتداول للحروف عند شعوب الشام قُبَيْل ظهور الإسلام ، الألف أول الحروف والتاء آخر الحروف ، ثم أضاف العرب بعد ذلك ستة أحرف فى العربية ، لا توجد بوصفها وحدات صوتية فى العبرية والآرامية ، وهى ث خ ذ ، ض

ظ غ . وأطلقوا عليها - كما ذكر ابن النديم - اسم الرَّوَادِف[٥] . وبذلك اكتملت منظومة الحروف العربية فى ترتيبها الأبجدى : أبجد ، هوز ، حطى،كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ ، وظل هذا الترتيب مستخدما وحده ، إلى أن تم تعديله بوضع الحروف العربية المتشابهة خطا متجاورة ومميزة بالشكل . وهذا مع الإعجام الذى تم بجهود نصر ابن عاصم ويحيى بن يعمر فى القرن الأول الهجرى ، وبذلك نشأ الترتيب الهجائى المتداول حتى اليوم .

٣ - قضية موقع الأجريتية بين اللغات السامية

أ) أفاد اللغويون فى فك رموز الكتابة الأجريتية وفى فهم كلماتها من العبرية والعربية واللغات السامية الأخرى . وطرحوا التساؤل العلمى عن موقع اللغة الأجريتية فى إطار هذه اللغات ، ولم ينل الفرض القائل بأنها فرع مستقل فى نسق فصيلة اللغات السامية إلا اهتماما محدوداً . وكان تخصص أكثر المشتغلين بالأجريتية فى العبرية القديمة دافعًا إلى فرض أن الأجريتية تمثل أقدم مرحلة من الفرع الكنعانى الذى يضم - أيضا - العبرية والفينيقية . ولم تطرح قضية العلاقة الوثيقة مع العربية ومدى أثرها فى تحديد موقع الأجريتية .

ب) يقوم الفرض القائل بالعلاقة بين الأجريتية والعبرية على مجموعة دراسات تناولت ما يأتى :

٥- انظر ابن النديم، الفهرست، بتحقيق فلوجل Leipzig 1871, ed. Flügel s. 3، وطبعة القاهرة ص١٢. وعبارة ابن النديم تُؤخذُ من جانبها الموضوعى: اختلف الناس فى أول وضع الخط العربى، فقال هشام الكلبى: أول من صنع ذلك قوم من العرب العاربة نزلوا فى عدنان ... ثم وجدوا بعد ذلك حروفاً ليست من أسمائهم، وهى الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين، فسموها الروادف.

١ - يوجد عدد من الكلمات فى النقوش الأجريتية وفى عبرية العهد القديم . ويلاحظ أن عددا كبيرا من هذه الألفاظ لا تختص باللغتين لأنها ألفاظ مشتركة فى اللغات السامية ، من ذلك : طَلٌ ، سماء ، ألف ، أرض ، عفر ، بيت ، حظر (بمعنى بلاط)[٦] ، حَلَب ، بَيَّن (بمعنى أدرك) ، عَالَم (بمعنى أبد) ، عنى (بمعنى أجاب) . وبغض النظر عن التغير الدلالى وتغيرات صوتية محددة ، فإن هذه الكلمات تدخل فى نسق كون الأجريتية لغة سامية ، ولا تنسبها بالضرورة إلى الفرع اللغوى الذى تنتمى إليه العبرية . أما المفردات المشتركة حقا بين الأجريتية والعبرية فنذكر منها فى الأجريتية : (ك س پ) بمعنى فضة ، (خ ر ص) بمعنى ذهب ، (ح مء ت) بمعنى زبدة .

٢ - الأجريتية أقرب إلى لغة الشعر العبرى منها إلى العبرية المألوفة فى باقى نصوص العهد القديم . ودليل ذلك الميل إلى عدم استخدام أداة التعريف فى لغة الشعر العبرى القديم ، وهذا ما يقرّبها من الأجريتية التى لم تعرف أداة للتعريف . وقد لاحظ باحثون قلة استخدام أداة التعريف فى الفينيقية ، وعلى ذلك جعلوا الأجريتية تمثل الشكل الأقدم ، - وبعد ذلك - لغة الشعر العبرى ، ثم الفينيقية ثم العبرية ، وهو ترتيب يبدو صحيحا بمراعاة توزيع الظاهرة ، ولكنه لا يدل على انتماء الأجريتية إلى ذلك الفرع ، فاللغات السامية لم تكن تعرف فى البداية أداة للتعريف ، الأكادية والأجريتية - وهما أقدم لغتين دُونتا من لغات هذه الفصيلة - لم تعرفا هذه الأداة ، وقد تكونت أداة التعريف فى اللغات السامية بطرائق مختلفة فى عصور تالية ، وأهمية هذه الملاحظة تجعلنا نؤرخ لتكوّن أداة التعريف بعد خروج الجماعة - التى عرفت بعد

---

٦ - ترتبط هذه الدلالة بمعني المنع والمكان الذي يحوطه سُور وما يماثله ويُحَرَّم علي غير أهله الدخول إليه ، يقتُصر عليهم ، وفي القاموس المحيط : "محظورا أي مقصورا على طائفة دون أخرى".

استقرارها باسم الأجريتيين - من موطنها الأصلى نحو سنة ١٤٠٠ ق.م. ومعنى هذا أن الجماعة السامية الأولى لم تعرف حتى ذلك التاريخ أداة للتعريف .

٣ - لم تعرف الأجريتية استخدام الواو القَالِبَة على النحو المألوف فى العبرية ، وهى الواو التى تسبق الفعل المضارع فتجعله دالا على الماضى . وهذا الفرق لا يدل على كونهما من فرع واحد ، بل تتيح النقوش الأجريتية مادة أكثر لدراسة الدلالة الزمنية للفعل فى تاريخ اللغات السامية . وإذا كان الباحثون قد لاحظوا عدم ورود الواو القالبة فى نصوص من الشعر العبرى القديم ، وذلك مثل المزمور ٦٨ الذى توجد له نصوص أجريتية مما ثلة . فإنهم من هذا الجانب استنتجوا أن الأجريتية ولغة الشعر العبرى القديم تحملان خصائص تعد أقدم من تلك الخصائص المألوفة فى العبرية القديمة .

٤ - دلت الرموز الأجريتية على نظام صوتى يقترب من النظام الصوتى المفترض للغة السامية الأم ، ويضم أصواتًا لا تُعد وحدات صوتية مستقلة فى العبرية ، منها الخاء والثاء . لاتعرف الأجريتية تحوّل الخاء والحاء إلى صوت واحد هو الحاء على نحو ما نعرف فى العبرية ، كما لا تعرف الأجريتية تحول الشين والثاء إلى صوت واحد هو الشين على نحو ما نعرف فى العبرية . ولكن بعض النصوص الأجريتية القليلة التى وجدت فى أماكن متباعدة من فلسطين تحمل خصائص صوتية تدل على هذين التحولين، وبذلك يقتربان من العبرية والفينيقية،وهذا الجانب الصوتى يجعل الأجريتية -بصفة عامة - أقرب إلى العربية ، ويمكن تفسير تلك النقوش القليلة فى اتجاهات شتى ، منها مثلا تأثير اللهجات الكنعانية الجنوبية فى بلاد الشام على كُتّاب هذه النقوش الأجريتية.

٥ - عرفت الأجريتية التَّعْدِية بالشين ، أى بوزن (شَفْعَل) ، ومن هنا تختلف عن

العبرية التى تعدّى بوزن (هَفْعل) والفينيقية التى تعدى أيضا بوزن (هفعل) . ومن هذا الجانب تشترك الأجريتية مع اللغات العربية الجنوبية ، ولكن وجود هذا الوزن فى لغات سامية شتى وفى المصرية القديمة والأكادية واستمراره أيضا فى المَهْرِيَّة مع بقايا منه فى العربية الشمالية يجعل من المناسب افتراض كونه قديما موروثا فى لغات الفصيلة الأفرو آسيوية .

٦ - الأجريتية لم تعرف نصوصها تحوّل الفتحة الطويلة إلى ضمة طويلة ، وهذا التحول سمة أساسية تحدد الانتماء إلى الفرع الكنعانى . إن النقوش الكنعانية التى وجدت فى تل العمارنة فى الزمن نفسه الذى دونت فيه النقوش الأجريتية عرفت هذا التحوّل الذى استمر أيضا فى العبرية والفينيقية . فى الأجريتية نجد (ر ء س) وفى الآرامية rēš، ولكننا نجد فى الكنعانية rōš . واحتفظت الأجريتية بالفتحة الطويلة مثل (ك س ا ت) بمعنى كراسى أو عروش ، فى حين نجد الصيغة العبرية بالضمة الطويلة . والواقع أن المقارنة هنا ذات أهمية واضحة ، فليس من اليسير أن ننسب الأجريتية - مع هذا الفرق الحاسم - إلى فرع لغوى واحد مع العبرية والفينيقية .

٧ - عرفت الأجريتية ظرفا دالا على الوجود (إ ث)، ومن هذا الجانب تتفق مع الآرامية i<u>t</u> والعبرية yēš ، بمعنى ثمة أو يوجد . ومن هذا استنتج بعض الباحثين انتماء الأجريتية إلى الفرع الشمالى الغربى من اللغات السامية .

٨ - الأجريتية عرفت تحوّل الذال إلى دال فى أمثلة معدودة ، على النحو المطرد فى الآرامية ، وهو تحوّل حدث فى مواقع مختلفة وفى ظروف متعددة،من ذلك كما حدث بعد ذلك بقرون فى بعض اللهجات العربية . ولكن هذا التحوّل لا يثبت بالضرورة ذلك الفرض بانتماء الأجريتية إلى الفرع الشمالى الغربى من اللغات السامية .

ونظرا لتهافت أكثر الأدلة التى يسوقها أصحاب الرأى بانتماء الأجريتية إلى الفرع الذى تنتمى إليه العبرية ، فإنه من الضرورى أن يعاد النظر فى بحث هذا الموضوع فى ضوء المقارنة مع العربية ، وذلك من حيث الأصوات وبناء الكلمة والمفردات .

ثانيا: الأصوات فى الأجريتية والعربية :

١ - الأصوات المشتركة فى اللغات السامية

تشترك الأجريتية مع اللغات السامية الأخرى فى احتفاظها بالأصوات التالية دون تغير : الباء ، الدال ، الزاى ، التاء ، الطّاء ، والصاد ، والحاء ، والهاء ، والنون ، والراء ، واللام ، والميم ، والياء ، والواو ، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

- كلمة (أب) من الألفاظ المشتركة فى اللغات السامية ، نجدها فى العربية والأجريتية بدلالتها الأساسية فى إطار علاقات القرابة وبدلالاتها المجازية والسياقية الأخرى .

- كلمة (آدم) اسم جنس يدل على الإنسان والبشر ، وهو فى العبرية ، والفينيقية بالمعنى نفسه ، أما فى العربية الجنوبية فمعناها خادم .

- كلمة (أ ب ر) بمعنى طار ، وهذه الحروف الأصول تكوّن منها فعل فى العبرية بمعنى ارتفع ، وفى السريانية ebrā ، بمعنى ريشة ، وفى الأكادية abru بمعنى ريشة طائرة .

- المادة (ت ن ن) بمعنى تنّين ، وتوجد فى العبرية وفى السريانية وفى العربية.

- المادة (ت هـ م) بمعنى عميق، ومن ذلك فى العربية تَهامة ونجدها فى العبرية وفى السريانية.

- المادة (ت ح ت) بمعنى تحت ، نجدها فى العبرية وفى السريانية وفى العربية والحبشية.

- المادة (ت م م / ت م) بمعنى اكتمل وتمّ ، توجد فى العربية والعبرية والسريانية. وكان وحود هذه المادة فى اللغات السامية وفى المصرية القديمة سببا لافتراض وجودها الأقدم فى اللغة الأفرو آسيوية الأولى .

- كلمة (ز ى ت) بمعنى زيت ، نجدها فى العربية والعبرية والسريانية، وفى الحبشية .

- كلمة (ط ل ل) بمعنى الطّل ، نجدها فى العبرية وفى السريانية،وفى الحبشية .

- المادة (ص د ق) ، نجدها فى العبرية وفى السريانية وفى العربية ، وفى الحبشية.

- كلمة (ل و ح) ، نجدها فى العربية والعبزية والسريانية ، وفى الحبشية .

وهذه الكلمات وما يماثلها كثير ، وكلها تثبت انتماء الأجريتية إلى اللغات السامية ، ولكنها لا تحدد انتماءها إلى فرع لغوى بعينه من أفرع هذه الفصيلة اللغوية.

٢ - الأصوات التى احتفظت بها العربية والأجريتية :

أ) احتفظت العربية والأجريتية وحدهما بصوت الثاء ، ولكنه تحوّل فى العبرية إلى شين ، وفى الآرامية ومنها السريانية إلى تاء . ويتضح هذا من الأمثلة الآتية :

- المادة (ث ق ل $\underline{t}$ q l) يقابلها فى العربية ثقل،أما فى العبرية فالكلمة بالشين ، وفى الآرامية بالتاء .

- المادة (ث غ ر $\underline{t}$ g r) يقابلها فى العربية ثَغْر، أما فى العبرية فالكلمة بالشين وفى الآرامية بالتاء مع قلب مكانى ، ومعناها فم أو باب أو ميناء .

- المادة (ث م $\underline{t}$ m) بمعنى هناك ، يقابلها فى العربية ثَمَّ ، وفى العبرية بالشين.

- المادة (ث ل ث $\underline{t}$ l $\underline{t}$) يقابلها في العربية ثلاث، أما فى العبرية فالكلمة بشينين، وفى الآرامية بتائين .

- المادة (ث و ر $\underline{t}$ w r) تدل على الثَّوْر ، كما وردت أيضا بدلالات مجازية ، و هذه الكلمة يقابلها فى العربية ثور ، وهى فى العبرية بالشين وفى الآرامبة بالتاء .

- المادة (ث ك ل $\underline{t}$ k l) يقابلها فى العربية ثكل ، وفى العبرية بالشين .

- المادة (ث ن ى $\underline{t}$ n y) بمعنى كرَّر ، ثنَّى ، يقابلها فى العربية ثَنَّى ، وهى فى العبرية بالشين ، وفى السريانية بالتاء .

- المادة (ث ى ن $\underline{t}$ y $\underline{n}$) بمعنى تبوّل ، ترتبط فى العربية بكلمة مَثَانة ، ويقابلها فى العبرية šēn ، وفى الحبشية šinäti .

- المادة (ث و ب $\underline{t}$ w b) تدل على العودة ، ويقابلها فى العربية ثاب/ يثوب. وهى فى العبرية بالشين وفي الحبشية بالشين. وكانت المقابلات فى اللغات السامية وفى المصرية القديمة وراء افتراض كونها من أصل ثنائى.

ب) تشترك العربية والأجريتية فى كلمات تتضمن صوت الثاء، ولم ترد هذه الكلمات إلا فيهما :

- كلمة (ث ع ل ب) لم ترد من بين اللغات السامية إلا فى العربية والأجريتية .

– كلمة (ث ع د) نادرة ، ويقابلها فى العربية : الثَّعْد الرُّطب أو بُسْر غلبه الإرطاب والغَضُّ من البقل .

– المادة (ث ر م) تدل على تناول الطعام وتقطيع اللحم على وجه الخصوص ، ويقابلها فى العربية ثَرَم انكسار السن من أصلها ، أو سن من الثنايا من الثنايا والرباعيات .

– المادة (ث م ر) بمعنى التمر ، ومنها فى العربية ثمر وأثمر .

جـ) احتفظت الأجريتية والعربية بصوت الذال على نحو كاد يكون مطردا ، ولكنه تحوّل فى العبرية والفنيقية إلى زاى وفى الآرامية إلى دال ، ويتضح هذا فى الأمثلة الآتية :

– المادة (ذ م ر) . بمعنى شجاع ، وهذه المادة موجودة مع التغير الصوتى فى العربية الجنوبيةوفى العبرية .

– المادة (ذ ر ع) . وكلمة ذراع من الكلمات المشتركة فى اللغات السامية ، توجد فى العبرية وفى السريانية . وفى الحبشية .

د) احتفظت الأجريتية بصوت الظاء ، ولكنه تحوّل فى العبرية والفينيقية إلى صاد ، وفى الآرامية إلى طاء .

– كلمة (ظ ب ي) . بمعنى ظَبْى ، وهذه الكلمة موجودة مع التغيز الصوتى فى العبرية ، وفى السريانية إلى صاد .

– كلمة (ظ هـ ر) بمعنى ظَهْر ، وهذه الكلمة موجودة مع التغير الصوتى إلى صاد فى العبرية .

– كلمة (ظ ل ل) ، بمعنى ظِلّ ، وهذه الكلمة موجودة مع التغيير الصوتى إلى صاد فى العبرية والآرامية.

هـ) على نحو ما حدث فى العربية منذ قرون فقد اتضح فى النقوش الأجريتية تداخل الظاء مع الضاد فى تدوين بعض الكلمات.كتبت كلمة (ض ح ك) مبدوءةبحرف الظاء .

و) تميز اللغتان الأجريتية والعربية وحدتين صوتيتين اثنتين للعين والغين ، وهو تمييز نادر فى اللغات السامية ، فقد جمعت أكثر اللغات السامية العين والغين فى وحدة صوتية واحدة .

أمثلة وجود الغين فى الأجريتية والعربية :

– المادة (غ و ر) بمعنى الغَوْر .

– المادة (غ ز ل) بمعني غزل (الصوف) .

– المادة (غ ل م) بمعنى الغلام الخادم ، وتوجد مبدوءة بالعين فى العبرية وفى السريانية . وفى العربية الجنوبية .

أمثلة العين فى الأجريتية والعربية ، ويقابلها عين فى العبرية والآرامية:

– المادة (ع ش ر) تدل على العدد عشرة .

– المادة (ع ت ق) بمعنى ترك ، أجاز .

– المادة (ع ر ش) بعنى سرير ، سُدَّة الملك ، عَرْش.

ز) تميز الأجريتية والعربية وحدتين صوتين للحاء والخاء ، وهو تمييز نادر فى

اللغات السامية ، فقد جمعتهما أكثر اللغات السامية فى وحدة صوتية واحدة .

أمثلة الحاء فى الأجريتية والعربية ولغات سامية أخرى :

- المادة (ح ب ل) يقابلها فى العربية الحبل الذى يربط به ، وتوجد فى العبرية ، وفى الأكادية وفى الحبشية .

- المادة (ح د ث) بمعنى حديث ، توجد مع التغير الصوتى للثاء إلى شين فى العبرية .

- المادة (ح ك م) بمعنى أصبح حكيما ، توجد فى العبرية وفى السريانية.

- المادة (ح ل ب) توجد فى العبرية .

- المادة (ح م ر) ، توجد فى العبرية وفى السريانية وفى الأكادية .

أمثلة الخاء فى الأجريتية والعربية،وفيهما لا تختلط الوحدة الصوتية للحاء مع الوحدة الصوتية للخاء . هذه الأمثلة بالخاء فى الأجريتية والعربية ، ولكنها بالحاء فى العبرية والسريانية

- الاسم (خ ز ر) يدل على الخنزير ، وهو فى العبرية hazzır

- المادة (خ رب) بمعنى خَرِب ، ولكن مقابلها فى العبرية بالحاء .

- المادة (خ ت ن) تدل على الزواج وما يتصل به و وهى فى العبرية بالحاء .

ثالثا : بنية الأجريتية والعربية فى ضوء علم اللغة المقارن :

أ) يتضح من العرض السابق أن الأجريتية أقرب اللغات من العربية الشمالية من حيث الوحدات الصوتية وذلك أنه إلى جانب الأصوات المشتركة فى اللغات السامية احتفظت الأجريتية والعربية بالأصوات بين الأسنانية (الثاء والذال والظاء) بينما حدث لهذه الأصوات تغير فى باقى اللغات السامية ، وتميز الأجريتية والعربية وحدتين صوتيتين للعين والغين ، ولكن باقى اللغات السامية لا تعرفهما وحدتين مختلفين ،. كما تميز الأ جريتية والعربية الحاء والخاء وحدتين صوتيتين مختلفتين ، ولكن باقى اللغات السامية تضمهما فى وحدة صوتية واحدة ويذلك تداخل الصوتان تداخلا تاما .

ب) تختلف الأجريتية عن العربية من حيث الأصوات فى وحدتين صوتيتين ، هما الضاد العربية التى يقابلها صاد فى الأجريتية ، وهى مشكلة لم تتضح ملامحها فى إطار تاريخ الأصوات العربية .

- الكلمة (ص ى ن) بمعنى ضأن ، توجد أيضا بالصاد فى العبرية ، و فى الأكادية .

- الكلمة (ض ب ط) بمعنى ضبط ، توجد فى الأكادية بالصاد .

- الكلمة (ص ب ر) تدل على المجموعة ، وفى العربية : ضَبَر الفرسُ جمع قوائمه، والتَّضْبِير الجمع،ومن المادة فى العربية كلمة ضُبَارة بمعنى الحُزْمة وإضْبَارة بمعني الحزمة من الصحف.

- المادة (ص ح ق) بمعنى ضحك ، وتوجد بالصاد فى العبرية .

ج) تختلف الأجريتية عن العربية فى احتفاظ الأجريتية بصوت الباء المهموسة ،

ويقابلها فى العربية فاء وهذا من أهم التغيرات فى العربية ، ويتضح من المقارنة باللغات السامية أن اللغة السامية الأولى كانت تعرف الپاء المهموسة بدليل وجودها فى الأكادية والأجريتية والعبرية والفينقية والآرامية . والعربية عرفت ذلك التحوّل من الپاء المهموسة إلى الفاء المهموسة .

- المادة الأحادية الصامت (پ) تدل على الفم ، ويقابلها فى العبرية (pē)، وفى الأكادية (pū) ، وفى العربية فو / فا /فى .

- الكلمة (پ ح م) يقابلها فى العربية فحم ، وهى فى العبرية (peḥam) ، وفى السريانية (paḥmā) .

- الكلمة (پ ح ل) يقابلها فى العربية . فحل .

د) يبدو أن اللغة السامية الأولى كانت تضم سينا وشيناوسينا جانبية ، وقد حدث تغير كبير فى توزيع هذه الأصوات فى اتجاهات شتى . تتفق الأجريتية والعربية فى وجود الشين فى عدد كبير المواد اللغوية ، منها :

المادة الأحادية (ش) بمعنى شاء .

- المادة (ش م ل) بمعنى الشمال ، واليد اليسرى ، ومقابلها بالسين فى العبرية وفى السريانية وفى الأكادية .

- المادة (ش ب ع) بمعنى شبع ، ومقابلها بالسين فى العبرية ، وفى السريانية ، وفى الأكادية ، وفى الحبشية

- المادة (ش م خ) بمعنى ارتفع ومقابلها بالسين فى العبرية.

- المادة (ش ن ء) بمعنى كره ، ومقابلها بالسين فى العبرية .

- المادة (ش پ ت) بمعنى شفة ، ومقابلها بالسين فى العبرية .

وأغلب الظن أن هذا الخلاف يرجع إلى كون الأصل الأقدم صوتًا ثالثا هو - كما يفترض علماء المقارنات - السين الجانبية ، صعب نطقها وتحولّت فى اتجاهين اثنين ، ولكنا نلاحظ هنا اتفاق الأجريتية والعربية .

ولكن ثمة أمثلة أخرى فى الأجريتية نجد فيها الشين تقابل فى العربية سينا ، فى هذه الأمثلة تتفق الأجريتية والعبرية وتختلفان عن العربية ، وأغلب الظن أن اللغة السامية الأولى كانت تضم وحدة صوتية للشين، احتفظت بها لغات سامية كثيرة ، وحدث التغير فى العربية فأصبحت سينا .

- المادة (ش ح ر) بمعنى السحر ، يقابلها فى العربية سحر .
- المادة (ش خ ن) بمعنى أصابته الحمى ، وفى الأكادية šaḫânu
- المادة (ش ك ن) بمعنى سكن ، وفى العبرية وكذلك فى السريانية بالشين.
- المادة (ش ل و) الفعل سلا / يسلو ، فى العبرية بالشين وفى السريانية .
- المادة (ش ل ح) بمعنى سيف ، يقابلها فى العربية (سلاح)،وفى العبرية بالشين .
- المادة (ش ل ى ط) يقابله فى العربية (سليط) ، من مادة سامية مشتركة ، فى العبرية بالشين .
- المادة (ش ل م) يقابلها فى العربية سلام ، وفى العبرية بالشين .
- المادة (ش م ، أو : ش م م) بمعنى سماء ومقابلاتها بالشين فى العبرية ، وفى السريانية ، وفى الأكادية .

***

١ - تتفق الأجريتية - بصفة عامة فى التصنيفات الصرفية المألوفة فى العربية والعبرية و الفينيقية وكذلك فى الآرامية ، وعلى وجه الخصوص ما يأتى :

- الضمائر المنفصلة للرفع (أن) مع وجود (أَن ك) للمتكلم أي أنَاكُ ، على نحو ما ورد فى العبرية والفينيقية ، ولا توجد لغات أخرى بها هذه الثنائية فى ضمير المتكلم .

- الضمائر المنفصلة والمتصلة للنصب .

- الضمائر المتصلة الخاصة بالجر.

ولكن الأجريتية تختلف عن العبرية والفينقية والآرامية ، وتتفق مع العربية بالنسبة للضمير المثنى .

ب) تتفق الأجريتية مع العربية وحدها فى وجود الموصول الدال (أو الذال) للمذكر والدال (أو الذال) مع التاء للمؤنث ؛ إنها ذو الطائية وتصريفاتها : ذو ، ذى، ذا للمذكر ، ثم : ذاتُ ، ذاتَ ، ذاتِ للمؤنث ، ويستخدم للجمع (ذت) ، وأغلب الظن أنها كانت تقرأ (ذوت) ، ولا يوجد من هذه المادة اللغوية اسم موصول فى العبرية .

جـ) التثنية من أهم السمات الواضحة فى الأجريتية على ما نجد فى العربية ، ولكنها صيغة محدودة الاستخدام فى العبرية والفينيقية ، تكاد تقتصر فيهما على الثنائيات الطبيعية ، فى الأجريتية نجد اطراد استخدام التعبير بصيغة المثنى ، وعلامتها الميم بعد صيغة المفرد ، دون ذكر العدد (أ ت ت م attm انثين بمعنى زوجتين ، وكذلك (ب ت م btm) بمعنى بنتين ، وقد لاحظ جوردون أنه لاتكاد توجد لغة سامية تستخدم صيغة المثنى استخداما أوسع من الأجريتية ، ومن المناسب تعديل

هذه العبارة بأن نضع الأجريتية مع العربية ، فهما اللغتان الساميان اللتان تجيزان تكوين صيغة المثنى من أى مفرد للتعبير عن الثنائية ، ومن أمثلة ذلك :

ل ش ن م Lšnm = لسانان / لسانين

ي م م y m m = يومان / يومين

ح) لاحظ جوردون فى ضوء نصوص أجريتية مدونة بطريقة مقطعية ، على نحو ماورد فى نقوش آشورية أن الأجريتية كانت تعرف التصرف الإعرابى :

- المفرد : الضمة للرفع ، الفتحة للنصب ، الكسرة للجر .

- المثنى : âm الرفع ، êm . للنصب والجر .

- جمع المؤنث السالم : âtu للرفع ، âti للنصب والجر .

- جمع المذكر السالم ûma للرفع ، îma للنصب والجر.

والتصرف الإعرابى من الخصائص التى تقرب الأجريتية من العربية والأكادية .

ط) أثبت جوردون فى خطاب أشورى من أجريت ورود ظاهرة الممنوع من الصرف ، فقد وردت كلمة أجريت مضافا إليه ولكنها كانت منتهية بفتحة (ú - ga - ri - ta)) ومعنى هذا أنها كانت تجر بالفتحة يضاف إلى ذلك أن الكتابة المقطعية بينت أن أسماء الأعلام المنتهية بألف ونون كانت أيضا ممنوعة من الصرف على النحو المألوف فى العربية ، ولا مقابل له فى العبرية .

خامسا : أهمية الأجريتية فى تاريخ المفردات العربية :

١ - تبدو الأجريتية فى أمثلة كثيرة ذات أهمية فى تأريخ كلمات عربية ، من ذلك كلة مِصْر. وهنا تظهر النقوش الأجريتية حاملة أقدم توثيق لاسم مِصْر المتداول

فى العربية . لقد أثبتت النقوش كلمة (م ص ر) والنسبة إليها (م ص ر ى) والجمع (م ص رى م) بمعنى المصريين،وقد وردت هذه الكلمات فى تراكيب متعددة من ذلك : (ب ن / م ص ر ى) أى ابن مصرى،ووردت صيغة الجمع فى عبارة ذات دلالة : (أ م ن / ال / م ص ر ى م) ، أى : آمون / إله المصريين . وهكذا يتضح من النقوش الأجريتية أن اسم مِصْر عمره - على أقل تقدير - ثلاثة آلاف وخمسمائة عام .

٢ - وهناك كلمات لها تاريخها القديم ودلالتها المتغيرة،كلمة (ق ر ت) وكذلك (ق ر ى ت) وردتا فى الأجريتية بمعنى المدينة ، وكثيرا ما دلت هذه الكلمة على مدينة أُجَرِيت . وقد وردت هذه الكلمة فى تراكيب مثل : (ب ن / ق ر ت) بمعنى ابن المدينة، وكذلك : (ب ن / ق ر ت م) ابن المدن . وهذه الكلمة لم يثبت ورودها قبل النقوش الأجريتية ، ولكن وجودها فى لغات أخرى - منها العربية والعبرية والفينيقية والآرامية - يؤكد كونها مشتركة،ولكن حدث لها فى العربية تغير دلالى مع أن المعاجم العربية ظلت تذكر المعنى القديم ، فى القاموس المحيط : القرية المصر الجامع ، والقريتان مكة والطائف ، وقرية الأنصار المدينة ، وقريب من هذه الكلمة نجد كلمة القارية بمعنى الحاضرة الجامعة ، هذه المعانى فى العربية تدور فى فلك المعنى القديم،كما هو فى الأجريتية . وقد حدث تحوّل دلالى فى العربية فأصبحت القرية تجمعًا مكانيًا صغيراً فى منطقة زراعية .

٣ - تشترك الأجريتية مع اللغات الأخرى فى مئات الكلمات التى تعد من الرصيد المشترك فى كل هذه اللغات ، إن أكثر الكلمات التى أثبت اللغوى الألمانى برجشتراسر وجودها مشتركة فى هذه اللغات نجدها فى الأجريتية كما نجدها فى العربية[٧] من ذلك الألفاظ الدالة على القرابة (أب) ، (أم)، (أخ)، (أ خ ت) ، (ب ن)، ونجد كلمة (أ ن ث) ، (أ ث ت) بمعنى أنثى . والحيوان مثل كلمة (ك ل ب) ،

---

٧ - انظر : G. Bergsträsser, Einführung in dire semitischen Sprachen, München 1928, Neudruck 1963, S. 181 - 192.

وعلى النبات مثل كلمة (ب ق ل) ، (ح ط ت) بمعنى حِنْطة ، والفعل (ح ر ث)، ومن ذلك كلمات دالة على الأرض وما عليها(أرض)بالصاد مثل العبرية بمعنى الأرض ، (ب ء ر) بمعنى البئر،والألفاظ الدالة على أعضاء جسم الإنسان ، مثل (ر ء س) ، (أ ن پ) أو (أ پ) بمعنى أنف ، (أ ص ب ع ت) بمعنى أصابع،وهذه الكلمة هنا بصيغة جمع المؤنث السالم ، لأنه ليس فى الأجريتية جمع تكسير ، كما نجد كلمة (ب ى ت).والكلمات الوظفية نجدها فى الأجريتية بوظائفها المألوفة فى هذه اللغات ، من ذلك (ب ع د) ، (ت ح ت) ، (ب ى ن) . وهذه الكلمات تُعد من وسائل تأصيل الكلمات العربية فى إطار علم اللغة المقارن ، وتعطى لمئات الكلمات تاريخًا قديماً موثقًا.

٤ - مفردات اللغة الأجريتية لها أهميتها فى التأصيل المعجمى لكلمات عربية ، من ذلك الكلمات الآتية :

(إ ب) فى الأجريتية ، يقابلها (أ بّ) فى العربية بمعنى الفاكهة ، ولهذه الكلمة مقابل فى السريانية من هذه الحروف الأصول .

(أ ج ن) فى الأجريتية بمعنى النار ، ومن ذلك فى العربية (إجّانة)،ولهذه الكلمة أيضا مقابل فى السريانية من هذه الحروف الأصول .

(أ ج ر) فى الأجريتية تدل على التأجير،وهذه المادة موجودة أيضا فى السريانية.

(أ د م) فى الأجريتية تدل على الإنسان تدل على اللون الأحمر ، وكلا المعنيين وارد فى العربية والعبرية والحبشية .

(إ م ر) فى الأجريتية وفى العربية (إمَّر) الصغير من أولاد الضأن وهذه الكلمة واردة أيضا فى الأكادية والسريانية .

٥ – بعض الكلمات تدل الأجريتية على حروفها الأصول دلالة مباشرة وواضحة، وهى في العربية موجودة فى كلمات تكونت منها مع زوائد شتى ، كما يتضح من الكلمات الاتية :

(ر ج م) فى الأجريتية بمعنى كلمة ، كلام ، خبر ، ولها ما يقابلها فى الأكادية والآرامية وعنها نعرف فى العربية كلمة : ترجمة . ومن هنا يعدل الرأى الوارد فى القاموس المحيط بأن الفعل العربى تَرْجَمَ يدل على أصالةْ التاء .

(ث ن) فى الأجريتية بمعنى تبّول ، ولها ما يقابلها فى العبرية والآرامية ، ومنها فى العربية كلمة مَثَانَة ، وكان القاموس المحيط قد جعلها من المادة (م ث ن) ، وتثبت الأجريتية أن الأصل التاريخى ثنائى .

٦ – هناك مثال لأهمية الأجريتية فى تأصيل كلمة مألوفة فى عامية شمال العراق وتثبت النقوش قدمها ، كلمة (أ ث ر (ي) م) فى الأجريتية تدل على اسم تلك الجماعة المعروفة حتى اليوم فى شمال العراق باسم الآشوريين ، وهذه الصيغة الدارجة هى الأقدم ، وليست الصيغة المألوفة فى الكتب ، الآشوريين .

سادسا : أهمية الأجريتية فى علم الدلالة المقارن :

١ – هناك كلمات أجريتية كثيرة لها لما يقابلها مع تغير دلالى فى العربية ، يتضح من الكلمات الآتية ذلك التغير الدلالى :

(أ هـ ل) تدل فى الأجريتية على معنى الخيمة ، وهذا المعنى واردة فى العبرية

والعربية الجنوبية ولكن المعنى فى العربية تحول إلى الدلالة على من كان فى الخيمة ، أى تدل على ذوى القربى والعشيرة .

(أ ث ر) تدل فى الأجريتية على السير وعلى المكان ، وهذه الدلالة نجدها فى العربية فى عبارة مثل : الدابة الأُثَيِرَة العظيمة الأثر فى الأرض بحافرها. والدلالة المكانية واردة فى العربية. ولكن تتابع الحركة المكانية أدى فى العربية إلى معنى التتابع الزمنى ، يقال خرج فى إثره ، وفى أَثَره ، أى بعده ، وهذا التركيب بهذا المعنى الزمنى فى السريانية أيضا .

(ب ع ل) فى الأجريتية بمعانى كثيرة : المالك ، السيد ، الزوج ، وكلها – مع الدلالة على المعبود الفينيقى (بعل) - معروف فى العربية. ذكر القاموس المحيط عن بَعْل : صنم كان لقوم إلياس ، وملك من الملوك ورب الشيء ومالكه والثقل والزوج. وفى العربية يوصف ما تسقيه السماء بأنه بَعْلى .

(ب دل) فى الأجريتية بمعنى وكيل تجارى ، وكان وجود هذه الكلمة إلى جانب كلمة أخرى من مادة (م ك ر) جعل الباحثين يحددون للكلمة الثانية معنى التاجر ، وللأولى معنى الوكيل أو البديل. وهذه الدلالة على صلة بما ذكره القاموس المحيط : البدال بياع المأكولات ، والعامة تقول بقّال ، وبادَولي، ومن حيث التأصيل المعجمى ، وردت هذه المادة بهذا المعنى فى الأجريتية والعربية ولم ترد بهذا المعنى فى اللغات الأخرى .

(ب پ) فى الأجريتية بمعنى حرك ، ويقابلها فى العربية بمراعاة القوانين الصوتية (دفّ) وفى القاموس المحيط : ما دفّ أى حرك جناحيه من الطير كالحمام ، والدّفيف الدبيب والسير اللين ، وهذه المادة لم ترد فى اللغات السامية سوى فى العربية

والأجريتية .

(و غ ر) فى الأجريتية بمعنى اخترق ، وفى العربية الوَغْرة شدة الحر ، والوَغْر الحقد والتوقد من الغيظ . والوَغِير لحم ينشوى على الرمضاء ، أَوْغَر الماء سَخَّنَهُ وأغلاه، وهذه المادة لم ترد سوى فى الأجريتية والعربية .

(ع ل م) فى الأجريتية والعربية بمعنى عرف،وهذا المعنى لم يرد فى لغات سامية أخرى ، ففيها لهذه المادة دلالة أخرى تدل على العَالَم والكون .

(إ ز م ل) فى الأجريتية بمعنى الثوب ، ومن ذلك فى العربية التزميل اللَّف فى الثوب ، تزمّل تلفَّف .

(أ ب د) فى الأجريتية والأكادية والعبرية والسريانية بمعنى هلك ، ويبدو أن المقابل العربى كان بقلب مكانى ، (باد / يبيد) بمعنى ذهب وانقطع ، أو أن تكون هذه المادة فى تلك اللغات مرتبطة من حيث التأصيل والدلالة بالمادة (أ ب د) فى العربية : تَأَبَّدَ المنزل أَقْفَرَ .

٢ - من هذا كله يتضح مدى الصلة بين الأجريتية والعربية ، وهناك مواد معجمية كثيرة لم يتمكن المتخصصون فى الأجريتية من تأصيلها إلا فى ضوء مواد لغوية عربية،من ذلك :

(د ن) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : دَنَا / يَدْنُو .

(و ق ى) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : وَقَى / يَقِى .

(غ ز ر) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : غزر .

(غ ز) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : غَزَا / يَغْزُو.

(ص غ ر) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : صغر .

(ر ث) فى الأجريتية يقابلها فى العربية : رثّ .

****

من هذا كله يتضح مدى العلاقة التاريخية بين الأجريتية والعربية ، وإذا عرفنا تاريخ النقوش الأجريتية نحو سنة ١٤٠٠ ق.م. فإن السمات المشتركة التى خرجت بها الجماعة اللغوية المهاجرة من جزيرة العرب إلى ساحل البحر المتوسط الشمالى هى تلك السمات التى نجدها فى اللغتين ، احتفظت العربية والأجريتية بمجموعة الأصوات بين الأسنانية،وبالتمييز بين العين والغين ، وبالتمييز بين الحاء والخاء،وهذه السمات حدث لها تغير كبير بعد ذلك فى العبرية والفينيقية ثم حدث لها تغير فى اتجاه ثان فى الآرامية. وهذه الفروق فى الوحدات الصوتية تجعل من الصعب جعل الأجريتية مع العبرية والفينيقية فى فرع واحد فى نسق اللغات السامية . وفى الوقت نفسه احتفظت الأجريتية بسمات تصريفية لم تعرفها العبرية والفينيقية ، من ذلك اطراد صيغة المثنى، ومثل التصرف الأعرابى للاسم المفرد ، وللاسم الجمع المذكر السالم ، وللاسم الجمع المؤنث السالم ، مع وجود شواهد على الممنوع من الصرف من أعلام الأماكن والكلمات المنتهية بألف ونون . وكلها ظواهر بعيدة عن نظام اللغة العبرية وتجعل الأجريتية أقرب إلى العربية،والأدلة المعجمية تجعل الأجريتية من أقرب اللغات إلى العربية .

وبعد فإن الأجريتيية بهذه الخصائص اللغوية المشتركة مع العربية تقرّبُنا من تصور تلك المرحلة التاريخية. هاجرت جماعات عربية اللغة من جزيرة العرب إلى منطقة الساحل السوري الشمالي، واحتفظت بلغتها ، واحتكت بمصريين وآشوريين، وسجلت في النقوش صلاتها بهم، وعرفت منهم نظم الكتابة، وتجاوزت ذلك كله بابتكار نظام جديد،

ثم دونت لغتها بذلك الخط الأبجدى البسيط . أما اللهجات الكنعانية المختلفة فيبدو أنها تكونت فى ظروف مغايرة واختلاط شديد، فابتعدت عن اللغة الأم التى تمثلها العربية. ويبدو أن الأجريتيين وأمثالهم يعيدون إلينا ذِكْرَ من وَصَفَهُم المورخون العرب باسم العرب العَارِبَة.

الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالى
أسسها ونقدُها

بقلم الدكتور
محي الدين محسب

مقدمة

يحاول هذا البحث أن يقدم تحليلاً منهجياً ونقدياً لمعطيات إحدى النظريات الأساسية فى الأسلوبية الحديثة ؛ وهى النظرية التعبيرية عند شارل بالي ، ولقد دفعنى إلى ذلك ما رأيته في المكتبة العربية الأسلوبية من حاجة ماسة إلى دراسة تبين الأسس المعرفية التى انطلقت منها هذه النظرية ، وتبين - فى الوقت نفسه - النقد الموجه إليها سواء على صعيد الاتجاهات الأسلوبية الأخرى ، أم على صعيد اقتناعات ومداخل يرى الباحث أن الاعتماد عليها هو أكثر جدوى بالنسبة للتحليل الأسلوبى .

ولقد كنت - خلال قيامي بتدريس مادة الأسلوب لثلاثة أعوام متتالية لطلاب قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز السعودية - أشعر بإلحاح هذه الحاجة . فالدراسات الأسلوبية العربية - بصفة عامة - قليلة، ولم أجد من بينها - على قدر ما بحثت - الدراسة التى تعمد إلى تركيز الجهد حول الاتجاه الأسلوبى المعين ، فتعمق المعرفة به ، باستثناء الاتجاه الإحصائي الذي أمحض له الدكتور سعد مصلوح عدداً من دراساته . وقد كنا

- أنا وطلابي - نتلفت فلا نجد إلا دراسات تنتمي إلى منهجية في التأليف أسميتها في دراسة سابقة[1] : منهجية التعميم والنظر الأفقى إلى السياق الموسع macro-context في دراسة العلوم[2] . وبطبيعة الحال فإن هذه التسمية لا تنطوى على أي تضمين تعريضى . فهى - لا شك - دراسات مفيدة ومطلوبة في إعطاء صورة عامة ، سواء لتطور اتجاهات العلم ، أو لجملة القضايا التى يشتغل بها ولكن من المفيد والمطلوب أيضاً أن تكون هناك دراسات تعنى بالتركيز على البعد الرأسى المنصب على دراسة اتجاه معين من هذه الاتجاهات ، أو قضية مخصوصة من هذه القضايا . ولعل المثال الذي يمكن سوقه نموذجاً لهذا النمط الثانى من الدراسات - وهو مثال من مجال الدرس الأسلوبي - تلك الدراسة التي أنجزها فيلي فان بير حول نظرية الأمامية foregrounding فى الأسلوبية[3] ؛ حيث تتبع هذا المفهوم منذ نشأته فى الشكلية الروسية ، وتطويره فى مدرسة براغ ، إلى تطوره اللاحق فى الأسلوبية الإنجليزية ، وفى نظرية الشعرية عموماً . ثم قام بعدد من التجارب الاختيارية على مدونة من النصوص الشعرية .

---

(١) انظر : د. محيي الدين محسب ، ١٩٩٢ ، ص ٣ : التحليل الدلالي في كتاب الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري : دراسة في البنية الدلالية لمعجم العربية . ميراناس - القاهرة .

(٢) من أمثلة هذه الدراسات :

* د. عبد السلام المسدي ، ١٩٨٢ : الأسلوبية والأسلوب . الدار العربية للكتاب .
* د. شكري عياد ، ١٩٨٣ : مدخل إلى علم الأسلوب ، دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض .
* د. صلاح فضل ، ١٩٨٨ : علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته . النادي الأدبي الثقافي - جدة .
* د. منذر عياشي ، ١٩٩٠ : مقالات في الأسلوبية . اتحاد الكتاب العرب - دمشق .
* د. أحمد درويش ، (بدون تاريخ) : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - مكتبة الزهراء - القاهرة .

(3) Peer, W. V., 1986 : STYLISTICS AND PSYCHOLOGY: Investigations of foregrounding, Croom Helm. London.

يحاول هذا البحث إذن أن يقدم إحاطة بتصور بالي للدرس الأسلوبي . ولما كان هذا التصور وليد سياق معرفي فقد كان ثمة محاولة لربطه بهذا السياق ومن ثم أعطيت نبذة حول مفهوم «الأسلوب» قبل بالي ، ثم تلا ذلك قدر مفصل رأى الباحث كفايته لتبيان الأسس اللسانية التي أقامها دوسوسير ، والتي أثرت على تشكيل بالي لصورة هذا العلم الجديد آنذاك . ثم عمد البحث إلى الكشف عن أوجه التوافق المعرفي بين لسانيات دوسوسير وأسلوبية بالي ، ثم إلى تفصيل القول حول الموارد التعبيرية ؛ سواء التعبيرية الكامنة في مستويات بنية اللغة ، أم في تشكلات استعمالها الاجتماعي . وأخيراً انتهى البحث إلى رصد تقويمي نقدي للأسس التي انطلقت منها تعبيرية بالي ، وللمعطيات التي أفضت إليها .

ولقد حاول البحث خلال هذا المسار أن يعطي من النماذج التطبيقية ما يوضح الأفكار المثارة في النقاش . ففي عرض الموارد التعبيرية عند بالي ساق البحث أمثلة من بعض الأعمال الروائية ، دون أن نوجه هذه الأمثلة إلى محاولة ربطها بسياقها النصي ، أو مغزاها الأسلوبي ؛ لئلا يتعارض ذلك مع رؤية بالي التي يذهب فيها إلى أننا «عندما نختبر درجة توافق تعبير معين مع الإيقاع العام للعمل فإننا نمارس عندئذ علم الجمال الأدبي والنقدي لا علم الأسلوب»[1] ، ومن ثم فإن دور النصوص الأدبية بالنسبة لعلم الأسلوب يقتصر عنده على أنه «مصادر» فحسب .

أما في محور النقد والتقويم فقد حاولت - من خلال بعض النماذج الشعرية - أن أقدم تصوري للأسلوب من جهة ارتباطه بالسياق والمغزى ، وليس بمعايير صورية ومطلقة .

---

(١) انظر : د. صلاح فضل ، سبق ذكره ، ص ٣٩ .

وبطبيعة الحال فإن اختيار الكتابة حول موضوع ما إنما ينطوي - بشكل ضمني أو صريح - على موقف من هذا الموضوع . فكما أنه ليس ثمة «قراءة بريئة» ، فليس ثمة أيضاً كتابة بريئة ؛ وذلك - ببساطة - لأن الكتابة قراءة . ووفق هذا التصور فقد كانت وجهة النظر التى تبناها الباحث إزاء المنهج التعبيري عامة ، وإزاءه متجسداً في أسلوبية بالي خاصة ، هى امتدا لما تبناه في دراسة سابقة قامت على مبدأ (التحليل الأسلوب التزامنى للنص)[1] . ولقد تبلور هذا الامتداد في النظر إلى الرسالة اللغوية برؤية تخالف تلك النزعة الاختزالية التي تتبدى فى ثنائية المعنى المعرفي ، أو الاتصالي ، والمعنى التعبيري. وقوام هذه الرؤية هو أن الرسالة اللغوية تحمل دائماً طبقات من المغزى بقدر ما يحملها السياق ، وبقدر ما تتعدد بؤر الاهتمام التي يركزها عليها مستقبلها . وبصياغة أخرى يمكن القول أن الرسالة اللغوية جهاز لإنتاج المغزى، وبؤرة الاهتمام جهاز لإنتاج التأويل ، والذي يتحكم في الجهازين هو سياق النص بمعناه الواسع حيث يشمل كفاءة المستقبل[2] - الذي يقلص عملية إنتاج المغزى والتأويل ، أو يضاعفها . وأعتقد أن الأسلوبية التي ادعى موتها يوما ما[3] - يمكن أن تجني من ثمار هذا التصور ما يجعلها جديرة بالبقاء . ولعله قد يكون كافياً لسياق هذه المقدمة أن تنص على ثمرتين :

فهذا التصور - أولاً - يحل إشكال افتقاد المعيار ، وافتقاد كيفية القياس ، فى التقسيم الثنائى إلى : معنى معرفي ومعنى تعبيري ، أو دلالة صريحة ودلالة

(١) انظر : د. محيى الدين محسب ، ١٩٩٤ : التحليل الأسلوبي التزامني مع قراءة تطبيقية على قصيدة «أنوار المدينة» للشاعر إبراهيم ناجى. ضمن كتاب تذكاري أصدره مركز اللغة الغربية بكلية الآداب - جامعة القاهرة تكريما لفولفديترش فيشر، ١٩٩٥.

(٢) انظر السابق حول مفهوم الكفاءة بأنواعها المختلفة .

(٣) انظر (إشارة لذلك فى : كنراد بيرو - تعريب : عبد الله صولة - ص ١٣٠ : الأسلوب والأسلوبية . مجلة علامات ج٩ م ٣ سبتمبر ١٩٩٣ - النادي الأدبي الثقافي بجدة .

إيحائية . فالمعيار في هذا التصور هو أن كل استعمال يحمل مغزى مرجعه سياق هذا الاستعمال .

وهذا التصور - ثانياً - يكشف عن أن الأسلوب ظاهرة مرجعها سياق الاستعمال وليس مرجعها النظام اللغوي المجرد ، وبالتالي فهو - أي هذا التصور - يحرر الأسلوب من هذه السلطة التي حصرته في كونه «اختياراً» مما يسمح به هذا النظام ، أو في كونه «انحرافاً» عنه . وذلك لأن كل استعمال لغوي إنما هو تحقيق لغاية أسلوبية .

ولقد كان هذا التصور ماثلاً وراء محور المعالجة التقويمية النقدية التي أدارها هذا البحث حول تعبيرية بالي .

لقد كان مصطلح الأسلوب style وكذلك مصطلح الأسلوبية stylistics[(١)] مصطلحين قائمين قبل أن ينشىء بالـي ما يعد أول دراسة علمية لمعالجة الظاهرة تحتى مـسمى «الأسلوبـية» . وفى رصده لدلالـيات هذا المصـطلح في الثـقافة الغربية يذكر سيمور شاتمان[(٢)] أنه - أى المصطلح - قد تـعرض - فى مسار هذه الثقافة - إلى عدد من التعميمات الدلالية .

ومن بين هذه التعـميمات تحول الكلمة من مجرد الـدلالة على تلك الأداة التي يكتب بـها على ألواح شمعية معيـنة إلى الدلالة على الوظيفـة التي تؤديها تلك الأداة ؛ وهى وظيفة الكتابة . ومن ثم أصبح الكاتب الذي يتميز في هذه الوظيفة شخصاً ممـتدحاً . ولقد قاد ذلك إلى دلالة الكلمة على «طـريقة التعبير التي تميز كاتباً معيناً» . ومرة أخرى نواجـه نوعاً من التعميم الدلالي : فالكاتب الذي يصل إلى «الإجادة» لابـد أن يكون متميزاً ومختلفـاً عن غيره . ومن ثم فإن فكرة «الاختلافـات والتمايزات» أصبحت مرادفة لفـكرة «الأساليب» . من خلال تطور هذه الفكرة انبثق مفهوم يرى أن الأسلوب هو «الطريقة الفردية فى إنجاز أمر ما» . ثم مـن خلال المزج بين هذين المفهـومين ؛ أي دلالة الأسلوب على الطـريقة الجيدة ، ودلالته عـلى الطريقة الـفردية فى الإنجاز انبثـق مفهوم

(١) يذكر ستيفن ألومان أن مصطلح stylistics يعود إلى الفترة الرومانسـية : فالمصطلح الألمانى Stilistik كان شائعاً منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، والاسم الإنجليزي stylistic - بصيغة المفرد - ترد له شـواهد تعود إلـى سنة ١٨٤٦ م ، والفـرنسـي stylistique يرد فى معجـم ليتر Littre سنة ١٨٧٢م ، ومع ذلك فإن قيام علم للأسلوب لم يتم إلا في مطلع قرننا الحالى - انظر :
Ullmann, S., 1966, P. 100 : LANGUAFE AND STYLE. Basil Blackwell. Oxford

(٢) انظر :
Chatman, S., 1971 pp. 399-422: THE SEMANTICS OF STYLE. in : Kristeva, J., et al (eds.): ESSAYS IN SEMIOTICS. Mouton, The Jague-Paris

ثالث يتمثل في اتخاذ مصطلح الأسـلوب التعريف التالي : «الأسلوب هو تلك الملامح التي توجد فـي التأليف الأدبي ، وتنتمي إلى الشكل والـتعبير ، وليس إلى جوهر الفكر ، أو الموضوع المعبر عنه» .

ولقد قاد ذلك إلى تطور المصطلح ليرادف مفهوم «الشكل» ، ثم ليأخذ عند الكـلاسيكيـين الجدد دلالة «التـزيين والحليـة» التي تضـاف إلى العمـل الأدبي فتحسنـه . ولقد ظلت هذه الفكرة هى الـسائدة حتى قامت المدرسة الـرومانسية في أواخر القرن الثامـن عشر وخلال القرن التاسع عشر لتتبـنى مقولات مغايرة لمفاهيم الـكلاسيكية الجديدة . ويطلـق الدارسون على وجهة النظر الـرومانسية فى «الأسلوب» مسمى «النـظرية العضوية» organic theory[1] . ولعـل أوضح تعبير عن هذه النـظرية هو قول كولريدج : «إذا كنا نبحث عن تـعريف القصيدة الحقة فـإنني أقول بأنـها ينبغـى أن تكون عملاً تـتآزر أجزاؤه ، ويفسـر أحدها الآخر ، وينسجم كل منها ويتساند» . وكذلك قوله «ليس باستطاعتك أن تحصل على لذة حقيقية دائمة في أي عمل من الأعمال دون أن يكون منبثقاً من طبيعة هذا العمل بكليته»[2] .

وبطبيعة الحال فإن ما نقصده من إيراد هذه الخطوط العريضة ليس استقصاء مدققـاً لتطورات مـفهوم الأسلـوب قبل أن ينشـىء بالي ما نـسميه الآن بـعلم الأسلوب الحديث . فما نقصده هو أن هذه التطورات التي تعرض لها المصطلح كانت تمثل اجتهـادات معرفية حاولت القبض على كنـه ظاهرة الأسلوب . فتارة

---

(١) انظر مادة style في :
Premingger, A., (ed.) 1974: PRINCETON ENCYCLOPEDIA OF POETRY AND POETICS. Princeton University Press.

للمزيد من التفصيل حول عبارات كولريدج هذه انظر : ديفيد ديتشس ، ترجمة : د. محمد يوسف نجم ١٩٦٧م - ص ١٥٦ - ١٦٨ : مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق . دار صادر - بيروت .

نُظِرَ إلى الظاهرة من زاوية ثنائية العام والخاص ؛ لتكون أعلق بالقطب الثاني من حيث كونها تجلياً للتمايز والخصوصية في إنتاج نشاط ما . وتارة نظر إليها من زاوية ثنائية الشكل والمضمون ؛ لتكون أعلق بالطرف الأول من هذه الثنائية عند الكلاسيكيين ، وبالوحدة العضوية بين الطرفين عند الرومانسيين . ولقد كانت هذه الاجتهادات وغيرها - من إسهامات مجالات معرفية أخرى - بين يدي بالي (١٨٦٥ - ١٩٤٧م) الذي رأى أن الظاهرة تستحق أن يفرد لها علم خاص .

ولأن الأفكار لا تموت ، وإنما تتحور ويستولد منها غيرها ، فإننا سنرى في أسلوبية بالي بعض أوجه الشبه وبعض أوجه المفارقة مع هذه التطورات السابقة . فأمام ثنائية العام والخاص سنجد أن أسلوبية بالي قد مالت إلى الطرف الأول . كذلك سوف نجد أن ثمة التقاء بين أسلوبية بالي ومفهوم الأسلوب عند الكلاسيكيين ، الأمر الذي جعل ليتش وشورت يضعان الاتجاهين تحت مسمى «النظرية الثنائية» في الأسلوب[١] . كذلك يمكن أن نجد وجه التقاء بين مفهوم الأسلوب عند الرومانسيين ومفهومه عند أحد الاتجاهات الأسلوبية التي انتقدت النظرية الثنائية ؛ وهو الاتجاه الذي أطلق عليه ليتش وشروت مسمى «النظرية التوحيدية»[٢] .

ومع ذلك فإن المجال الذي كان له التأثير الأقوى في تشكيل بالي لصورة هذا العلم الجديد لم يكن كامناً في هذه الجذور العميقة التي تفرق فيها دم الأسلوب بين قبائل المذاهب الأدبية تارة ، وبين سطوة المعايير البلاغية تارة أخرى . لقد كان مجال اللسانيات هو المجال صاحب ذلك التأثير الأقوى .

(1) Leech, G., & Short, M., 1981, p. 19 : STYLE IN FICTION> Longman-London.

(2) Ibid. pp. 24-26 .

ومن المهـم في هذا السياق أن نـشير إلى أن بالي لـم يكن بعيداً عـن تلك الثورة المنهجية التي كانت اللسانيات تمر بها في مطلع القرن العشرين . فهو أحد تلامـيذ رائد هذه الثورة : فرديـنـان دوسوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣م) ، وهو أحد اثنين - الـثاني هو : سيـشهي Sechehaye - قاما بجمع محـاضرات أستاذهما ليصدراها تحت هذا العنوان الشهير "Course de linguistique génerale" ، ثم هو خليفة أستاذه على مقعد تدريس اللسانيات في جامعة جنيف . ومن ثم فإن من المشروع تمامـاً أن نفحص أسس هذه الثورة المنهـجية اللسانية حتى يـتبين لنا كيفية تغلغلها وتداخلها في أسس أسلوبية بالي .

الإطار اللساني

على الرغم من محاولة بعض مؤرخي اللسانيات إرجاع بعض الأفكار التي قال بها دوسوسير إلى أصول سابقة ، وبخاصة فى أعمال مفكري المثالية الرومانسية الألمانية مثل هيردر وهمبولت وغيرهما ، فإن ريادة دوسوسير للسانيات الحديثة - من حيث تأثيره في تحولها المنهجي بشكل يكاد يكون جذرياً - من الأمور الثابتة . فلسانيات دوسوسير هى التي أحدثت تأثيراً حقيقياً في التحول عن المنهج التاريخي الذي كان سائداً في لسانيات القرن التاسع عشر . ولقد كان الصلب المعرفي الذي شكل قوام التفكير اللساني التاريخي هو الاعتقاد في قيمة النظرة التطورية . في حين كان الصلب المعرفي الذي شكل جوهر تلك الثورة الجديدة هو الاعتقاد في قيمة النظرة إلى معطيات الحالة الآنية. وبعبارة وجيزة نقول إن لسانيات دوسوسير كانت أحد مظاهر التحول المعرفي الشامل من الفلسفة التاريخية إلى الفلسفة الوضعية .

لقد انطلق دوسوسير من أن اللغة - أي لغة - ما هى إلا نظام علاقي فريد. ومن ثم فإن أي وحدة لغوية : كالصوت ، أو الكلمة ، أو المعنى ، لا نكتسب قيمتها ووجودها إلا من خلال علاقاتها بالوحدات الأخرى داخل النظام اللغوي المعين . وبالتالي فإن النظرة المنهجية إلى هذه الوحدات يجب أن تتمثل كونها نقاطاً في نظام تربط بينها شبكة من علاقات التقابل والاختلاف[1] . ولقد قادت هذه النظرة دوسوسير إلى القول بأن مهمة اللسانيات الحقيقية هى وصف اللغة ، وضبط قواعد استعمالها ، في حالة معينة من حالاتها .

---

(١) انظر تحليل فكرة «القيمة» عند دوسوسير ، وربطها بفكرة القيمة في الاقتصاد السياسي ، في :
Silverman, D., & Torode, B., 1980, pp. 254-56: THE MATERIAL WORD: some theories of language and its limits. Routledge & Kegan Paul-London.

وفي سبيل الوصول إلى ذلك الوصف وهذا الضبط قدم دوسوسير عدداً من محاور التفريق بين ثنائيات متقابلة اشتهرت في الدرس اللساني باسم «الثنائيات السوسيرية» The Saussurean dichotomies[1] . وكان من أهم هذه الثنائيات .

١ - اللغة والكلام langue & Parole

اللغة - كما في قولنا : اللغة العربية ، أو اللغة الإنجليزية ، أو اللغة الألمانية . . . إلخ - تعني عند دوسوسير[2] ذلك النظام الموجود في أدمغة أعضاء المجتمع الذين يستخدمون هذه اللغة . وهذا النظام لا يملكه الفرد الواحد ، وإنما هو أمر جماعي يتوزع على كل أعضاء هذا المجتمع . وبعبارة أخرى فإن اللغة هي تلك المجموعة المتظمة المنسجمة مع نفسها من الرموز والعلاقات التي تصطلح عليها الجماعة ، ويشترك في استعمالها جميع أفراد تلك الجماعة . ومن هذا المنطلق فإن دوسوسير يرى أن اللغة «واقعة اجتماعية» وليس «فردية» ، وبهذا الاعتبار يمكن - في منظوره - أن تدرس دراسة علمية حقيقية من حيث إمكان إخضاع ظواهرها للتصنيفات التعميمية ، والوصول إلى العلاقات الداخلية لبنيتها ، أو لـ «شفرتها» .

أما «الكلام» فهو ذلك النشاط الفردي الذي يقوم به عضو المجتمع اللغوي معتمداً على الاختيارات والبدائل الممكنة التي تقدمها له شفرة اللغة . ولأن الكلام مرتبط بالاستعمال الفردي فإنه - عند دوسوسير - يبدو مظهراً متشعباً

---

(١) انظر :

Lyons, J., 1977, V. I, pp. 239-45 : SEMANTICS Cambridge University Press.

(٢) دوسوسير ، ترجمة صالح القرمادي (+خ) - ١٩٨٥م ، ص ٤٢ وما بعدها : دروس في الألسنية العامة - الدار العربية للكتاب - تونس .

متنافر المقومات ، وبالتالي فهو غير خاضــع للدراسة العلمية المنهجية . ومن ثم تبقى «اللغة» هى الموضوع الوحيد للسانيات[1] .

ومن الواضح أن هــذا التفريق الذي يطـرحه دوسوسير إنما هو تـفريق بين النظــام اللغوي المجـرد ، من جهة ، والأداء الـفردي الذي يظـهر على ألــسنة أصحــاب هذا النظــام ، من الجهــة الأخرى . وفي إطــار هذا التفــريق يصــبح «الكلام» اختياراً من بـدائل ممكنة في النظام . وسوف نرى الكيـفية التي تجلى بها هذا التفريق في أسلوبية بالي ، وبخاصة في تشكيل مفهوم «الاختيار» .

ب - المادة والشكل : substance & form

هذه الثنائـية أمر جوهري في منهــج دوسوسير . ومن خلالها قـدم نظريته القائلة بأن اللغــة لا يمكن إلا أن تكون نظاماً من القيم ينشىء نـفسه بين كتلتين مبهمتين غير واضحتى المعالم هــما : الأفكار والأصوات . وفي سياق تشبيهاته الشهــيرة يشبه دوسوســير اللغة بـــ «الموج» الذي يعطـينا فكرة عن اتــصال الماء بالهواء ولــكنه هو نفسه لـيس الماء وليس الهــواء . وقياساً على ذلك فـإن اللغة ليست هى «الأفكار» وليست هى «الأصــوات» ، بل هى التحام مادة الفكر بمادة الصوت . وذلــك الالتحام هو ما يـتجسد شكلاً فــي صورة لغة معيـنة . وفي صورة تشبيــهية أخرى يقول دوسوسير : «يمــكننا أن نشبه اللغــة بورقة يمثل الفكر وجهها والصوت قفاها ، فلا نســتطيع أن نقطع الوجه بدون أن نقطع في الوقت نفسه القفا»[2] .

والنقــطة المهمة فــي هذه الثنائيــة أن اللغة - في مـفهوم دوسوسيــر - تعد «شكلاً» وليس «مادة» . وذلك يعنى - مثلاً - أن التكوين الصوتيمي لكلمة ما

(١) السابق - ص ٤٢ .

(٢) السابق .

إنما هو مركب complex من «الصوتـيمات» phonemes التي يكتسـب كل منها جوهره ووجوده من الشـكل الذي يفرضه النظام اللغـوي على مادة الصوت . وكذلك فإن معنى أي وحدة معجمية lexeme إنما هو فرض شكـل ما - بصورة اعتبـاطية - علـى مادة الفكـر السديمية الغـامـضة ، من قـبل مجتمـع مـا أو جماعة ما .

وفي إطار هذه النظرة إلى اللغة بوصفها شكلاً فإن قيمة أى عنصر لغوي لا تقوم ولا تتحدد إلا من خلال اختلافه عن شكل العناصر الأخرى التي تقع معه فى أحد مستويات اللغة . ولقد اشتهـرت هذه الفكرة في الدرس اللساني باسم «مبدأ القيـم الخلافية» . وأهم ما أفضى إلـيه هذا المبدأ هو فكرة اسـتقلال كل نظام لغوي بشكله[1] الخاص ، أو لنقل ببنيته الداخليـة التي لا يشبهه فيها نظام لغوي آخر . وسنـجد فيما يلي من هذا الـبحث كيف أن بالي اعتـمد على هذا المبدأ في نظرته - مثلاً - إلى علم الأسلـوب المقارن ، بل في نظرته إلى مفهوم الأسلوب نفسه من جهة علاقته بحساسية المتكلمين بلغة معينة .

ج - المحور الأفقي والمحرر الراسي : syntagmatic & paradigmatic

وهذه الثنائية تختص بتحديد العلاقات القائمة بين وحدات النظام اللغوي . ففـي كل مركب لـغوي تنشـأ علاقات أفقـية بين كل وحـدة لغوية والـوحدات المجاورة لهـا في سلسلـة هذا المركب . وأبرز سمـات هذه العلاقة أنـه لا يمكن النطق بعنصرين لغويين معاً في وقت واحد . كما أن أي عنصر لا يكتسب قيمته إلا بفضل اختلافه - صوتيمياً أو صرفيمياً أو نحوياً أو دلالياً - عما هو سابق له

(٢) تجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم «الشكل» عند دوسـوسير لا يتعلق فقط بجانب الدال signifier وإنما أيضاً بجانب المدلول signified ؛ فالمفاهيم التـي تجسدها لغة معينة إنما هى فـرض شكل معين على مادة الفكر التي هى ملكة إنسـانية عامة .

أو لاحق من العناصر الأخرى . كذلك تتسم هذه العلاقة بأن عناصرها يمكن إدراكها من خلال حضورها وتجسدها - بشكل تعاقبي - في سلسلة المركب اللغوي ؛ ومن ثم يمكن ضبط هذه العناصر ومعرفتها بطريقة تصنيفية دقيقة .

أما المحور الراسي فيقوم على أن ثمة علاقات استدعائية بين وحدات النظام اللغوي . وتتعدد أوجه هذا الاستدعاء بالترادف أو بالتباين أو بالتقال أو بالتضاد أو بالخصوص أو بالعموم . . . إلخ ، ومن ثم فهناك دائماً إمكان استبدال وحدة لغوية بأخرى مادامتا ترتبطان بوجه من هذه الوجوه ، أو مادامتا تقعان في زمرة set واحدة .

ولا شك أن وجود هذا الإمكان الاستبدالي يتصل اتصالاً وثيقاً بفكرة «الاختيار» التي ستحتل حيزاً مرموقاً في الدرس الأسلوبي . على أن ما يعنينا هنا هو أن نشير إلى بعض خصائص هذه العلاقة . وأولى هذه الخصائص هى أن العلاقة الاستدعائية تجمع بين عدد من العناصر بصورة غيابية ، بمعنى أن هذه العناصر ليست ماثلة في الصورة المتحققة للمركب اللغوي ، وإنما هى كامنة في شفرة النظام ؛ أي في اللغة . ومن ثم ينتج عن ذلك الخصيصة الثانية ؛ وهى أن هذه العلاقة لا تخضع لترتيب معين ، وغالباً ما تتسم بطبيعة فردية نظراً لما يحيط بـ «الاستدعاء» من عوامل نفسية أو مقامية . ثم تأتي الخصيصة الثالثة متولدة عن الخصيصتين السابقتين ، وهى أن عدد عناصر العلاقة الاستدعائية غير معلوم ؛ وبالتالي لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتصنيف . ولقد كانت هذه العلاقة إحدى الإشكاليات التي واجهتها - كما سنرى - أسلوبية بالي .

التوافق المعرفي

في هذا الإطار اللساني نشأت أسلوبية بالي . وبالتالي يصبح من المنطقي أن نبحث عن أصداء ذلك الإطار في هذه الأسلوبية التي عرفت باسم «الأسلوبية التعبيرية» أو «الأسلوبية الوصفية» . ولعل هذه التسمية الثانية تتسق مع تسمية لسانيات دوسوسير - أيضاً - بـ «اللسانيات الوصفية» . وفي هذا الاتساق يكمن الأساس المعرفي الجامع بين أسلوبية بالي ولسانيات دوسوسير من جهة أن كلتيهما تمثلان توجهاً مضاداً للمنهج التاريخي ، وللفلسفة التطورية الكامنة وراءه . وفي هذا السياق نجد بالي يحمل على هذا المنهج على أساس أن «التاريخ لا وجود له بالنسبة للوعي اللغوي»[1] ، وأنه إذا كانت مهمة علم الأسلوب هى «أن ندرس بطريق التأمل الاستبطاني العلاقات القائمة بين أشكال الفكر والعبارة عنها» فإن «جميع الاعتبارات التاريخية لا محل لها أو هى على الأصح مستحيلة»[2] .

إن بالي يبني هذا التصور على أساس التفسير نفسه الذي بنى عليه دوسوسير منهجه الوصفي . وهذا التفسير يقوم على أن اكتشاف نظامية اللغة لا يمكن أن يتم إلا بدراستها - بشكل تزامني - في حالة معينة من حالاتها . ويصوغ بالي هذا التفسير على النحو التالي «إن الذي يتكلم لغته لا يعيش في الماضي ، بل في الحاضر الأدنى ؛ فكل الارتباطات التي يخلقها الاستعمال الحي للغة الأم متزامنة ، أنشأتها جميعاً حالة واحدة للغة ، هذه الحالة تتألف من شبكة من الارتباطات اللغوية توجد بصور متماثلة إلى حد كبير لدى سائر المتكلمين باللغة[3] .

---

(١) شارل بالي : علم الأسلوب وعلم اللغة العام - ترجمة د. شكري عياد - ١٩٨٥ - ص ٣٦ - دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض . (نشير إليه فيما يلي بـ : بالي) .

(٢) السابق - ص ٤٧ .

(٣) السابق - ص ٤٧ .

ومن الواضح أن العبارة الأخيرة تكاد تعيد جوهر تعريف دوسوسير للطرف الأول من ثنائية اللغة / الكلام ، وهو التعريف الذي قامت عليه فكرة أن اللغة واقعة اجتماعية يمتلكها جميع أعضاء الجماعة المستعملة لها ، ولا يمتلكها الفرد الواحد . ولقد كان تأكيد بالي على هذا الوجود الجمعي للغة واضحاً في جعله مهمة الأسلوبية هي الكشف عن «الوقائع التعبيرية» داخل «الأوساط التي تختص بها ، والمناسبات التي تصلح بها ، والأغراض التي تدعو إلى اختيارها ، وذلك في حالة حالة»[1] . بل إن هذا التأكيد يبدو بصورة أوضح حين يحصر بالي اهتمام علم الأسلوب في «التعبير المسموع حين يدل على وسط اجتماعي (قطاع شعبي مثلاً) أو على صورة محددة أو عامة من صور الحياة (كالسن ، الطفولة مثلاً) أو على صورة خاصة من صور الفكر (التفكير العلمي مثلاً)»[2] .

لقد كان الهدف الذي سعى إليه بالي هو تقديم دراسة منظمة systemic للخصائص الوجدانية - التي أسماها فيما بعد : الخصائص التعبيرية[3] - القارة في الاستعمال الحي للغة . فهذه الخصائص القارة هي التي يمكن وضعها في صورة «نماذج» يمكن تحليل محتواها ووقائعها الأسلوبية التعبيرية . وبالتالي فإن أسلوبية بالي لا تتعلق بظواهر التعبير لدى فرد متكلم معين إلا بالقدر الذي يمثل فيه استعماله اللغوي «واقعة» تعبيرية يمكن نمذجتها . وبذلك يكون بالي قد استبعد أحد المفاهيم الرئيسية التي أعطيت - قبله - لمصطلح الأسلوب ، وهو المفهوم الذي أشرت إليه سابقاً ، وتمثل في تعريف الأسلوب بأنه «الطريقة الفردية في إنجاز أمر ما» . وبعبارة وجيزة نقول إن أسلوبية بالي قد

---

(١) السابق - ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) السابق - ص ٢٨ .

(٣) انظر : Ullmann, S., op. cit., p. 101

نظرت إلى الأسلوب على أنه «أسلوب الجماعة الاجتماعية» وليس «كلام» الفرد بخصائصه الذاتية .

ومن أجل التأسيس لـقيام دراسة منظمة لـ «نماذج» الوقائـع الأسلوبية فقد فرق بالي بين جانبين من المعنى :

المعنى المفهومي le sens notionne

والقيم الوجدانية التأثيرية valeurs affective

وجعل مهمة علم الأسلوب هى دراسة نماذج هذه القيم التأثيرية الكامنة في اللغـة بوصفها ذات وجود نـظامي اجتمـاعي حي . ولا شك أن هذه التـفرقة تقودنا إلى قضية أصل ؛ هى قضية علاقة اللغة بالفكر ، أو لنقل قضية الدلالة اللغوية . ولقد رأينا كيف ربط دوسوسـير بين اللغة والفكر ، وذلك من خلال مناقشة ثنـائية المادة والشكل عنده : فـ «لـيس في اللغة الطبيعـية شيء يمكن أن يعد بأكمله فـكرياً محضاً»[1] ، وإنما هنـاك أيضاً تلـك الجوانب التـعبيريـة التي تكشف عن حركات الشعور لدى المتكلمين ، وتثير الانطباعات لدى المخاطبين. وإذا كان علم الأسلوب يهدف إلى دراسة اللغة «فـي علاقتها بالحياة الواقعية»[2] فإن «معـنى ذلك أن الفكر الـذي يلتمس تعـبيره فيها لا يـكاد يخلو من صـبغة وجدانية»[3] .

ومن الواضح أن بـالي - هنا - لا يفصـل بين «الفكر» و «الشـعور» على أساس أن كلاً مـنهما يمثـل منطقة مسـتقلة عن الآخـر . بل على العـكس من ذلك. فهو يـؤكد ارتباطهمـا على أساس أن أي مسلـك تعبيري إنما يـحمل في

(١) بالي - ص ٢٦ .
(٢) السابق - ص ٢٩ .
(٣) السابق - ص ٢٩ .

طياته دائماً عنصراً فكرياً وعنـصراً وجدانياً : يقول بالي «لم أزعم قط . . . أن لغة الوجدان لها وجود مسـتقل عن لغة العقل»[1] . وبالتالي فـإنه يرى أن علم الأسلوب ينبغي أن يدرس اللغتين معاً «في علاقتهما المتبادلة ، ويبحث نسبة كل واحدة إلى الأخرى في تكوين هذا النـمط أو ذاك من أنماط التعبير»[2] . ولعل هذه النقطـة ستكون من أكثر النقـاط إثارة للجدل في أسلوبيـة بالي ، وهذا ما سيتضح عند الحديث عن النقد الموجه إلى هذه الأسلوبية .

وإذا كان ما سبق يمثل محاولة لتبيان الأسس المعرفية العامة التي انطلق منها بالي ، فإن البحث يعمد الآن إلى محاولة أخـرى تستهدف الكشف عن الكيفية التي فصل بها القول حول الجوانب التعبيرية للغة .

---

(١) السابق –ص ٣١ – ٣٢ .

(٢) السابق – ص ٣٢ .

موارد التعبيرية

تستمد اللغة تعبيرتها – عند بالي – من مصدرين هما :

أ – المؤثرات الطبيعية .

ب – المؤثرات الاستدعائية .

وهذان المصدران يحتاجان إلى فضل بيان :

١ - المؤثرات الطبيعية :

وهى مؤثرات قارة في طبيعة بعض الأشكال اللغوية التي تحمل بذاتها خصائص تعبيرية معينة . وتتوزع هذه الأشكال على مستويات البنية اللغوية الثلاثة : الصوتي والصرفي والتركيبي . وبالتالي فإن الأسلوبية التعبيرية تنقسم عند بالي إلى ثلاثة علوم فرعية يتعلق الأول بتعبيرية الأصوات ، والثاني بتعبيرية متن اللغة ، والثالث بتعبيرية التراكيب . وسنتناول هذه العلوم الثلاثة تحت عناوين : الأسلوبية الصوتيمية ، والأسلوبية الصرفيمية ، والأسلوبية التركيبية ، وهى عناوين استخدمها ستيفن أولمان في كتابه «اللغة والأسلوب»[١].

١ - الأسلوبية الصوتيمية phonostylistics :

وهى تعالج الإمكانات التعبيرية التي تحملها التكوينات الصوتية وفق خصائصها المخرجية والفيزيائية والتوزيعية . ويندرج تحت هذه التعبيرية الصوتية عدد جم من الظواهر تبدأ من استغلال العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى في

---

(١) انظر : Ullmann, S., op. cit., p. 111

(١) انظر في تعريف مفهوم «السجل» : الأسلوبية وعلم الدلالة – ستيفن أولمان = ترجمة وتعليق د. محيى الدين محسب ، ١٩٩٢ ، ص ٩٩-١٠٢ . ميراناس – القاهرة .

ظاهرة المحاكاة الصوتية (الأونوماتوبيا) ، وتنتهي عند استغلال تعبيرية الصوتيم الواحد من خلال تواتره التكراري في سلسلة كلامية معينة .

ولا شك أن ثمة سجلات registers[1] كلامية معينة تعمد إلى استغلال هذه الطاقة التعبيرية بصورة واضحة . ويأتي في مقدمة هذه السجلات : الإعلانات، وكلام الأطفال ، والشعر . فمثلاً نجد في إعلان عن أحد أنواع المياه الغازية أن كلمة (منعش) قد كتبت بالشكل التالي : منعششششششش . وذلك اسغلالاً لتعبيرية صوت الشين وما يثيره تكراره من محاكاة لصوت فوران هذه المياه عند فتح الزجاج . ويحفل سجل الكلام الطفولي بهذه الظاهرة التعبيرية ، فنجد مثلاً استغلال الخصائص النطقية للهاء المفتوحة والميم الساكنة في (هَم هَم) لجعل الطفل يفتح فمه للطعام ثم يغلقه عليه ، ثم تصير (هم) بعد ذلك اسماً لعملية الأكل ، فتدخل في معجم ما يسمى بالكلام الأمومي motherses الذي يتسم بدوره ببروز استغلال تعبيرية الأصوات ؛ فتشيع فيه المبالغة الواضحة في أنماط التنغيم ، وفي ظاهرة التصغير[2] ، أما في الشعر فظواهر التعبيرية الصوتية تعد أبرز مظهر من مظاهر ما أسماه ياكوبسون تركيز الرسالة اللغوية على ذاتها في إطار تحقيق اللغة لوظيفتها الشعرية[3] . ولا شك أن التمثيل لأشكال التعبيرية الصوتية في الشعر يكاد يضيق عنه مجال هذا البحث وغرضه . فكل الظواهر التي أشار إليها بالي في حديثه عن الإمكانات التعبيرية الكامنة في المادة الصوتية وهى : «الأصوات المتميزة وما يتألف منها ،

---

(١) انظر :

Carroll, 1986, p. 308: PSYCHOLOGY OF LANGUAGE. Brooks/Cole Publishing Comp - California.

(٢) انظر مقالة ياكوبسون Linguistics and Poetics في :

Sebeok, T., (ed.) 1960, p. 356 : STYLE In LANGUAGE. The M.I.T. Press.

(٣) بالي – ص ٣٢ .

وتعاقب الرنات المختلفة للحركات ، والإيقاع ، والشدة ، وطول الأصوات ، والتكرار ، وتجانس الأصوات المتحركة والساكنة ، والسكنات . . . إلخ[1] - أقول : كل هذه الظواهر وغيرها يمكن أن نجد لها أمثلة متنوعة من الواقع الشعري[2] .

غير أن الإشكال الذي يواجهنا هذا هو : هل تعد هذه الظواهر الصوتية في الشعر ضمن ما يقع تحت ما أسماه بالي بـ «القصد الجمالي» الذي يميز الاستعمال الأدبي للغة فيخرجه عن مجال الأسلوبية التي تجعل مناط اهتمامها الاستعمال التلقائي[3] ؟ . وإذا كانت هذه النقطة تمثل أحد المآخذ التي وجهت إلى أسلوبية بالي -حتى ضمن التطورات اللاحقة في الأسلوبية التعبيرية نفسها- فإن البحث سيعود إلى مناقشتها في موضع لاحق عندما يعرض النقد الموجه إلى أسلوبية بالي عموماً .

٢ - الأسلوبية الصرفيمية morphostylistics :

وهى تعالج الجوانب التعبيرية الكامنة في طبيعة التكوين الصرفي للكلمة ، وفي المدى التوزيعي الذي يشغله نوع معين من أنواع الكلم (أسماء ، أفعال ، صفات ، ظروف . . . إلخ) في سلسلة كلامية معينة ، وفي العلاقات الدلالية

(١) ثمة دراسة مفيدة في هذا المجال أنجزها الدكتور / عبد الفتاح محمد ، وقد كنت اقترحت عليه موضوعها لنيل درجة الدكتوراه ، وعنوانها «الرمزية الصوتية في نقد الشعر الجاهلي» ، وهى ما تزال مخطوطة بمكتبة كلية الآداب بجامعة المنيا ، وتشتمل هذه الدراسة على مقدمة نظرية حول الفروض والتحققات العلمية التي عولجت من خلالها قضية الرمزية الصوتية . كذلك يمكن الرجوع إلى الفصل السادس من كتاب: Chapman, R., 1982: THE LANGUAGE OF ENGLISH LITERATURE. Edward Arnold--London. حيث يقدم تفسيرات نسائية ، وأمثلة متنوعة للظاهرة في أجناس أدبية مختلفة .

(٢) بالي - ص ٢٩ .

(٣) السابق - ص ٣٦-٣٧ .

(الترادف ، التضاد . . . إلخ) القائمة بين الكلمات في هذه السلسلة ، وفي المجالات الدلالية التي تنتمي إليها هذه الكلمات .

وعلى سبيل التمثيل لذلك نأخذ المقطع التالي من رواية «خان الخليلي» (ص ١٣٣) لنجيب محفوظ :

«وضحكوا جميعاً ، فدارى بكياسته غضبه وجاراهم في ضحكهم . وودعهم عند ذاك ومضى إلى العباسية ، وقد انقطعت المواصلات جميعاً ، مدلجاً من طريق الحسينية . ووجد الطريق خالياً والسكون مطبقاً والظلام جاثماً . وكان جسده ساخناً مبتلاً بالعرق وحلقه يابساً ، فاصطدم برطوبة كثيفة يزفرها الخريف بغزارة - خاصة - في الهزيع الأخير من الليل . وما عتم أن سرت في أطرافه قشعريرة باردة ، ولسعت البرودة صدره ، وزكم منخره . وكانت ليلة السرار وقد احلولك غبشها ، وظاعف من غلظه انتشار سحاب دثر النجوم الساهرة ، فلاحت المنازل القديمة على جانبي الطريق كأشباح جالسة القرفصاء ذاهبة في سبات عميق» .

حيث يمكن أن نلمس - من منظور الأسلوبية التعبيرية - جوانب من تعبيرية الكلمة على النحو التالي :

أ - من طبيعة تكوينها الصرفيمي وما تنطوي عليه من رمزية صوتية مثل (اصطدام ، يزفرها ، قشعريرة ، احلولك ، غبشها) .

ب - من الموازاة الموقعية بين أبنية متماثلة :
مثل (داري ، جاري-خالياً ، مطبقاً ، جاثماً ، ساخناً ، مبتلاً ، يابساً).

ج - من علاقة التقابل بينها :
مثل (غضبه / ضحكهم ، يابساً / مبتلاً ، ساخناً / باردة ، جالسة / ذاهبة ، الساهرة / سبات) .

د - من علاقـة الترادف التـي تحيل إلى الانـتماء إلى مـجال دلالي معـين مثل
مجال المغادرة في (ودع ، مضى ، مدلجاً ، ذاهبة) .
ومجال الكثرة في (كثيفة ، بغزارة ، انتشار) ،
ومجال الـظلمة فـي (الظلام ، الهزيـع ، الليل ، لـيلة السـرار ، عتم ،
احلولك ، غبشها) .

ولعـل مما يـستدعـي الإشارة هنـا أن بالـي يرى[1] أن الدراسـة التاريخـية للمفردات - من خلال تتبع تسلسل معانيها وعلاقاتها الاشتقاقية بكلمات أخرى - قد وقعت فـي خط منهجي ينـبغي على الأسلـوبية أن تتفاداه . ويتـمثل هذا الخطأ في مسارين تولدت عنهما نتائج غير صحيحة .

اولهما : تركـيز الدرس علـى الكلمـات وهى في حالـة عزلة وانفـراد عن سياقها الآني ، وإسقاطها على الماضي . أو لنقل بعبارة لسانية اصطلاحية : إن هذا الخطأ يتمثل في إغفال البعد الأفقي synchronic للغة لصالح البعد الرأسي diachronic . وبالتالي فإن هذا التركيز أدى إلى عدم النظر إلى الارتباطات التي تنشأ من المقارنـة التلقائية بين كل كلمة ومرادفـاتها وأضدادها . . . إلخ ، «مع أن هذه المقارنة هى العامل الجوهري في ردود الأفعـال العقلية والوجدانية التي يدرسها علم الأسلوب»[2] .

وثانيهـما : الاعتقاد بفكـرة أن للكلمة معـنى أساسياً يكشـف عنه الأصل الاشتقاقي الذي يظهـر بدرجة ما في سائر المعاني التالية . وتـتمثل خطورة هذا المسار في أنه يحيل قضية معنى الكلمة إلى قضية أصل وظلال ، وهذا ما ينافي شرطاً جوهرياً لحياة الـلغة وهو قدرتها «على تشقيق المعـاني وتحطيم الارتباطات

---

(١) السابق - ص ٣٦ .

(٢) السابق - ص ٣٦ .

لخلق ارتباطات أخرى»[١] . كذلك فإن هذا المسار يؤدي إلـى اعتقاد خاطئ آخر يتمثل في إقامة تلازم مطلق ، أو معياري ، بين الصيغة والقيمة ، أو بين الدال والمدلول ، في حين أن «الغـلامة الواحدة لها في العادة قيـم كثيرة ، وأن هناك علامات كثيرة للتعبير عن كل قيمة»[٢] .

ومن الواضح أن رفض بالي هنا لأن يدخل في التحليل الأسلوبي الدراسة الاشتقـاقية لمعنى الـكلمة إنما يدخـل ضمن منظوره الـعام في رفض اللســانيات التاريخيـة ، وهى اللسانيات التي كان لـها تأثيرها الواضح في صيـاغة المسارين السابقين كما تجليا في بحوث علماء الدلالة المبكرين وعلى رأسهم بريل Breal[٣] ، وعلماء البلاغة وعلى رأسـهم فونتانييه Fontanier[٤] . بيـد أن هذه أيضـاً من النقاط الـتي تعرضت - كما سيـتضح في معالجة الـبحث لنقد أسلوبـية بالي - للتحوير والتعديل في المسار اللاحق للسانيات عموماً ، والأسلوبية خصوصاً .

٣ - الأسلوبية التركيبية syntacticostylistics :

وهى تعالج الطاقات التعبيرية الكامنة في أشكال التركيب النحوي للجمل . وذلك مثـل ما يحدث - لاعتـبارات تعبيريـة - من تقديم وتأخـير ، وحذف ،

---

(١) السابق - ص ٣٧ .

(٢) لقد حاول علم الـدلالة التاريخي diachronic semantics أن يضع قوانين للمعـنى على غرار فكرة «القوانين الصوتـية» التي طبقتها مدرسة «النـحاة الجدد» في دراسة التطور الصوتي ، ولـقد تمثلت هذه القوانين الدلالـية العامة - عند بريل وأتـباعه - في أن المعنى الأصلي لـلكلمة يتغير إمـا بالتوسع ، أو بالـتقـييـد ، أو بالمجـاز ، أو باكتـساب ارتـباطـات انحـطاطـية pejorative أو ارتبـاطات إعـلائيـة ameliorative - انظر : Lyons, J., op. cit., V. 2, p. 620 .

(٣) حول فكرة المعنى الأصلي للكلمة في بلاغة فونتانييه - انظر :
Ricoeur, P., 197, p. 50 : THE RULE OF METAPHOR. Routledge & Kegan Paul. London

(٤) بالي - ص ٤٠ .

واختيار بدائل تركيبية لصيقة بالتعبير عن الجوانب الوجدانية - مثل : التعجب، والمدح والذم ، والاستفهام المجازي . . . إلخ ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا المستوى من مستويات البنية اللغوية قد نال حظاً موفوراً من اهتمام البلاغة التقليدية عبر تاريخها الممتد . غير أن بالي يأخذ على هذه المعالجة التقليدية تمحورها حول دراسة علاقة التركيب بالفكر ، ومن ثم فإنه يرى أن «بحث التراكيب الوجدانية لم يكد يبدأ»[1] . وفي هذا السياق يقرر بالي أن كثيراً «من الحيل التركيبية يصدر عن حركة الوجدان»[2] . فمثلاً ظاهرة «دمج الجمل» واستخدامها لتؤدي معنى الكلمة الواحدة إنما تعود إلى ميل العناصر الانفعالية «إلى وقف التحديدات الفاصلة بين أجزاء الجملة المنطقية أو التحليلية»[3] . وهكذا نجد - مثلاً - أن التركيب (يا دين محمد) يتحول إلى كتلة مدمجة تعادل دلالياً التعبير الانفعالي الذي تثيره كلمة (هائلة !!) ؛ وذلك كما في عبارة المعلم نون في رواية (خان الخليلي ص ٩٢) : «الكتب في الدنيا أكثر من بني آدم ألم تر إلى مكتبة الحلبي . . . فيها كتب يا دين محمد لو صفت جنباً إلى جنب لكاثرت طلبة الأزهر» .

ب - المؤثرات الاستدعائية :

يختلف هذا النوع من المؤثرات عن سابقه في أنه يكمن في العلاقة بين الأشكال اللغوية والظروف والمواقف والأوساط التي تستخدم فيها . وبالتالي فإن تعبيرية هذا النوع مستمدة من هذه العلاقة :

---

(١) السابق - ص ٤٠ .

(٢) السابق - ص ٤٠ .

(٣) انظر بحث بيير جيرو P. Guiraud في : Sebeok, T., (ed.), 1972, pp. 1122-23 : CURRENT TRENDS IN LINGUISTICS. V. 9 : Linguistics in Western Europe. Mouton. The Hague-Paris.

الشكل اللغوي ⟵⟶ الاستعمال الاجتماعي

ولقد حاول بالي أن يقدم ثبتاً للأساليب قائماً على نوع العلاقة بين الشكل اللغوي والفئة الاجتماعية التي تستخدمه ، أو النشاط الاجتماعي الذي يستعمل فيه . فهناك لغات الطبقات الاجتماعية ، واللغات المهنية ، ولغات أجناس الخطاب (علمية ، أدبية ، شعرية) . . .) ، وكذلك هناك لغات تعبر عن العلاقة الاجتماعية ، أو الدور الاجتماعي ، أو المكانة الاجتماعية . . . إلخ .

ويرى بيير جيرو[1] أن القيم التعبيرية لهذه الأساليب ترتبط بما يلي :

أ - تقاليد الحديث tone :

ويمكن اختلاف تقاليد الحديث في أن كل شخص لديه عدد من مسالك الكلام وفق الحالات المختلفة في الممارسة الاجتماعية الحية . فالمسلك الكلامي مع الأصدقاء - مثلاً - يختلف عن المسلك الكلامي مع الأطفال ، ومع الرئيس يختلف عنه مع زميل العمل . . . وهكذا . ولعل ذلك ما يدركه الروائيون الجيدون عندما يصوغون مواقف الحوار في رواياتهم ، أو عندما يجعلون اللغة تعبر بمستوياتها المختلفة عن سياق الموقف ، وعن حالة الشخصية ، ووضعها الاجتماعي أو الطبقي ، وموقفها من الآخرين . . . إلخ .

وفي هذا السياق يمكن أن نلاحظ - على سبيل المثال - الاختلاف في استعمال «الضمائر وأساليب الخطاب» في حوار «عثمان بيومي» مع رئيسه «حمزة السويفي» مدير الإدارة ، في رواية (حضرة المحترم) لنجيب محفوظ . ففي حين تظهر ضمائر الجمع التوقيرية (أقدم لكم ، فضلكم ، عندما تحتشدون) وتتكرر عبارتا «يا سيدي» و «يا فندم» في أول حوار بينهما (ص ٤٤-٤٥) ، تأخذ هذه المظاهر اللغوية في الخفوت كلما توطدت العلاقة بينهما ليكتفي باستعمال ضمير الخطاب المفرد (ص ٥٢، ص ٥٨، ص ٦٩، ٧٠) .

وإذا كانت البلاغة القديمة قد ميزت - في إطار ما يعرف بـ «دائرة فرجيل»[1] - بين أساليب ثلاثة : الأسلوب العادي ، والأسلوب المتوسط ، والأسلوب العالي ، فإن هذه المسالك الكلامية يمكن تصنيفها وفق هذا التقسيم الثلاثي . ففي المنزل ، وفي المقهى ، وفي الشارع ، يبرز استخدام الأسلوب العادي الحميم . أما في العمل ، والمكتب ، والعلاقات الاجتماعية غير الحميمة فإن استخدام الأسلوب المتوسط هو النمط المساند . ويبقى الأسلوب العالي هو النمط المتبع في المناسبات الرسمية حيث يتحدث المتكلم بلغة رصينة يظهر فيها قدر كبير من التأنق والعناية .

ومن الملاحظ أن هذا التقسيم إنما هو امتداد لفكرة الارتباط بين «المقام» و «المقال» التي أقرتها البلاغة . ومن ثم يمكن أن نطلق على المعالجة الأسلوبية التي تدرس هذه الارتباطات : «أسلوبية الموقف» .

وهناك إلى جانب هذا النوع نوع آخر يمكن أن نسميه «أسلوبية الخطاب» . ويرتبط هذا النوع الثاني باختلاف التقليد اللغوي الذي يتبع أعرافاً سائدة في خطاب معين . فهناك مثلاً : الأسلوب الشعري ، وهو الأسلوب الذي تظهر فيه أعراف الإبداع الشعري في فترة معينة من حياة ثقافة معينة . وداخل هذا الأسلوب تتعدد أساليب أنواع فرعية : فهناك أسلوب الشعر الغنائي ، وأسلوب الشعر الملحمي ، وأسلوب شعر المراثي . . . إلخ . وإلى جوار ذلك هناك الأسلوب العلمي الذي يتسم بخصائص معينة كسيطرة المصطلحات الفنية ، والتعريفات ، والتحليلات المنطقية . . . إلخ .

---

(١) فرجيل شاعر روماني عاش في القرن الأول قبل الميلاد . وفي إنتاجه الشعري يمثل ديوانه «قصائد ريفية» نموذجاً للأسلوب البسيط ؛ حيث إنه يدور حول حياة الفلاحين البسطاء . أما ديوانه «قصائد زراعية» فهو يمثل نموذج الأسلوب المتوسط ؛ حيث إنه يخاطب الرومان لحثهم على التمسك بأرضهم الزراعية . وفي النهاية تأتي ملحمته الشهيرة «الإنيادة» نموذجاً للأسلوب السامي أو الرفيع .

ولعل المثال الجيد لذلك نجده في هذه الفقرة التي يسوق فيها نجيب محفوظ (الطريق - ص ١٧٠ ، ١٧٣) تحليلات «نخبة من رجال الفكر» للأسباب الكامنة وراء ارتكاب صابر الرحيمي لجريمته .

«تحدث أستاذ في الجامعة عن الزواج غير المتكافئ بين عم خليل وكريمة باعتباره المسئول الأول عن الجريمة . وقال كاتب يوميات صحفية : إن المسئول الأول هو الفقر ، هو الذي أغرى زوج كريمة الأول ببيعها إلى زوجها الثاني ، وأن كريمة شهيدة لصراع الطبقات وفوارقها . وناقش أستاذ بالخدمة الاجتماعية نشأة صابر فى أحضان تاجرة أعراض ورواسبها في نفسه ، وقال أستاذ علم نفس إن صابر مصاب بعقدة حب الأم وأنه يمكن تفسير اندفاعه الإجرامي بأمرين مهمين ، فهو أولاً وجد في كريمة بديلاً عن أمه فأحبها ، وأن لا شعوره أصر على الانتقام لأمه فقتل صاحب الفندق كرمز للسلطة . . . وقال شيخ من رجال الدين أن المسألة في جوهرها مسألة إيمان مفقود ، وأن صابر لو بذل في البحث عن الله عشر ما بذله في البحث عن أبيه لكتب الله له جميع ما طمح إليه عند أبيه في الدارين» .

حيث نجد تلازماً واضحاً بين كل شخصية والتعبيرات والاصطلاحات السائدة في مجالها ، أو لنقل : في سجلها : فأستاذ الجامعة مهتم بإرجاع المسألة إلى مفهوم عام (الزواج غير المتكافئ) . وكاتب اليوميات الصحفية ينزع إلى عبارات الإثارة التي تسم الخطاب الصحفي . وأستاذ الخدمة الاجتماعية يستعمل المفاهيم المساندة في علم النفس الاجتماعي (النشأة والرواسب) . أما أستاذ علم النفس فهو يفسر المسألة بمنظور سيكولوچي (العقدة والدافع واللاشعور) . أما الشيخ فيفسر (جوهر) المسألة بمفهوم (الإيمان المفقود) وانعدام بذل الجهد (في البحث عن الله) الذي يوصل إلى (جميع ما يطمح إليه في الدارين) .

ويرى بالي أن «المزج أو الخلط بين هذه التقاليد الكلامية - سواء كان هذا المزج مقصوداً أم غير مقصود ، إرادياً أم غير إرادي - يمثل وسائل بالغة الثراء للتأثير التعبيري»[1] . ولكن يبدو أن هذا القول لم يكن يمثل مبدأ نظرياً مطرداً عند بالي ؛ لأنه لو كان كذلك لكان كفيلاً بأن تدخل الأساليب الأدبية في مجال الأسلوبية باعتبار أنها - أي هذه الأساليب - كثيراً ما تعمد إلى هذا المزج بقصد جمالي يستهدف إحداث التأثير التعبيري الذي يشير إليه بالي هنا . ولكن بالي استبعد دراسة هذه الأساليب لقيامها على القصد ، وليس على العفوية والتلقائية .

ب - لغة العصر :

في فترات معينة من حياة اللغة تشيع مفردات ، وعبارات معينة . ويحدث أن تختفي هذه المفردات والعبارات من الاستعمال في العصور التالية ، ولذلك فإنه عندما يتم استدعاء إحدى هذه المفردات أو العبارات ، فإنه يتم أيضاً استدعاء عصرها الذي ارتبطت به . وهذا ما نجده - مثلاً - عندما تستدعي شخصية الأم في (خان الخليلي - ص ١٨٨) ذلك التعبير العربي القديم (ومن يشابه أباه ما ظلم) فتحوره في سياق تقرير مشابهة ابنها لها ليكون : (ومن شابه أمه فما ظلم) !! . وكذلك يفعل بهذا التعبير نفسه علي السيد في رواية (ثرثرة فوق النيل - ص ٥٦) : «إني أحدكم أيها المنحلون العصريون ومن شابه أصدقاءه فما ظلم» !! .

ج - لغة الفئة الاجتماعية :

وهذا يكتسب الأسلوب تعبيريته من خلال استدعائه للفئة الاجتماعية التي تستخدمه . فلكل فئة خصائص صوتية ، ومفردات ، وتعابير ، تميزها عن

(١) انظر بحث بيير جيرو - سبق ذكره p. 1123 .

غيرها من الفئات الأخرى . ونجد ذلك واضحاً - مثلاً - في تجسيد توفيق الحكيم لأسلوب البدو في في «عودة الروح - ج٢ ص ٢٨-٢٩» عندما يورد العبارات التالية على لسان «عبد العاطي البدوي» :

- والله والله «عرجاوي» ما يخشها ... وشرف «البدوي» نطسه الوش من هادي البارودة !
- والله هادا الفلاح ما يبات فيها !
- احنا بدو شرفا ، ما يمشي علينا كلام عمدة فلاحين ..
- كيف يا بيه «البدوي» مثل «الفلاح» ؟؟ !
- ... احنا بدو ما نرضى الضيم !

ففي هذه العبارات تلاحظ بعض السمات اللغوية التي تستدعي أسلوب البدو مثل :

النفي بـ : ما (في : ما يخشها ، ما يبات ، ما يمشي ، ما نرضى) ،
والإشارة بـ : هدا ، والاستفهام بـ : كيف ،
واستخدام مفردات معجمية معينة (فبدلاً من «بندقية» يستخدم «بارودة») ،
واستخدام صيغتي (مثل ، والضيم) بشكل أقرب إلى مستوى الفصيح ،
ثم استخدام ضمير المتكلم الجمعي الذي يجسد كما هى الذات مع الجماعة (نطسه ، احنا بدو شرفا ، احنا بدو ما نرضي الضنيم)

د - لغة الجماعة الاجتماعية :

في المؤسسات الاجتماعية المختلفة يوجد تنوعات أسلوبية مختلفة . فمثلاً العاملون في المجال المصرفي يشيع بينهم معجم لغوي خاص مثل : الإيداع

والسحب ونسبة الأرباح والائتمان . . . إلخ . والعاملون في الحقل الأكاديمي الجامعي كذلك فنجد : المحاضرة ، والدراسات العليا ، والمنهج العلمي . . إلخ . ولعل إشارة بالي التي سقناها من قبل عن تعبيرية المزج بين تقاليد الحديث تصدق هنا أيضاً . وفي هذا السياق يمكن أن نشير - تمثيلاً - إلى استغلال المعلم نونو (في : خان الخليلي - ص ٤٦) للسجل اللغوي الخاص بالتجارة العالمية ليعبر من خلاله عن حركة «الخادمات» بين أحياء القاهرة : «الذنب ذنب الأحياء الأخرى . لقد ضاقت بالفساد ، فصدرت ما يزيد عن حاجتها إلينا على حد قول الراديو عن التجارة العالمية . هنا نحن نصدر المواد الأولية ، والأحياء الأخرى نوردها مصنوعة . فمن بعض أطراف هذا الحي تصدر الخادمات فتحولها الأحياء الأخرى إلى غانيات» !! .

هـ - لغة المنطقة الجغرافية :

لكل منطقة جغرافية ملامح لهجية خاصة . ويؤدي استعمال هذه الملامح في مواقف اجتماعية معينة إلى تفجير طاقة تعبيرية موحية . فأهل الإسكندرية - مثلاً - يعبر الواحد منهم عن نفسه بصيغة الجماعة فيقول : بنحبوه ، في حين يقال في بعض لهجات الصعيد : معاحبه . ويبدو استغلال هذه الملامح اللهجية واضحاً في الأدب التمثيلي المكتوب بغير المستوى القياسي من اللغة (نسميه في ثقافتنا العربية : الفصحى) .

و - لغة الجيل :

يؤدي الاختلاف من جيل إلى جيل إلى فروق واضحة في المسلك الكلامي . ومن ثم فالكبار يستخدمون في مواقف التدليل والمداعبة مع الأطفال أسلوباً يحاول محاكاة أسلوبهم . وبالتالي فإن هذا «التدليل» يمثل غرضاً تعبيرياً خاصاً.

نقد وتقويم

لقد كـانت أسلوبيـة بالي - كأي نظـرية أصيلة - مـشروعاً علمـياً . وهى بصفتها تلك لا تخلو من سمتـين أساسيتين : الإضافة والنقص : بـ «الإضافة» تحقـق تحويل المـسار المعـرفي السـابق عن أوجـه القصـور الكامـلة فيـه . وبـ «النقص» تفتح المجال للمسار اللاحـق لكي يزيد من كفاءة أدواته ، ويقوي من آليات حفره المعرفي بخصوص الظاهرة المستهدفة دراستها .

وفي جانب الإضافة يمكن أن يحسب لأسلوبية بالي الإيجابيات التالية :

١ - تأسيس عـلم مستقل لدراسة ظـاهرة الأسلوب في اللغـة ، وذلك بعد أن كانت هذه الظاهرة موزعة - بشكل انتقائي وغير منظم ، وإن لم يخل من الفوائد في بعض جوانبه التي أفاد منها بالي نفسه[١] - في مباحث البلاغة والنحو .

٢ - قدمت أسلوبية بالي بعض المفاهيم الأساسية التي أصبحت تمثل موضوعات معتـادة للنقـاش والتمحيـص في الدراسات الأسلـوبية اللاحـقة ؛ وذلك مثل: التعبيرية ، والقيم الأسلوبية ، والاختيار .

٣ - يمثل حديث بالي عن تـعبيرية المؤثرات الاستدعائية تراثاً مـبكراً لمعالجة تلك القضايا التي يـعالجها في ظرفنا التاريخي الراهـن عدد من العلوم ، وذلك مـثل مـعـالجة عـلـم الـلغـة الاجـتمـاعـي ، والأسلـوبـيـة اللـسـانيـة Stylolinguistics، والتداولية Pragmatics لقضايا : النوعـيات اللغوية ، والتـنوعـات اللـغويـة الجغـرافيـة والاجتـماعـية ، والـتحـول الشـفري

(١) انظـر : ب. قاير - ك . بـايلـون - تـرجـمة : طلال وهـبة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٢٨ : مدخـل إلى الألسنية . المركز الثقافي العربي - بيروت .

code-switching ، والسياق ، والحدث الكلامي . . . إلخ[١] .

أما جانب النقص فإن الإشكالات التي أثارتها أسلوبية بالي ، والانتقادات التي وجهت للأسلوبية التعبيرية عموماً ، والتعديلات التي اقترحتها اتجاهات أسلوبية أخرى ، كل ذلك يستحق وقفة متأنية .

ولعل أول ما يمكن أن يقف عنده البحث هو استبعاد بالي للأساليب الأدبية من مجال الدرس الأسلوبي . وذلك لأن لهذا الاستبعاد تضمينات تتعلق بالأسس النظرية نفسها التي انطلق منها بالي ، كما أنه كان بؤرة للنقد الموجه إلى أسلوبيته .

لقد كان المعيار الذي تم على أساسه هذا الاستبعاد هو أن الأسلوبية تختص بالاستعمال الجماعي العفوي ، أما الأساليب الأدبية فإنها لا تستعمل إمكانات اللغة على هذا النحو التلقائي الذي تستعملها به الأساليب الأخرى . فهناك في الأدب دائماً القصد الجمالي ، وهناك دائماً تنبه الأديب لتقاليد الجنس الأدبي الذي يؤدي من خلاله رسالته اللغوية . ومن ثم فوجود القصد ينافي العفوية ، ومراعاة التقاليد والأعراف الأدبية (مثلاً : الوزن والقافية في الشعر) مما يقع خارج إطار النظام اللغوي بمعناه الدقيق . ويضاف إلى ذلك أن سياق تعبيرية بالي يوحي بأن فكرة وجود «أسلوب أدبي» متميز هي نفسها موضع شك . وذلك أن النص الأدبي «لا يقتصر على جانب معين من التجربة الإنسانية ، ولا يستبعد أياً منها»[٢] . وبالتالي فهو يستهلك - كما في النصوص القصصية

---

(١) يمكن الرجوع حول مثل هذه القضايا في علم اللغة الاجتماعي إلى : د. هدسن : علم اللغة الاجتماعي . ترجمة : د. محمد عبد الغني عياد - ١٩٨٧ - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد .
وفي الأسلوبية اللسانية إلى : Enkvist, N., E., 1973: LINGUISTIC STYLISTICS. Mouton, The Hague-Paris, وفي التداولية إلى : Levinsion, S., 1983: PRAGMATICS. Cambridge University Press.

(2) Chapman, R., 1973, p. 13: LINGUISTICS AND LITERATURE, Arnold-London.

والمسرحية بشكل خاص - عدداً من الأساليب . فأين يمكن إذن أن نجد الأسلوب هنا مادمنا نفتقد التعبيرية التي تربط صاحبه بجماعة اجتماعية معينة ؟ وبتجربة إنسانية محددة ؟ . وحتى في بعض المواضع التي بدا فيها بالي وكأنه يدخل الاستعمالات الأدبية في الدرس كأن يقول مثلاً : «لقد آن الأوان كي لا تنظر إلى اللغة الأدبية على أنها شيء مستقل، أو خلق من عدم ؛ فهي قبل كل شيء كيفية خاصة من لغة الناس ؛ إلا أن المعاني البيولوجية والاجتماعية في لغة الناس تستحيل فيها معاني جمالية»[1] ، أقول حتى في هذه المواضع فإن بالي يقدم مبرر القصد المنافي للعفوية . ومادامت دائرة اهتمام الأسلوبية هي الاستعمال العفوي فإن النتيجة المترتبة على ذلك هي خروج الاستعمال الأدبي من هذه الدائرة .

لقد آمنت أسلوبية بالي - شأنها في ذلك شأن نموذجها اللساني أرساه دوسوسير - بـ «الكلي المتجانس» . ومن ثم فقد بدت النصوص الأدبية أمامها وكأنها من مجال «الكلام» الفردي. يقول بالي «إننا إذا درسنا أسلوب بلزاك - مثلاً - فإننا ندرس الأسلوبية الفردية لبلزاك . وسيكون هذا الأمر خطأ عظيماً. فثمة هوة لا يمكن تجاوزها بين استعمال الفرد للكلام في الظروف العامة التي تشترك فيها مجموعة لسانية ، والاستعمال الذي يقوم به شاعر ، أو روائي ، أو كاتب من الكتاب»[2] .

ويبدو لي أن لتفريق بالي بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ، ولاحتفائه الظاهر بالأولى أثراً كامناً هنا . فلأن النصوص الأدبية ترتبط عادة بالكتابة ؛ أي أنها لغة مكتوبة ، فإنه نظر إليها من خلال تلك الأوصاف التي نعت بها

---

(١) بالي ، ص ٣١ .

(٢) انظر تعليق الدكتور منذر عياشي على هذه العبارة فى كتابه : مقالات فى الأسلوبية . ص ٣٤ (سبق ذكره) . وانظر هناك ايضاً تفريق بالى بين الأسلوبية والنقد الأدبى .

اللغة المكتوبة مـن مثل قوله إنها دائماً «مظهر لأحوال ذهنـية وأشكال معنوية لا تعبر عـنها اللغة العاديـة» ، وإنها تظل «تحويلاً وتحـريفاً» للغة المنطـوقة ، وإنها «لغة لا زمنيـة . . . لا تكاد تعطي صورة من الحالة الحـاضرة للغة»[1] . وعلى الرغم مـن أن هذا القول قـد يوحي باحـتفاء ظاهـر بـ «الكلام» ؛ إلا أنـه في الحقيقة يثير مفارقة منهجية - سنعود إلى بلورتها بعد قليل - حين ندرك أن مادة الأسلوب عند بالي هى «اللغة» وليس «الكلام» . على أن ما يهم التوقف عنده هنا هو أن هذا الإطلاق التعميمي بخصـوص اللغة المكتوبة يدخل في إطار تلك النزعة المـضادة للبعد التـاريخي للاستعـمال اللغوي . وإذا كانت الـلغة في أي حالـة من حالاتهـا الآنية - شـأنها في ذلـك شأن الإنسـان - لا تتخلـص من تاريخـها، وإنما تعيشـه ممتزجاً بنسـق حاضرها وسيـاقه ، فإن إغفال هذا الـبعد يتعارض مع مقولة الوصف التزامني نفسـها التي ينبغي أن تأخذ في الاعتبار كل أشكال التنوعـات اللغوية المستعملـة ، ومن بينها الشكل المكـتوب . ولعل من الحقـائق الواضـحة التـي جلاها الـنظر الوصـفي - وبخـاصة في الـلسانـيات الاجتماعـية - أن العلاقة التاريـخية بين شكل لـغوي ممتد عبر التـاريخ ، وعبر نصوصه المـكتوبة والمنطـوقة ، قد تكون أقوى من الـعلاقة القائمـة بين أشكال متعاصرة تنتسب إلى فترة زمنية محددة[2] . وفي هذا السياق تبدو العربية نموذجاً واضحاً حـيث «العنـاصر الكتـابية فيهـا أقوى بكثـير من العـناصر الكـلامية ، والجانب التراثي لها أشد ضغطاً وأكثر فعالية من الجانب العفوي»[3] .

ولا شك أن «الهوة» التي يتحدث عنها بالي هنا إنما هي ناجمة عن النموذج اللساني الذي توافقت أسلوبيته مـعه ؛ أقصد لسانيات دوسوسير التي أرادت أن

---

(١) انظر : بالي ص ٤١-٤٢ .

(٢) انظر : Lyons, J., 1977, V. 2, pp. 620-21

(٣) د. صلاح فضل . ١٩٨٨ ، ص ٤٨ .

تصف اللغة بوصفها نظاماً آلياً في ذاته ولذاته ، دون النظر إلى ارتباطاته التاريخية والثقافية ، أو صيرورته وتنوعاته الاجتماعية في استعمال الأفراد[1] .

لقد حاولت أسلوبية بالي أن تتسق مع هذا الأصل المنهجي ، وذلك بأن وضعت الاستعمالات «الكلامية» في صورة «نماذج» ، أو في صورة «فئات أسلوبية» تعبر عن «فئات اجتماعية» . وبذلك تكون قد تجاهلت دور الفرد حتى في تحديد مفهوم الفئة أو الجماعة الاجتماعية . ولعل المأخذ الذي يمكن تقريره هنا هو أن أسلوبية بالي أغفلت دور الفرد ومبادراته في اختيار أنظمة سلوكه الكلامية التي يحدد من خلالها انتماءه إلى الجماعة التي يود الانتماء إليها[2] . وبالتالي أغفلت الدور الذي يلعبه «التقمص الأسلوبي» في الحراك اللغوي الاجتماعي عموماً ، وفي الأساليب الأدبية خصوصاً .

كذلك ثمة إشكال آخر في مفهوم «النماذج» في أسلوبية بالي وهو تحديد انتماء هذه النماذج ؛ أهي من مستوى «اللغة» ؟ أم من مستوى «الكلام» ؟ . إن عرض بالي لأساليب (الطبقة ، والجيل ، والمؤسسة - والمنطقة . . . إلخ) يميل بنا إلى أن ثمة أساليب مختلفة بقدر اختلاف العوامل والمحددات الاجتماعية. وبالتالي فإن «الأسلوب» يبدو وكأنه ظاهرة في الاستعمال ، أي ظاهرة في «الكلام» ، في حين أن المبدأ المعلن في النموذج اللساني هو دراسة

---

(١) لقد كان إصرار لسانيات دوسوسير على أن اللغة - وليس الكلام - هي الموضوع الحق لدراسة اللسانية مجال نقد شديد . ومن ذلك النقد الذي وجهه ميدفيديف وباختين - انظر : Swingewd, A., 1986, p. 22 : SOCIOLOGICAL POETICS AND AESTHETIC THEORY . Macmillan وكذلك النق الذي وجهه أصحاب علم اللغة الاجتماعي - انظر : Bell, R., T., 1976, pp. 20-23 SOCIOLINGUISTICS. B. T. Batsford LTD-Londod .

(٢) يقول هدسن : «ولابد أن ننوه إلى أن أن المجموعات هي تلك التي يدرك المتحدث الفرد وجودها، وليست بالضرورة هي نفس المجموعات التي يحددها عالم الاجتماع مستخدماً منهجه العلمي الموضوعي» - انظر : د. هدسن - سبق ذكره - ص ٥٥ .

«اللغة» ؛ أي ذلك الشيء الكلي المتجانس المشترك بين أعضاء مجتمع لغوي معين ، والمبدأ المعلن في النموذج الأسلوبي هو دراسة أسلوب الجماعة الاجتماعية ، ومن جهة كونه «اختياراً» من البدائل الكامنة في النظام المشترك .

وبالتالي أصبحت أسلوبية بالي تمثل مفارقة منهجية واضحة أدت إلى أن يطلق عليها أحياناً : «لسانيات العبارة (= الكلام) ، وأحياناً أخرى : «أسلوبية اللغة»[1] . ويشرح عبد الله صولة هذه المفارقة المنهجية بقوله : «ففي قولنا (لسانيات العبارة) مفارقة مأتاها كون اللسانيات تعني الدراسة العلمية الموضوعية الشمولية المجردة ، وكون العبارة تعني التفرد والذاتية . فكأن الجمع بينهما يؤدي إلى خنق الأسلوبية وحصر آفاقها ، وجعلها تنتهي إلى أن تكون مجرد وصف وإحصاء وتبويب ، وهو ما يناقض مرامى الأسلوبية نفسها، ويعود بها من بعض الوجوه إلى ميدان البلاغة ؛ أي إلى النزعة التبويبية . وفي قولنا (أسلوبية اللغة) ابتعاد بموضوع هذه الأسلوبية عما جعلت له ؛ أي البحث في تفرد العبارة»[2] .

لقد كان هدف إقصاء «الفرد» من عملية الوصف هدفاً مشتركاً بين لسانيات دوسوسير وأسلوبية بالي . وإذا كنا قد أشرنا إلى وصف بالي لدراسة أسلوبية الفرد بأنه «خطأ عظيم» فإننا نعيد إلى الأذهان ما قاله دوسوسير من أن الفرد لا يستطيع أن يغير كلمة واحدة في اللغة[3] . وهذه بدورها تمثل مفارقة في لسانيات دوسوسير : مفارقة بين تلك التجريدية المتعالية على الواقع المادي في مفهوم «اللغة» langue عنده ، والقول في الوقت نفسه بأن اللغة واقعة اجتماعية . لقد كان المفترض أن يؤدي المبدأ الثاني إلى تقديم دراسة «الكلام»

(١) عبد الله صولة : الأسلوبية الذاتية أو النشوئية . ص ٨٣ - مجلة فصول - م ٥ ع ١ - ١٩٨٤ م .

(٢) السابق ص ٨٣ .

(٣) انظر في تحليل هذه الفكرة : Silverman, D., & Torode, B., op. cit. p. 52

على اللغة باعتبار أنه أصلها ومحرك صورتها . .وفي هذه الحالة كان من الممكن أن يأخذ الكلام الفردي الطبيعي - أي الـذي يتم في الاتصال الاجتماعي الحي - بدوره في النـظرية اللسانيـة على النحو الذي أخذه فـيما بعد في علـم اللغة الاجتماعي ، وفي الـتداولية ، وفي الأسلوبية الأدبية. غـير أن كلا الموقفين - موقف دوسوسيـر وموقف بالي - كان لهما خـلفيتهما الإيديولـوجية من خلال وضع هذا التقابل بين «الفرد» و «المجتمع» . وفي هذا السياق يقول بالي «فبما أن اللغة منظومة اجـتماعية ، فهي تقتضينا دائماً أن نضـحي بفكرنا الخاص من أجل فكر الناس جميعاً»[١] . لقدكان تفكير الرجلـين يدور في فلك هذا التقابل الذي حُل عن طريق ابتداع فكرة «العقد الاجتماعي»[٢] .

ولقد كان على الأسلوبية التعبيرية أن تتجاوز في مراحلها التالية موقف بالي من استعـمال اللغة في الأدب . ومن ثـم دخلت دراسة الأساليـب الأدبية في مجال الأسلوبية كما هو الأمر عند ماروزو ، ومارسيل كريسو ، وستيفن أولمان وغيرهـم . بل إننا نلـمح من عبارة كريـسو في هذا الصـدد نوعاً من تفـضيل التوجه بالبحث الأسلوب إلى هذه الأساليـب على ما عداها من أنماط الأساليب التي وقف عندها بالي . يقول كريسو : «إن العمل الأدبي، كأي إيصال آخر ، يزود الأسـلوبـية بمواد تحـتاجـها لـكي تتـابع إنجـازاتها . إنـها مـواد ملائـمة ومريحة»[٣]. ومع ذلك فـإن الأسلوبيـة التعبيـرية عند بـالي ما تزال تحـمل في

(١) بالي - ص ٣٠ .

(٢) انظر : Silverman, D., & Torode, B., op. cit. p. 52

(٣) انظر هذه العبارة في : منذر عـياشي ، سبق ذكره ص ١٤٤ ، وانظـر كذلك : د. صلاح فضل ، سبق ذكره ، ص ٤٦ - حيث يشير إلى رأى كريسو في أن «الدراسة الأسلوبية تقدم بيانات دقيقة مقنعة عن العمل الأدبي ، وإن كان هدفها الأخير يتجاوز دراسة أفراد معينين؛ إذ يتركز على تحديد القوانين العامة التي تحكم اختيار الـتعبير في إطار لغة محددة ، والعلاقة بين التعبير والـتفكير في هذه اللغة» . ومعنى ذلك أن كريسو يلتقي والخصيصة الجوهرية في أسلوبية بالي وهى أنها أسلوبية النماذج العامة .

طياتها إشكـالات ربما تكون أعمق من مجرد دخول النصـوص الأدبية في مجال دراستها . وهذا ما سيـحاول البحث أن يجلي بعض جوانبـه من خلال المناقشة التالية .

ذكرت مـن قبـل أن أسلوبـية بـالي تنـطلـق من أساس مـعرفـي مؤداه أن «الأسلوب» هو العنصر الوجداني أو التعبيري في اللغة . ومن الواضح أن هذه النـظرة تجعلـنا أمام نوعـين من المعنـى ، أو - على الأقل - أمـام طبقتـين من المعنى:

١ - المعنى الصريح ، أو المباشر ، أو المعرفي .

٢ - المعنى التعبيري .

ووفقاً لهذا التقسيم فإن العلـم الذي يدرس النوع الأول من المعنى هو علم الدلالة اللساني . أما العلم الذي يدرس النوع الثاني (المعنى التعبيري) فهو علم الأسلوب .

ومن ثم فقد كان وصف بعض الباحثين[1] لهذه النظرية بأنها تمثل شكلاً من أشكال «الثنائية» dualism وصفاً صحيحاً . ولعل مكمن الصعوبة التي تواجهها هذه النظرية الثنائية هو مشكلـة تحديد «المعنى المعرفي» أو «الدلالة الصريحة» : أين تبدأ ؟ وأين تنتـهي ؟ ، وبالتالي أين يبدأ «المعنى التعـبيري ؟ . ولقد ترتب على إثارة هذا السؤال أن استخلاص المعنى التعبيري «يبقى في نهاية الأمر تجربة فردية في القراءة»[2] ، وبالتالي فهو أمر «لا يخلو من الذاتية»[3] .

---

(1) Leech, G., & Short, M., op. cit. p. 18.

(٢) انظر مداخلة د. حمـادي صمود في : ندوة العدد : الأسلـوبية ، صو ٢١٨ - مجـلة فصول - م٥ ع١ - ١٩٨٤م .

(٣) السابق - الموضع نفسه .

وقد يكون من المهم في وقفتنا تلك أن نلفت الانتباه إلى بعض النتائج التي تترتب على القول بهذه الثنائية التي تستمد جذورها - كما يقرر بول ريكور - من الفلسفة الوضعية المنطقية[1] . وأول ما يمكن تقريره هنا أن هذه الثنائية توصل - في تحليلها النهائي - إلى إنتاج مفهومين للأسلوب : أولهما أن الأسلوب هو العنصر الوجداني أو التعبيري في اللغة . وثانيهما أن الأسلوب اختيار . وفيما يلي يحاول البحث أن يمحص هذين المفهومين ، وأن يناقش الإشكالات التي يثيرانها .

أولاً: الأسلوب = العنصر الوجداني أو التعبيري:

من الواضح أن أسلوبية بالي تذهب إلى أن الأسلوب هو تلك العناصر الوجدانية أو التعبيرية التي تطرأ على المعنى المعرفي في أشكال لغوية معينة ، وفي استعمالات معينة . ومن ثم فإن عمل الأسلوبي هو عزل هذه الأشكال والاستعمالات، وتصنيفها ، وتبويب معانيها التعبيرية . وهنا يمكن الذهاب إلى أن هذا القول قد يحمل في داخله نوعاً من النزعة «الإطلاقية» تتمثل في «تثبيت» هذه الأشكال والاستعمالات لأداء أغراض تعبيرية معينة . وبالتالي تبدو هذه الأشكال وكأنها تحمل تعبيريتها بضرورة ذاتية تتحرك معها أني تحركت، وبخاصة أنها ليست مرتبطة بالسياق الكلامي ، وإنما بالنظام اللغوي .

ولما كانت الوقائع اللغوية - بطبيعتها - وقائع دينامية ومرنة فإن هذا «التثبيت المتوازي» يغفل حقيقة أن سياقات لغوية واجتماعية مختلفة تنتج أساليب مختلفة. ومن ثم فإن ما يبدو عنصراً أسلوبياً تعبيرياً في سياق معين قد لا تكون له هذه القيمة الأسلوبية - أو بالأحرى قد تكون له قيمة مختلفة - في سياق آخر .

---

(١) عن : د. أحمد درويش ، ص ١٧١ ، سبق ذكره .

ولتوضيح ذلك نقول إن عبارة (قرأ فلان في سره آية الكرسي) تستدعي السجل اللغوي الخاص بالدين والتدين ، وأنها تعبر عن الورع أو ما إلى ذلك . ولكن لننظر إلى هذه العبارة نفسها في سياق رواية نجيب محفوظ (حضرة المحترم – ص ٧) : «وهو يغادر المكان قرأ في سره آية الكرسي» ؛ حيث تتحول تعبيريتها كلياً إلى الدلالة العميقة على التطلع العارم في نفس بطل الرواية (عثمان بيومي) للوصول إلى (الكرسي) الذي يجلس عليه المدير العام ، ولتصبح (آية الكرسي) هى آية المنصب التي ظل البطل يركض وراءها إلى النهاية .

وإذا كان بالي قد تحدث عن تعبيرية الصوت ، وحاول أن يحدد موارد هذه التعبيرية في عدد من الظواهر الصوتية مثل الشدة ورنات الحركات والتكرار . . .إلخ ، فإن كل سياق ترد فيه أي ظاهرة من تلك الظواهر يضفي عليها مغزى أسلوبياً فريداً . وعلى سبيل المثال فإن تكرار صوت /ح/ في النص التالي[1] :

يا رسحة الماء قد سدت موارده

أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام له

محلأ عن طريق الماء مطرود

يستمد قيمته الأسلوبية من تحوله إلى مؤازرة المغزى الكلي للنص ؛ وهو إحساس العجز وامتناع الطريق ، ومن ثم بقاء حركة الدوران التي تعود إلى نقطة البداية نفسها . فكما إن الذات هنا تدور حول المكان ولا تصل ، كذلك

(1) Ricour, P., 1977, op. cit., p. 90 .

الصوت يدور ويتكرر ، فتبدأ الوحدات المعجمية بصوت /ح/ وتنغلق بصوت /م/ لتصنع كل وحدة دائرة مغلقة ولكنها متكررة . ولا شك أن الذي أدى إلى هذا التحول ، ويؤدي إلى غيره من التحولات ، إنما هو السياق . وفي هذا الصدد يقول رينيه ويليك : «إن الأداة الأسلوبية stylistic device ليست ثابتة . إنها دائماً تتغير عن طريق سياقها الخاص»[١] . وهو يضرب مثالاً لذلك حرف العطف الواو : «فحرف الواو عندما يتكرر كثيراً في سياق قصة من قصص الكتاب المقدس يعطي للتعبير معنى الاطراد والوقار . لكن هذه الواو لو تكررت كثيراً في قصيدة رومانتيكية فإنها قد تعطي انطباعاً بالتعويق والإبطاء في وجه مشاعر ساخنة متدفقة»[٢] .

وإذا كنا قد سقنا من قبل مثالاً من رواية نجيب محفوظ (الطريق) لتعبيرية استدعاء الشكل اللغوي للفئة التي تستعمله (أستاذ الجامعة ، والصحفي ، وأستاذ الخدمة الاجتماعية ، وأحد شيوخ رجال الدين) ، فإن الوقوف عند رصد هذه التعبيرية الاستدعائية لم يوصلنا إلى المغزى الذي يربط بين هذه الجزئية والسياق النصي الذي وردت فيه . وفي هذا الصدد يمكن أن نقول إن النص هنا يحاول ترسيخ نسبية (الطريق) ؛ أي نسبية (الحقيقة) ، من خلال تعداد منظورات مختلفة لرؤيتها . ويزداد هذا الترسيخ تعميقاً عندما نجد أن رد فعل بطل الرواية على هذه الآراء هو «الفتور» و «الحيرة» و «الاستهانة» . ثم

---

(١) يروى أن إسحق الموصلي أنشد الأصمعي هذا النص الذي قاله في غضب المأمون عليه ، فقال له الأصمعي أحسن في الشعر ، غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها» - (انظر : د. عبد العزيز عتيق ، ١٩٨٦ - ص٣٠٧ : تاريخ النقد الأدبي عند العرب . دار النهضة العربية - ط٤) . وبطبيعة الحال فإن الأصمعي هنا يحتكم إلى معيار ثابت ، وهو أن تكرير حرف أو حرفين في كلمات الجملة الواحدة نوع من المماثلة ؛ أي تعقيد الكلام وموالاة بعضه فوق بعض .

(٢) انظر مقالة رينيه ويليك في : Sebeok, T., (ed.) 1960, p. 417 STYLE IN LANGUAGE. The M.I.T. Press.

هذا التعليق الذي يومئ إلى عدم امتلاك أي من هذه الآراء لسر الحقيقة : «لكن أحداً لم يعرف إن كانت كريمة صادقة أم كاذبة ، ولا إن كان الرحيمي موجوداً أم لا» . وبطبيعة الحال فإن التقابل بين «كريمة» و «الرحيمي» يأخذ في سياق الرواية بعداً يمثل وجهين من وجوه الحقيقة الوجودية .

ومن خلال هذه الوقفات البسيطة ربما يتبين لنا أن الاقتصار على مجرد رصد وجوه الاستدعاء التعبيري لا يكشف عن كثير من طبقات المغزى التي يفيض بها السياق .

وبطبيعة الحال فإن اعتماد الأسلوبية التعبيرية على فكرة الوصف الآلي للغة لا يحل هذا الإشكال . فالسياقات - حتى حالة معينة من حالات اللغة - تتباين وتتنوع . وإذا أخذنا «النص» - أي نص - على أنه سياق ، وإذا أخذنا «الكلمة» على أنها ممثلة لأي شكل لغوي ، فإن ملاحظة ريفاتير التي يقول فيها «إن الأسلوبية التعبيرية أغفلت النظر إلى تجسد المعنى في النص (السياق) ؛ حيث إن معنى الكلمة (الشكل اللغوي) - مهما يكن على مستوى اللغة - يتغير في النص حتماً بفعل ما يسبقها وما يليها»[1] ، تصبح ملاحظة صحيحة ومؤكدة لملاحظة رينيه ويليك السابقة .

ولعل هذه الملاحظة تكتسب مصداقيتها - بشكل متزايد - عند محاولة تطبيق أسلوبية بالي التعبيرية على النصوص الأدبية . فخلو نص معين من جدول هذه العناصر التعبيرية التي قام الأسلوبي بعزلها وتصنيفها سيؤدي - بالضرورة - إلى الحكم على هذا النص بأنه يخلو من «التعبيرية» ، وبأنه بالتالي يخلو من «الأسلوب» . ولا شك أن مثل هذا الاستنتاج يحتمل قدراً كبيراً من

(١) انظر ما قاله م. ريفاتير «معايير لتحليل الأسلوب» ص ١٢٥ - في : اتجاهات البحث الأسلوبي - ١٩٨٥ م - ترجمة د. شكري عياد - دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض .

الجدل والاختلاف معه . وذلك لسبب بسيط هو أن كل نص (سياق) إنما هو تحقيق لأسلوب . وإذا كان الأمر كذلك فإن غياب عناصر الجدول التعبيري يعد - في حد ذاته - سمة أسلوبية لهذا النص . وفي هذا السياق نتذكر قول ماكنتوش : «إن بعض المؤثرات التي تلفت إليها النظر بشدة يمكن أن نحصل عليها عن طريقة لغة عادية normal تماماً»[1] . ففي سياق النص يتحول العادي إلى غير عادي .

وعلى سبيل المثال فإن ما يسميه ياكوبسون بـ «النزعة الاستعارية» metaphoricism[2] تعد أحد المؤثرات التعبيرية البارزة في الشعر . ومع ذلك فإننا نجد قصائد جيدة وهي خلو من هذه النزعة : من ذلك مثلاً قصيدة صلاح عبد الصبور «أجافيكم لأعرفكم» في ديوانه «أقول لكم» ؛ حيث نجد النص وقد خلا تقريباً من أي تركيب استعاري عدا ثلاثة تراكيب يمكن أن نطلق عليها أنها تراكيب جاهزة أو مصكوكة (ظهر السوق ، تطول أحاديث الندامى ، بيت السما) ، ومع ذلك فهو يمتلك مؤثراته.الأسلوبية التي «تستلفت إليها النظر بشدة» .

1 أنا شاعر . .
2 ولكن لي بظهر السوق أصحاب أخلاءُ
3 وأسمر بينهم بالليل أسقيهم ويسقوني
4 تطول بنا أحاديث الندامى حين يلقوني
5 على أني سأرجع في ظلام الليل حين يفض سامركم

---

(١) انظر : Chotman, S., (ed.) 1971, p. 368 LITERARY STYLE. Oxford University Press.

(٢) انظر دراسة رينيه ويليك "stylistics, poetics, and criticism" في المرجع السابق p. 73 .

6 وحين يغور نجم الشرق في بيت السما الأزرق

7 إلى بيتي

8 لأرقد في سماواتي

9 وحيداً . . . في سماواتي

10 وأحلم بالرجوع إليكمُ طلقاً ومتلئاً

11 بأنغامي . . . وأبياتي

12 أجافيكم . . . لأعرفكم

وحيث إن سياق هذا البحث لا يتيح تحليلاً مفصلاً للكشف عن الجوانب الأسلوبية العميقة في هذا النص فإنني سأكتفي بالإشارة إلى بعض الملامح التي تؤكد تحقيقه لأسلوبه الخاص ، أو لنقل لمغزاه الأسلوبي .

وإذا كان عنوان النص يجسد - منذ البداية - مفارقة واضحة حين يجعل «المجافاة» وسيلة للمعرفة ؛ أي يجعل الابتعاد عن الآخر وسيلة لكثافة حضوره، فإن ثمة عدداً من المظاهر اللغوية والإيقاعية في النص يجسد بدوره هذه المفارقة . ومن ذلك ما يلي :

١ - استخدام ضمير الغياب المُكَنّي عن الأصحاب حين يكون الحديث عنهم وهو بينهم (عالم الاندماج) وذلك في : 3,4 واستخدام ضمير الحضور - المخاطب - المكني عنهم أيضاً حين يكون بعيداً عنهم (عالم الوحدة وذلك في : 5,10,12 :

والمغزى هنا **في الحضور غائبون ، وفي الغياب حاضرون .**

٢ - بساطة الجملة عند التعبير عن عالم الوحدة (في : 1,7,8,9,11,12) ، في مقابل تعقيدها (في : 2,3,4) عند التعبير عن عالم الاندماج . وهذا

يتضافر أيضاً مع البساطة الإيقاعية البادية عند الحديث عن الذات في وحدتها ، والكثافة الإيقاعية عند الحديث عنها وهى في عالم الاندماج .

المغزى : **في الوحدة تشف الحقائق وتتجلى ، وفي الاندماج تنعقد الظواهر وتتداخل .**

٣ - المقابلة بين مفهوم التفريغ في عالم الاندماج (تفريغ الكلام ، وتفريغ الشراب ، ثم انفضاض السامر وانطفاء الضوء الكوني ، في : 3,4,5,6) ومفهوم الامتلاء في عالم الوحدة (من خلال التعبير المباشر في 10 ، ومن خلال استخدام صيغ الجموع في 9,11) :

المغزى **الاندماج نقصان ، والوحدة اكتمال**

٤ - تكاثف ضمير الملكية في الكلمات (بيتي ، سماواتي ، أنغامي ، أبياتي) وتكرار شبه الجملة (في سماواتي) ، في الجزء الأخير من النص ، وهو الجزء المتمحور حول صورة عالم الوحدة .

المغزى : **يقين الامتلاك - أو امتلاك اليقين - يتم في عالم الوحدة ، وهذا الامتلاك مظهر من مظاهر يقين المعرفة .**

٥ - المقابلة بين ظرف المكان الأرضي (بظهر السوق) الذي يحدد موقع الأصحاب (عالم الاندماج) ، وظرف المكان العلوي (في سماواتي) الذي يحدد موقع الذات في عالم الوحدة .

المغزى : **الموقع الأول يقيم تماساً واضحاً مع فكرة اللغط والضوضاء المستدعاة من تضمينات (السوق) ، مما يعني إعاقة فعل المعرفة . والموقع الثاني يستعدي فكرة التجرد والسمو ، ومن ثم فكرة علم اليقين ؛ أي المعرفة الحقة .**

٦ - يرتبط بالنقطة السابقة تحديد الظرف الزماني لعالم الاندماج (بالليل) ، في مقابل انتفاء التحديد الزماني لعالم الوحدة :

المغزى : **في عالم الاندماج يكون حس الذات بالزمن - وبخاصة الزمن الليلي المعيق للإدراك الدقيق - عائقاً من التجرد لفعل المعرفة ، في حين تتحرر الذات من هذا الحس في عالم الوحدة لتستغرق في زمن المعرفة المطلقة؛ زمن الحلم (لأرقد في سماواتي ... وأحلم) .**

ومن ثم فمن مجموع تنويعات المغزى تلك ينهض المغزى الكلي للنص ، وهو المغزى الذي جسده العنوان حين جعل المجافاة طريقاً للمعرفة . ولقد توافقت تلك التنويعات مع المسار الأسلوبي للنص بتشكلاته المتنوعة أيضاً .

إن ثنائية المعنى في الأسلوبية التعبيرية تفترض ضمناً أن هناك أشكالاً لغوية محايدة أو بريئة . وهو افتراض لا يستند إلى معيار واضح يسنده . فكل استعمال للغة محفوف دائماً بارتباطات وتضمينات عاطفية أو أخلاقية أو إيديولوجية[١] . وإذا كان بالي نفسه قد أقر بعدم وجود انفصال بين الجانب العقلي والجانب الوجداني في اللغة (أنظر ص ٤٠ ما تقدم) فإنه بذلك يكون قد أقر ضمناً بأن الأسلوب قائم في كل استعمال لغوي . بيد أنه حين يرى (انظر ص مما تقدم) أن مهمة علم الأسلوب هي بحث لغة العقل ولغة الوجدان في علاقتهما المتبادلة ، وبحث نسبة كل واحدة منهما إلى الأخرى ، ودور كل منهما في تكوين هذا النمط التعبيري أو ذاك ، فإنه بذلك يكون قد أقر ضمناً بإمكان وجود استقلالية بينهما تسمح ببحث دور هذه وتلك . ولقد تبدت نتائج هذا الموقف المزدوج في مفهوم «الاختيار» الذي تبنته أسلوبية بالي ، بل الأسلوبية التعبيرية عموماً . وهذا ما سنتناوله النقطة التالية .

---

(1) Leech, G., & Short, M., op. cit., p. 18 .

ثانياً: الأسلوب = الاختيار :

لقد أدت هذه النظرية الثنائية إلى تبني مبدأ تفسيري ارتبط بمفهوم التعبيرية ارتباطاً وثيقاً[١] . ويقوم هذا المبدأ على فكرة أن الأسلوب «اختيار» ، وهو المبدأ الذي يظهر بشكل جلي على لسان أحد تلاميذ بالي - وهو كريسو - حين يقول : «إن مهمتنا هى أن نفسر الاختيار الذي يقوم به المتكلم في كل قطاعات اللغة المختلفة ليعطي قوله الدرجة القصوى من التأثيرية»[٢] . وحين نتفحص جوهر هذا المبدأ - في سياق النظرية الثنائية في الأسلوب - نجد أنه يقوم على أن اللغة - بوصفها نظاماً كلياً ، أو شفرة عامة - تقدم للمستعمل عدداً من «البدائل» التي يمكن أن تعبر كل مجموعة منها عن جوهر معنوي واحد ، أو لنقل : عن «مضمون» واحد ، ولكنها تتباين فيما بينها في درجة القوة التعبيرية .

وأول إشكال يواجهنا هنا هو تحديد طبيعة «الاختيار» . فمن الواضح أن بالي يربط ما بين الاختيار والعفوية . فالأسلوب عنده اختيار تلقائي . وعلى هذا الأساس استبعد الأساليب الأدبية لأنها تقوم على الاختيار القصدي . ولكن المشكلة هنا هى أنه وضع مبدأ الاختيار في صورة قطبين متقابلين : العفوية والقصد ، أو لنقل حسب مصطلحات لويس ميليك L. Milic : قطبي الاختيار العفوي اللاواعي unconscious option والاختيار القصدي الواعي conscious choice[٣] . والسؤال هنا هو : كيف ينهض مبدأ الاختيار أصلاً إذا كان مستعمل اللغة يمارسها بشكل خالص العفوية والتلقائية ؟ . إنه سيكون في

---

(١) انظر : Ullmann, S., op. cit. ch. vii

(٢) انظر السابق p. 102. n. 4 .

(٣) انظر مقالة لويس ميليك : "Rhetorical Choice and Stylistic Option : The Conscious and Unconscious Poles" في : Chatman, S., (ed.) op. cit., pp. 77-88 .

هذه الحالة يمارس «عاداته اللغوية» وليس اختيـاراته الأسلوبية التي تتباين أمامها قيم «البدائل الممكنة في النظام» وتتباين وظائفها ؛ أي تتباين قوتها التعبيرية .

وأتصور أن مـبدأ الاختيار - لـكي ينهـض أصلاً - لابد أن يفرق فـيه بين جانبين : جانب إنشاء الرسالة اللغوية نفـسها ، وهذه عملية يتداخل فيها الوعي واللاوعي ، أو لنقل : الجبر والاختيار ، وجانــب تفسير الرسالة ، وهذا ينظر إلى القصد الـكامن خلف العمليـة الأولى ؛ إلى ما يقصده الوعـي وما يقصده اللاوعي على حــد سواء . وذلك باعتبار أن «اللاوعي» هو نـتاج خبرة وتجارب سابقـة ، وأن ما يمكن أن نسمـيه بـ «اللاوعي الـلغوي» إنما هو نتـاج مهارة تم اكتسابها إلى أن تحـولت إلى «ملكة» فبدت وكأنها - حين الاسـتعمال - ممارسة خالصة العـفوية . ولذلك فإننا حين نحـلل نصاً ما ، ونكشف فيـه عن أشـياء يرى صاحـب النص أنهـا لـم تخطر له حين إنشاء نصه ؛ إنما نـكشف عن مظاهر لتلك الخبرة المـتدة بامتداد تحول المهارة إلى ملكة ؛ أي أننـا نكشف عن قصد الملكة . ومن ثـم يكون الأسلوب كامناً في عملية القصد برمتها .

ولقد وصل مبدأ الاختيار ذروة محاولة تقنينه على يد ريشارد أوهمان الذي اعتمد في أسلوبيته على المعطيات المبكـرة لنظرية النحو التوليدي التحويلي[1] . وحيث إن هذه النـظرية - في بداياتها - قد حـللت العلاقة بين التـراكيب على ضوء مـفاهيم ثـلاثة هى « الـبنية الـعميـقة » ، «البنـية السـطحية» و «قـواعد التحويل» فإنـها توصلت إلى الاعتقاد بأن صـور التراكيب السطحية الـتي تنتمي

(٣١) حول أسلوبية أوهمان التي اعتمدت على الصورة المبكرة لنظرية النحو التحويلي - انظر :

Leech, G., & Short, M., op. cit. pp. 20-4*

Enkvist, N., E., op. cit. pp. 79-81*

وحول الصلة بين الأسـلوبية ونظرية النحو التـحويلي يمكن الرجوع إلى مقـالة ج. ب. ثورن : «النحو التوليدي والتحليل الأسلوبي» في : اتجاهات البحث الأسلوبي - ترجمة د. شكري عياد - سبق ذكره - ص ١٥٥ - ١٦٩ .

إلى بـنية عمـيقة واحـدة ، أي إلى مضـمون دلالي واحد ، إنمـا هى تراكـيب «مترادفة» ، وأن تلك البنى السطحية المختلفة يمكن ردها إلى هذه البنية العميقة الواحـدة عن طريق قـواعد التحـويل . وبنـاء على هذا الـتصور أقام أوهـمان دراسته الأسـلوبية عـلى أساس أن الاختـلافات بين الأساليب إنما ترجـع إلى اختلاف تـطبيقـات «قواعد التحـويل» ما بين تـطبيق مكـثف (كما فـي أسلوب فوكنر)، أو أقل كثافة (كما في أسلوب هيمنجوي) . . . إلخ .

ولقد كانت تلك الـفكرة (فكرة اتفاق المعنى واختلاف الأسـلوب) مثار نقد لدى بعـض اتجاهات الأسلـوبية الأخرى ، وبـخاصة لدى مـن أسماهم لـيتش وشورت بأصـحاب النظـرية التوحـيدية monism في الأسـلوب[1] . فهـؤلاء يذهبـون إلى أن أي تركيبـين لغويين مخـتلفين إنما يـنتجان معـنيين مختـلفين ، وبالتالي أسلوبين مختلفين . ولقد تبنى الأسلوبيون القائلون بذلك مبدأ يرى أن «الأسلوب هو المعنى»[2] ؛ أي أنه ليس حلية إضافية زائدة على المعنى المعرفي ، وليس اختياراً بين مـترادفات ؛ لأنه - ببساطة - ليس هناك مـترادفات تعبر عن معنى واحد . وتـعود جذور هذا الاتجاه إلى فلسـفة كروتشه[3] ، بيد أنـه وجد تعبيره الأقوى - في قرننا الحالي - في الاتجاه النقدي الأنجلو - أمريكي المسمى

(١) انظر : Leech, G., & Shor, M., op. cit. pp. 24-6.

(٢) ويمكن القول أن النظـرية التاليفية في عدم الدلالة تـقدم دعماً قوياً لهذا المبدأ . ففي هـذه النظرية يقوم التوصـل إلى تعيين الـتمثيلات الدلالـية للجمـل على أساس أنه يـتم بالتاليـف بين المكونات الـدلالية للوحدات المعجمية التـي تؤلف عناصر الجملة ، وتعيين العلاقات النحوية الـقائمة بين هذه العناصر ؛ حيث إن «نسق الصرفيمات morphemes نفسـه يمكن أن يعني أموراً مختلفة عندما يوضع في ترتيبات تركيبية مخـتلفة» - انظر : Katz, J., 1972, pp. 35-36: Semantic Theory. Harper & Row, New York. وانظر كذلك: Atkinson, M., et. al., 1982, p. 189; pp. 199-216: Foundations of General Linguistics. UNWIN HYMAN, London.

(٣٤) انظر دراسة رينيه ويليك المشار إليها في (٢٠) p. 70 .

بـ «النقد الجديد» New Criticism . وقد لخص ويمسات - وهو أحد ممثلي هذا الاتجاه - هذا المبدأ بقـوله : «يبدو لي أن ليس ثمة ضرورة لتـقديم برهان على المبدأ القائل بتـماهي الأسلوب والمعنى ، وهو المبدأ الذي استـقر اليوم بثبات . إنه - كما يبدو لي - المبدأ الذي لا يكاد المنظر الحديث يهرب منه ، بل لا يكاد يرغب في ذلك[1] .

وقد يـكون في هذه الـنظرة - أو هذا المـبدأ - نوع مـن حدة المغالاة الـتي توجـد - في محـصلتـها الأخيـرة - تماهـياً تامـاً بين «علـم الدلالة» و «عـلم الأسلوب» ؛ وبالتالي فإن أحدهما يفقد شـرعية وجوده بوصفه علماً مستقلاً . ومن ثم فإن حل هذا الإشـكال عن طريق التفريق بين «المـعنى» و «المغزى» قد أسهم في إنقاذ البحث الأسلوب مـن الوصول إلى طريق مسدود . وذلك على أساس أن الترادف يقع في «المعنى» ؛ أي في المحـمول المنطقي ، أو في «البنية العميقة» بمـفهومها في كتابات تشومـسكي المبكرة[2] ، أما «المـغزى» فهـو شيء كامن في الأسلوب ؛ أي في آليات الاختيـار ، وسياقه ، وغاياته ، مما تكشف عنه تجربة القراءة .

وحتى تقـترب هذه المسألة من درجة الـوضوح فإنني أسوق الموقـف التالي الذي جاء في كتب التراث[3] ، وهو عبارة عن حوار دار بين أبـي العباس المبرد

(١) ترد عبارة ويمسات هذه في دراسة شاتمان المشار إليها في (٢) من مراجع المدخل p. 405 .

(٢) حول تطور مـفهوم البنية الـعميقة في لـسانيات تشومـسكي انظر : Matthews, P., H., "Deep Structure" pp. 148-158. في : Allerton, D., J., et. al. (eds.) 1979: Function and Context in Linguistic Analysis. Cambridge Uni. Press.

(٣٧) انظر مثلاً :

عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٢٠٥ - تحقيق محمد رشيد رضا - مطبعة محمد علي صبيح - ط ٦ .

فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب - ١/١٢٧- دار الفكر - بيروت .

السكاكي : مفتاح العلوم - ص ١٧١ - دار الكتب العلمية بيروت .

والكندي ، وذلـك حين تساءل هذا الأخيـر قائلاً : «إني أجد في كـلام العرب حشـواً ؛ يقولون : عـبد الله قـائم ، ثم يـقولون : إن عبـد الله قائـم ، ثم يقولـون : إن عبد الله لقـائم ، والمعنى واحد» . فـأجابه المبرد بقـوله : «بل المعاني مختلـفة . فقولهم : (عبد الله قائم) إخبار عـن قيامه ، وقولهم : «إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل ، وقـولهم :(إن عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر قيامه» . فالكندي هنا ينـطلق من تصور منطقي للمعنى : فهذه التراكيب الـثلاثة التي ذكرها تحمل مـعنى واحداً ؛ أي قضية منـطقية واحدة ، موضوعـها (عبد الله) ومـحمولها (الـقيام) . وبالتـالي فإن كل هذه التـراكيب مترادفة . أما المبرد فهو يرى أن كل تركيب يحقق - بالإضافة إلى هذا المعنى - مغزى يـشير إلى اخـتلاف سياق الخطـاب وعلاقة طرفيـة (المتكلـم والمخاطب) بمضمون الرسالة .

وقد لا يكون مـن قبيل الاستطراد أن نـقول إن عبد القاهر الجـرجاني أخذ تفرده في الـتفكير البلاغـي العربي من إيمانه بـهذه الفكرة ، وإلحاحه عـليها ، وذلك حين يقول بوضـوح : «ولا يغرنك قول الناس : قد أتى بالمعـنى بعينه ، وأخذ معـنى كلامه فـأداه على وجهـه ، فإنه تسـامح منهـم . والمراد أنه أدى الغرض . فـأما أن يؤدي المعنـى بعينه عـلى الوجه الـذي يكون عليـه في كلام الأول حتى لا تـعقل ههـنا إلا ما عقـلته هنـاك . . ففي غايـة الإحالة»[1] . فـ «الغرض» الـذي يعنيه الجرجـاني هذا هو ذلك المحمـول المنطقي، أو لنـقل هو «المعنى» المقابل لـ «المغزى» .

علـى أن هذا الحل بـدوره - أقصد الحـل عن طريق الـتفريـق بين المعـنى والمغزى - قد يفضي إلى شكل آخر من أشكال الـثنائية ، وحينئذ نتساءل : وما معيار التفريق بين المعنى والمغزى ؟ وأين ينتهي هذا ليبدأ ذلك ؟ . وهنا يمكن أن

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز - ص ٢٦٠ .

نقول إن هذا التفريق أمر ضروري ، على الأقل من الناحية النظرية . فمما لا شك فيه أن الحس اللغوي لا يمكنه إلا أن يقر بوجود تلك الصلة المشتركة التي رآها الكندي - مثلاً - في التراكيب السالفة الذكر . وهذا ما يؤكده ليتش وثورت أيضاً عندما يقولان إن ثمة «اعتقاداً منتشراً يرى أن المضمون الأساسي للجملة قابل للتعبير عنه في صورة قائمة من القضايا الأولية تؤلف مع العلاقات المتبادلة فيما بينها بنيتها العميقة ، أو تمثيلها الدلالي . وهناك كثير من المدارس اللسانية تأخذ بمسلمة مبدأ الترادف - أو المعنى نفسه في صور مختلفة - بوصفها حقيقة أساسية»[1] .

غير أن تلك القابلية ، أو هذه المسلمة ، إنما تعود إلى إحدى الملكات الأساسية في الذهن البشري ، وهي قدرته الدائمة على التجريد وإدراك التشابه من خلال إسقاط الاختلافات . ولا شك أن هذه القدرة إنما «تعمل» وفق قانون الاهتمام ، وهو - بطبيعته - قانون سياقي ؛ بمعنى أنه يتغير من موقف إلى آخر ، ومن حالة إلى أخرى . فما يبدو غير مثير للاهتمام في موقف قد تكون له الأهمية كلها في موقف آخر . وبالتالي فإننا قد نكون في موقف يمثل فيه إدراك الصلة بين الجمل المشتركة في بنيتها العميقة (إدراك المعنى) مغزى دالاً على طبيعة اهتمامنا : ومن هنا يعبر موقف الكندي - مثلاً - عن طبيعة اهتمامه المنطقي .

وإذن يمكن القول إنه لا يوجد استعمال للغة إلا والمغزى كامن فيه ، وإننا عندما نقارن بين اختيار واختيار إنما نقارن بين مغزى ومغزى . ولعل الثغرة التي لا تستطيع ثنائية أوهمان الدفاع عنها هي أنه تصور - بإجراءاته التحويلية - أنه يرد المغزى إلى المعنى . فهو عندما سلب جمل فوكلر - مثلاً - من إجراءاتها التحويلية ، وردّها إلى جمل بسيطة أساسية kernel sentences ، إنما قدم جملاً

(١) انظر : Leech, G., & Short, M., op. cit. p. 23.

يمكن أن نجدها في نـص آخر ، فتشكل بذلك سمة أسلـوبية ذات «مغزى» في سياقها الجديد .

ولما كانت فكرة «المغزى» تـرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة تعدد الـوظائف اللغوية فقد كان المدخل الأسلوبي التعددي - متمـثلاً في الاتجاه الوظيفي وبخاصة عند هالـيدي - ذا جـدوى واعدة - في أكـثر من نـاحيـة - لسد ثـغرات الثـنائـية الأسلوبية . ففي حين حصر بالي وظائف اللغة فـي وظيفـتين هـما التعبـير عن الفكر ، والتعبير عن الوجـدان ، فإن هاليدي يرى أن للغة ثلاث وظائف[1] هى :

* الوظيفة التصورية ideational وهى قيام اللغة بالتعبير عن الحقائق الإدراكية والمعرفية ، وكذلك قيامها بتنـظيم هذه الحقائق ، خلال تجربة الإنسان مع عالم الواقع .

* الوظيفة التـفاعلية interpersonal حيث يستخدم المتكـلم أو الكاتب اللغة بوصفها وسيلة لإقحام ذاته في الحدث الكلامي ، وذلك من خلال قيامها بالتعبير عن تعليقاته وميوله ، وتقويماته ، وعن علاقته بمستمعه .

* الوظيفة النصية textual حيث تقوم اللغة بالإشارة إلى ذاتها خلال النص . وبهذه الوظيفة يحقق النص تماسكـه الدلالي ، ويقرر العلاقات القائمة بين جملـه وأجزائه . وتبدو هذه الـوظيفة بوضوح فـي تعبيرات مثـل : كما أشرت سابقـاً ، وخلاصة ما سبق ، وسـيأتي الحديث عن ذلـك ، وعلى العكس من ذلك ، وبالإضافة إلى هذا . . . إلخ ، كما تبدو في مؤشرات

---

(١) انظر دراسة هـاليدي « Linguistic Function and Litrary Style: An Inquiry into the Language of William Golding" "The Inherthors" « في Chatman, S., (ed.) 1971, op. cit. p. 332-34 .

عود الضمير والإشارة إلى الخطاب نفسه مثل : (هذه قصة من قصص ألف ليلة وليلة) ، أو إلى أجزاء منه مثل : (في هذه المقدمة سأشرح. . . ، . . . إلخ) .

ومن خلال تأكيد هاليدي على مكانة علم الدلالة في الأسلوب[1] ، وتأكيده على أن وظائف اللغة تؤثر على بنيتها[2] ، فإن الأسلوب عنده يكون قائماً في كل اختيار لغوي ، بما في ذلك اختيار موضوع الحديث[3] . فالنظام اللغوي عند هاليدي شبكة من الاختيارات الوظيفية المتقابلة على كل مستويات هذا النظام :

أ - المستوى الصوتي: الأصوات المجهورة في مقابل المهموسة، والصوامت في مقابل الحركات ، والشديدة في مقابل الرخوة . . . إلخ .

ب - المستوى الصرفي : التقابلات القائمة في إطار مقولة العدد : المفرد والمثنى والجمع ، والتقابل في إطار مقولة النوع : المذكر والمؤنث ، والتقابل في إطار مقولة التعيين : النكرة والمعرفة . . . إلخ .

ج - المستوى النحوي : الجملة الفعلية في مقابل الاسمية ، والاستفهامية في مقابل الخبرية ، والجملة البسيطة في مقابل المركبة أو الموسعة . . . إلخ .

د - المستوى الدلالي : أسماء المحسوسات في مقابل أسماء المعاني ، المحسوسات الحية في مقابل المحسوسات غير الحية ، المحسوسات الحية الإنسانية في مقابل المحسوسات الحية غير الإنسانية . . . إلخ .

---

(1) Ibid. p. 330 .

(2) Ibid. p. 333.

(3) Ibid. p. 346.

ومن ثم فإن كل اختيار يقوم به الكاتب يمكن أن يُرى على ضوء خلفية مقابل آخر ، ومن خلال هذا التقابل يمكن أن يتكشف لنا مغزى هذا الاختيار أو ذاك .

وللتمثيل لذلك نأخذ - في عجالة سريعة أيضاً - نصاً آخر من نصوص صلاح عبد الصبور الشعرية هو قصيدة «الصمت والجناح» في ديوانه «أحلام الفارس القديم» (الأعمال الكاملة ، ص ٢١٧) .

1 - الصمت راكد ركود ريح ميته*
2 - حتى جنادب الحقول ساكته
3 - وقبة السماء باهته
4 - والأفق أسود وضيق بلا أبواب
5 - منكفىء من حيثما التفت كالسرداب
6 - ونحن ممدودان في ظلال حائط قديم
7 - مفترشان ظلنا
8 - ملتحفان بالعذاب
9 - وفجأة أورق في حقل السما نجم وحيد
10- ورف في الصمت البليد ريش طائر فريد
11- همست يا صديقتي توجهي لربنا
12- وناشديه أن يبث في ظلالنا
13- رفرفة الحياة من جديد

(*) هكذا ورد السطر الأول في الديوان . وهو بمعايير العروضيين للرجز لا يستقيم . فهل هو مقصور قصداً فنياً بحيث يوازر العدول الإيقاعي الدلالة الكامنة التي يجسدها الجزء الأول من النص كما سنرى بعد قليل ؟ أم أن السطر في أصله كان سطرين : الأول : الصمت راكد ، والثاني ركود ريح ميته : ومن ثم فوروده على هذا النحو مجرد خطأ مطبعي ؟ . إن كانت الثانية فهو خطأ صادف سياقاً فاستوى!! .

ولعله من الواضح - بدءاً من القراءة الاستكشافية الأولى - أن النص يقيم تقابلاً بين عالمين : عالم «الصمت» (1-8) وعالم «الجناح» (9-13) وإذا كان الصمت ينطوي على المكون الدلالي (- كلام) والجناح ينطوي على المكون (+ حركة) فإن الجمع بينهما يقيم تفاعلاً دلالياً فيتحول مكون كل دالة إلى نقيض مكون الدالة الأخرى . ومن ثم يصبح مكون الصمت هو (- حركة) ومكون الجناح هو (+ كلام) . ولقد انعكس ذلك في النص فرأينا عالم الصمت يتجسد في دوال انعدام الحركة ، ورأينا عالم الجناح يخترق الصمت البليد ، ويستدعى دالتين كلاميتين واضحتين : همست ، وناشديه .

وإذن يمكن القول إن بنية الصمت في هذا النص هى قطب السلب ، في حين أن بنية الجناح هى قطب الإيجاب . ويكون من مهمة التحليل الأسلوبي هنا أن تستكشف الكيفية التي انبنى بها أسلوب النص من خلال انقسامه إلى أسلوبين متقابلين ؛ أي أن نرى بنية عالم الصمت على ضوء بنية عالم الجناح ، وبنية عالم الجناح على ضوء بنية عالم الصمت . وطبيعة الحال فإن من المتوقع أن ينعكس هذا التقابل على كل مستويات التشكيل اللغوي للنص .

ولعل فيما سبق إشارة إلى التقابل على مستوى المكون الدلالي للدالتين المحوريتين في النص ؛ دالة الصمت التي يدور في فلكها الجزء الأول من النص ، دالة الجناح التي تمثل محور الجزء الثاني . وإذا كنا قد رأينا مكون كل واحدة منهما على ضوء مكون الأخرى ، فإن نظرة سريعة إلى المكونات الدلالية للدوال الأخرى الواردة في الجزء الأول ، وتلك الواردة في الجزء الثاني ، تكشف - بوضوح - عن هذا التقابل نفسه :

* عالم الصمت = قطب السلب :

الركود = (- حركة)

ميتة = (- حياة)

ساكنة = (- صوت)

باهتة = (- لون)

ضيق = (- اتساع)

منكفئ = (- اعتدال)

بلا أبواب = (- المفتاح)

قديم = (- جدة)

* عالم الجناح = قطب الإيجاب :

أوراق ، حقل = (+ اخضرار)

نجم = (+ ضوء)

رف ، توجهي ، يبث ، رفرفة = (+ حركة)

همست ، ناشديه = (+ كلام)

وحيد ، فريد ، جديد = (+ جدة)

وإذا كان هذا التقابل واضحاً على مستوى المكونات الدلالية لدوال النص فإنه يتعزز بتقابلات أخرى على المستويين : الصوتيمي والتركيبي . فعلى المستوى الصوتيمي يمكن أن نرصد ثلاث ملاحظات :

أ - التقابل بين شيوع الحركة الطويلة (الألف) في الجزء الأول ، وشيوع الحركة الطويلة (الياء) في الجزء الثاني :

المغزى : **تجسيد انطباع المخالفة والتغاير نتيجة تغاير الانطباع السمعي الناجم عن الحركتين .**

ب - ازدياد نسبة شيوع صوتيم /ر/ في الجزء الثاني بشكل يستلفت النظر .
فعلى الرغم من قصر هذا الجزء بالنسبة للجزء الأول فإن هذا الصوتيم يتكرر في الجزء الثاني ٨ مرات ، وفي الجزء الأول ٥ مرات .

المغزى : **استغلال خصيصة التكرارية في هذا الصوتيم مما يعضد من تلك الحركية المهيمنة في الجزء الثاني قياساً على الجزء الأول .**

ج - ازدياد نسبة شيوع صوتيمي /ب/ و /ت/ في الجزء الأول عنها في الجزء الثاني بدرجة تصل إلى الضعف . والصوتيمان كلاهما انفجاري :

المغزى : **تحقيق التجاوب مع الضيق النفسي المهيمن على الجزء الأول .**

وعلى المستوى التركيبي يمكن أن نلاحظ التقابل واضحاً بين تراكم الجمل الاسمية في الجزء الأول من النص ، وتركم الجمل الفعلية في الجزء الثاني . وكذلك بين استخدام الجمل الخبرية التقريرية في الأول ، وتنوع جمل الجزء الثاني بدخول التراكيب الإنشائية (يا صديقتي ، توجهي ، وناشديه) :

المغزى : **تعزيز لدلالة المسئولية في عالم الصمت ، ودلالة الحركية في عالم الجناح .**

وبطبيعة الحال فإن كل اختيار من هذه الاختيارات الأسلوبية إنما اتخذ مغزاه من خلال السياق الذي ورد فيه . وفي هذه الحالة لا يقتصر الأمر على فحص الأسلوب في المظاهر اللغوية بمعناها الخالص ، وإنما يتعدى ذلك إلى كل ماله صلة بكيفية العمل : فإذا كان هذا العمل مثلاً نصاً قصصياً فإن بنيته الكلية ، والشخصيات ، والمواقف ، والحبكة ، كل ذلك يدخل في تحليل أسلوب هذا

النص[١] . وإذا كان النص نصاً شعرياً فإن مـن المهم أن نلتفت إلى الدور الذي يلعبه التشكيل الإيقاعي ، وتشكلات القافية ، والتوزيع الكتابي لسطور النص، متزامناً كل ذلك مع المـعطيات اللغوية التي أشرنا إلى بعـض مظاهرها . وهكذا تتحول الأسلوبية مـن مجرد علم تصنيفي - كما هى أسلـوبية بالي - إلى علم وظيفي تحليل ممتد الآفاق .

(١) ينسب رينيه ويليك هذا المبدأ إلى Ulrich Leo - انظر دراسة ويليك المشار إليها في (٢٠) أعلاه .

الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى العربية

دراسة فى ضوء السياق اللغوى

بقلم الدكتور
محمد رجب محمد الوزير

مجال هـذا البحث هـو دراسـة الدلالة الـزمنية لـصيغة الماضـى فى ضوء السياق . وترجع أهـمية هذه الدراسة إلـى أنها تصوغ الدلالـة الزمنية لصـيغة الماضى فى ضوء سياقات نصوص لغوية متنوعة لم تكن شريحة مألوفة اعتمد عليها النحاة ، فالنصوص فى البحث لم يؤلف درسها من قِبَل النحاة . وتهدف هذه الدراسة إلى :

(١) صوغ الدلالات الزمنية الرئيسة لصيغة الماضى العربية وما يتفرع عنها من دلالات تختلف باختلاف الجهة من قرب أو بعد أو استمرار أو تكرار أو انتهاء . . . إلخ .

(٢) بيان العلاقة بين الدلالة الزمنية لصيغة الماضـى وما يجاورها من دلالات زمنية لصيغ أخرى فى سياق النص نفسه .

(٣) بيان آراء العـلماء العرب قدامى ومـحدثين فى الدلالـة الزمنية لصـيغة الماضى .

* أجيز هذا البحث بعد تحكيمه فى عام ١٩٩٥م .

(٤) بيان الجهد الذى قام به المستشرقون لدراسة الدلالة الزمنية لصيغة الماضى العربية..

ومادة هذا البحث نصوص لغوية جُمِعت من مظان عديدة ومتنوعة هى :

القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف من كتابَىْ : أوصاف النبى ﷺ للترمذى (ت ٢٠٩هـ) ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) ، والحكايات الواردة فى كتابين فى التفسير ، هما : الكشاف للزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) ، وتفسير الفخر الرازى (ت ٦٠٤هـ) ، وكتاب مجمع الأمثال للميدانى (ت ٥١٨هـ) ، والدواوين الشعرية ، وهى : ديوان امرئ القيس ، وديوان عنترة بن شداد ، وديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، وديوان سحيم عبد بنى الحسحاس ، وديوان عمر بن أبى ربيعة ، وديوان الفرزدق ، الشعر الوارد فى المراجع الأدبية ، وهى : الأصمعيات للأصمعى (ت ٢١٣هـ) ، ورسائل الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ويتيمة الدهر للثعالبى (ت ٤٢٩هـ) ، وكتب المغازى والسير والطبقات ، وهى : المغازى للواقدى (ت ٢٠٧هـ) والسيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣هـ) ، والطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، وكتب التاريخ ، وهى : فتوح البلدان للبلاذُرِىّ (ت ٢٧٩هـ) ، وتاريخ الرسل والملوك للطبرى (ت ٣١٠هـ) ، ومروج الذهب للمسعودى (ت ٣٤٦هـ) ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) .

إن جهود علماء النحو القدامى والمفسرين فى توضيح مسائل متفرقة عن الزمن فى العربية أضاف إليها اللغويون العرب المحدثون جهودًا كبيرة فى مجال دراسة زمن الفعل ووضع تصور عام لدلالاته المختلفة ، وعمل جداول زمنية له ، وبحث مسائل فرعية متعلقة بالزمن ، ومن أبرز هؤلاء اللغويين فى هذا

المجال : الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه : من أسرار اللغة ، والدكتور تمام حسان فى كتابيه : مناهج البحث فى اللغة ، واللغة العربية معناها ومبناها ، والأستاذ حامد عبد القادر فى مقاله : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، المنشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجزء العاشر ، والدكتور مهدى المخزومى فى كتابيه : فى النحو العربى نقد وتوجيه ، وفى النحو العربى ، قواعد وتطبيق على المنهج الحديث ، والدكتور إبراهيم السامرائى فى كتابه : الفعل زمانه وأبنيته ، والأستاذ عباس العقاد فى مقاله : الزمن فى اللغة ، المنشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجزء الرابع عشر ، والدكتور حسن عون فى مقاله : عن الأساليب التعبيرية : كان + الماضى بدون قد - هذه هى مثار البحث ، وهو منشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الثامن والعشرون ، والدكتور محمود فهمى حجازى فى كتابه : المدخل إلى علم اللغة ، والدكتور مالك يوسف المطلبى فى كتابه : الزمن واللغة .

أما هذا البحث فإنه يحاول مايأتى :

أولاً : دراسة الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى ضوء سياقات نصوص لم تكن مألوفة لدى النحاة واللغويين .

ثانياً : بيان حد الثراء الزمنى الذى يفوق القسمة الثلاثية (الماضى والحاضر والمستقبل) بقسمين ، هما : الدلالة على ما قبل الزمن الماضى والدلالة على زمن ما بعد المستقبل اعتماداً على السياق ؛ مما جعل التصور عن الزمن العربى ليس مقصوراً على الأزمنة الثلاثة .

ثالثاً : وضع الأفكار المطروحة فى إطار الفكر اللغوى ، قديمه وحديثه ، عربيته

وأوربيته ، ولم يُمَثَّل فيها بوجهة نـظر واحدة . وفى النهاية النص هو الحكم للوصول إلى الحقيقة العلمية المنشودة .

منهج التحليل :

يقوم المنهج التحـليلى لدراسة الدلالة الزمنية لصيغة المـاضى فى العربية فى ضوء السياق اللغوى على عدة أسس توضح فى النقاط التالية :

(١) تُحَدَّد الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فـى البحث وكذلك جهتها من قرب أو بعد أو استـمرار أو تكرار أو انتهاء أو غـير ذلك فى ضوء السيـاق اللغوى للنصوص .

(٢) إذا وردت للـدلالة الزمنـية لصيـغة الماضى فـى ضوء سياق مـعين دلالات أخرى فرعيـة لها ، ذكرت الدلالة الرئيـسة بأمثلتهـا ، فالدلالات الأخرى الفرعية بأمثلتها .

(٣) إذا وردت دلالة زمنية كثيرة الاستعمال لـصيغة الماضى فى ضوء سياق معين أو موقع معين ، وأخرى مختلفة عنها وأقل استعمالاً منها ، ذكرت الأولى بأمثلتها ، فالأخرى بأمثلتها ، وأشير إلى الاختلاف بينهما .

(٤) تتم دراسة الـدلالة الزمنية لصـيغة الماضى فى كـل قسم فى حالة مجـيئها مثبتة ، فمجيئها منفية .

(٥) يُشار فـى البحـث إلى العلاقـة بين الدلالـة الزمنـية لصيـغة الماضـى وما يجاورهـا من دلالات زمنية أخـرى فى سياق النـص نفسه ؛ مما يـكون له الأثر الأكبر فى تحديد الدلالة الزمنية لصيغة الماضى بدقة .

(٦) يكون التركيز فى اختيار المادة من القرآن الكريم على آيات السور التى تتميز بالسياق القصصى الذى استخدمت فيه صيغة الماضى بكثرة وبدلالات زمنية

متنوعة ، كما في سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف ويوسف وابراهيم والنحل والكهف والنمل على سبيل المثال . ويفيد الباحث من كتب التفسير في إلقاء الضوء على سياق آيات تلك السور وغيرها ؛ حتى تتضح الدلالة الزمنية لصيغة الماضي فيها .

كما يكون التركيز أيضاً على كتب التاريخ التي قدمت الحكاية بأدق تفصيلاتها المرتبطة بتحديد الدلالة الزمنية وتعدد أنماطها من شخصيات وأحداث وملابسات وأحاديث مباشرة بعد لفظ (قال) أو ما في معناه أو محاورات وغير ذلك .

(٧) يُلْقى الضوء على ما يحيط بالنص الوارد في البحث من مناسبات وملابسات وشخصيات ؛ مما يوضح الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في ضوء سياقها اللغوي .

(٨) تُحلَّل مكونات بعض التراكيب الفعلية التي تحتوي على صيغة ماضٍ ، كما هو الحال مثلاً في أفعال الشروع التي تكوّن هي وصيغة المضارع بعدها وحدة واحدة لا تنفصل ، مؤداها أن حدثاً قد بدئ به في الماضي .

(٩) يوضح الباحث آراء علماء العربية القدامى واللغويين المحدثين من العرب والأوروبيين في كل دلالة زمنية لصيغة الماضي على حدة ، ويحلل هذه الآراء ويقارن بينها من حيث تناول هذه الدلالة ، ومدى قرب كل رأي أو بعده من الحقيقة التي تظهرها النصوص .

(١٠) تذكر في البحث المصطلحات المختلفة التي أطلقها العلماء على دلالة زمنية معينة لصيغة الماضي ، ويُختار أقربها نفعاً من الناحية العلمية لهذه الدلالة ، مع بيان سبب الاختيار .

(١١) إذا تُرجم رأي لمستشرق في البحث ، وكانت أمثلته التي أوردها دليلاً

على رأيه غير موثـقة ، ذكر رأيه واستُعيض عن أمثلته بأمـثلة أخرى مماثلة موثقة يأتى بها الباحث من مظانها ويشير إلى هـذه المظان فى الهامش .

(١٢) يُستعان فى البحث بجدول إحصائى لبيان عدد الأفعال الماضية التى وردت فى سياق « حكايـة الحال الآتية » عما أخبر به اللـه عز وجل عن أحداث يوم القـيامة وأوصافـها وقرب مجيـئها ، وبيـان مواضع هذه الأفـعال فى القرآن الكـريم وعدد مرات ورودها ونسبـتها المئويـة للوصول إلى نتـيجة علمية دقيقة .

(١٣) رغم الاعتماد على الوصف متمثلاً فى النصوص ، والتحليل المعتمد على آراء القـدامى والمحدثين ، فـإن البحث يـصل إلى نـقد جملـة من الآراء وإثبات بعض الآراء لدى الباحث .

وانطلاقاً من هذا كله ينتظم البحث إلى الأقسام التالية :

القسم الأول
دلالة صيغة الماضى على الزمن الماضى

لصيغة الماضى فى مجال الزمن الماضى دلالات عديدة متنوعة ، هى :

أولاً : الدلالة على حدث مُنْتَهٍ فى وقت ما من الماضى .

ثانياً : الدلالة على حدث بُدِئَ به فى الماضى وانتهى فيه كذلك .

ثالثاً : الدلالة على قرب وقوع الحدث فى الماضى .

رابعاً : الدلالة على تكرار وقوع الحدث فى الماضى .

خامساً : الدلالة على استمرار وقوع الحدث فى الماضى .

سادساً : الدلالة على انتهاء وقوع الحدث فى زمنٍ ماضٍ قريب من لحظة التكلُّم .

سابعاً : الدلالة على الزمن الماضى الدائم .

وفيما يلى بيان لهذه الدلالات فى ضوء السياق بالتفصيل :

أولاً : دلالة صيغة الماضى على حَدَثٍ مُنْتَهٍ فى وقت ما من الماضى :

وهى أكثر دلالات هذه الصيغة شيوعًا فى العربية ، نحو :

« حَضَرَ الطلابُ » ، و « فَهِموا الدرسَ » .

« كَبِر علىٌّ » ، و « أُلْحِقَ بالمدرسة » .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إذْ أَوَى الفتيةُ إلى الكَهْفِ فقالوا ربَّنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ [1] .

---

(١) سورة الكهف ، الآية ١٠ .

إن حَدَثى : الأُوِىّ والقول ، كما دل عليهمـا سياق الآية ، انتهيا فى وقت ما مـن الماضى ، دون تحديـد جهة زمنـية معيـنة ؛ كالقـرب مثلاً أو البـعد أو الاستمرار أو التكرار . . . إلخ .

ومنه قول امرئ القيس [1] :

وأدْبَـرْنَ كالجَـزْعِ المُفصَّـلِ بَيْنَـهُ ∴ بجيدِ الغُلامِ ذى القميص المُطَوَّقِ

فإدبار البقر الوحشى حدث منتـهٍ فى وقت ما من الماضى ومن ذلك حديث الحسن بن أبى الحسن البصرى ، عن مسراه ، ﷺ . يقول الحسن :

« فمضى رسولُ الله ، ﷺ ، ومـضى جبريلُ عليه السـلام معه ، حتى انتهى بـه إلى بيت المقدس ، فـوجد فيه إبراهيـم وموسى وعيسى فـى نفر من الأنبياء ، فأَمَّهُمْ رسولُ الله ، ﷺ ، فصلَّى بهم » [2] .

إن أحداث : المضىّ ، والانتهاء ، والوجـود ، والإمامة ، والصلاة ، كما دل عليها سياق الحديث ، أحداث منتهية فى وقت ما من الماضى .

وتعرض فيمـا يلى عدة تعريفات لهذا الـنوع من الاستعمال ثم تتـبع ببعض الملاحظات عليها . فمن هذه التعريفات :

(١) تعريف سيبويـه الذى اعتمد فيه على ذكر أشكال متنـوعة من صيغ الماضى دالة على الـزمن الماضى ، دون تحديد لأيـة جهة ، يقول : « فأمـا بناء ما مضى فذَهَب وسَمِع ومكُث وحُمِد » [3] .

---

(١) ديـوان امرئ الـقيس : ص١٥٣ ، البيت ٢٧ من قـصيدته (الا انعـم صَباحاً) ، والبيت من بـحـر الطويل . ويعـنى بـ (ادبرن) : البقر الـوحشى ، شبّههن فى صفـائهنّ وبريقهن واختـلاف الوانهن بالجزع ، وهو الخرز .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٢/٣٩٨ .

(٣) الكتاب : ١/١٢ .

(٢) عَرَّف الزمخشرى هذا النوع بأنه « الدال على اقتران حَدَثٍ بزمان قبل زمانك » [١] .

(٣) سمَّاه الدكتور تمام حسان « الماضى البسيط » [٢] وعرَّف البساطة بأنها « الخلو من معنى الجهة أو بعبارة أخرى عدم الجهة فيكون معنى الجهة هنا معنى عدميا » [٣] .

(٤) أطلق الأستاذ حامد عبد القادر عليه اسم « الماضى المطلق » [٤] ورأى أنه « أبسط الأنواع وأعمها فى الدلالة . . . أما أنه أعمها فى الدلالة فلأنه يدل على مجرد وقوع الحدث فى الماضى دون الإشارة إلى قرب أو بعد أو استمرار أو انقطاع أو توكيد أو غيره » [٥] .

وتابعه فى هذه التسمية الدكتور مهدى المخزومى ، فيشير إلى أن بناء (فَعَل) يدل « على أن العمل تَمَّ فى زمان ماضٍ مطلق ، مثل قولهم : دخل الزائرون وجلسوا فى أماكنهم ، وهو الاستعمال الأصل والدلالة الأساس فى بناء (فعل) » [٧] .

(٥) أشار الدكتور مالك المطلبى إلى أن صيغة الماضى تُعَبِّرُ « عن دلالة زمنية غير محددة فى الماضى » [٧] .

---

(١) ذكر ابن يعيش هذا التعريف (فى شرح المفصل : ٤/٧) وشرحه بقوله : « الماضى ما عدم بعد وجوده فيقع الإخبار عنه فى زمان بعد زمان وجوده ، وهو المراد بقوله الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك أى قبل زمان إخبارك . ويريد بالاقتران وقت وجود الحدث لا وقت الحديث عنه » .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .

(٣) الكتاب نفسه : ٢٤٥ .

(٤) مقالة : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، مجلة مجمع اللغة العربية : ٦٧/١٠ .

(٥) المقالة نفسها : ٦٥/١٠ .

(٦) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٢٢ ، ١٥٤ .

(٧) الزمن واللغة : ٢٢٠ .

(٦) رأى زُوكِن[١] أن صيغة الماضى تكون « الزمن الفعلىّ للحكاية [٢] (الماضى التاريخى) [٣] حين يكون الكلام عن حدثٍ منتهٍ فى الماضى [٤] ، وعادةً ما تُتَرْجَمُ هـذه الصيغة بـصيغة الماضى البسيط فى اللغـة الألمانية مثل : جاء زيدٌ » [٥] .

وافَقَ زُوكِن كلٌّ من ركندورف [٦] وبروكلمان [٧] فى أن صيغة الماضى العربية هى الزمن الفعلى للحكاية .

(٧) أوضح دينز[٨] أنه « بالنظر إلى نقطة حاضر المتكلِّم (أو الكاتب) بوصفها الوقتَ المُعَيَّنَ [٩] ، تُعَبِّرُ صيغةُ الماضى (فَعَلَ) عن زمن الماضى البسيط [١٠] ، مثل : جاء » [١١] .

من التعريفات السابقة تتضح عدة أمور ، هى :

١ - ورود مسميات مختلفة لهذا النوع ، منها ما اتخذ الشكل أساسًا ، وهو « بناء ما مضى » ، ومنها ما اتخذ المعنى أساسًا ، مثل : « الماضى

---

(١) SOCIN, A.
(٢) Das Tempus der Erzählung.
(٣) Perfectum historicum.
(٤) Einer abgeschlossenen Handlung in der Vergangenheit.
(٥) SOCIN, A : Arabische Grammatik, § 98, s.S. 90.
(٦) RECKENDORF (H.) : Arabische Syntax, § 7, s.S. 10.
(٧) BROCKELMANN, CARL : Arabische Grammatik, § 91, s.S. 119.
(٨) DENZ.
(٩) Als Relationswert.
(١٠) Die einfache Vergangenheit.
(١١) DENZ, ADOLF : Die Struktur des klassischen Arabisch, s.S. 71.

البسيط » و « الماضى المطلق » ، ومنها ما اتخذ الموضوع أساسًا ، وهو « الماضى التاريخى » .

ويلاحظ أن « الماضى البسيط »[1] و « الماضى التاريخى »[2] مسميان منقولان من قواعد اللغات الأوروبية .

٢ - أن دلالة صيغة الماضى على حدث منتهٍ فى وقت ما من الماضى تستعمل كثيرًا فى الحكاية .

٣ - أن انتهاء حدث هذا الزمن يكون قبل نقطة حاضر المتكلم أو الكاتب ، أى قبل وقت الإخبار بهذا الحدث .

٤ - أن هذا الزمن هو المعنى الأصلى لصيغة الماضى فى العربية .

نفى صيغة الماضى الدالة على حدث منته فى وقت ما من الماضى :

تنفى صيغة الماضى الدالة على حدث منتهٍ فى وقت ما من الماضى (فَعَلَ وما يشبهها) بـ « لم يفعل » و « ما فَعَلَ »[3] ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الرَّسُولُ لا يَحزُنْكَ الذين يُسَارِعُونَ فى الكُفْرِ من الذين قالوا آمَنَّا بأفواهِهِمْ ولم تُؤْمِن قُلوبُهُمْ ﴾[4] .

---

(١) يقابل : Die einfache Vergangenheit فى الألمانية .

(٢) يقابل : Perfectum historcum فى اللاتينية .

(٣) يقول سيبويه (فى الكتاب ٣ : ١١٧) : « إذا قال : فَعَلَ فإن نفيه لم يَفْعَل ... وإذا قال : لَقَد فَعَلَ فإن نفيه ما فَعَل ، لأنه كأنه قال : والله لقد فَعَل فقال : والله ما فَعَل » .

ولاحظ الدكتور مالك المطلبى (فى كتابه : الزمن واللغة : ٢٢١) أن نفى « فَعَل » بـ « لم يفعل » و « ما فَعَل » سواء من الناحية الزمنية عند سيبويه إذ هما ينفيان وقوع الحدث فى الزمن الماضى غير المحدد ، وأن النفى بـ « ما » آكد من النفى بـ « لم » ، يقول سيبويه (فى الكتاب : ٣/١٩٧) : « الحَلِفُ توكيد » .

(٤) سورة المائدة ، آية ٤١ .

فصيغة الماضى فى قوله (لم تؤمن) تدل على حدث منته فى وقت ما من الماضى .

وقول البَلاذُرِىّ (ت ٢٧٩هـ) : « وكانت خزاعة فى صلح رسول الله ﷺ ، فاقتتلت بنو بكر وخزاعة بعرفة ، فأمدَّتْ قريشٌ بنى بكر بالسلاح وسقوهم الماء وظللوهم ، فقال بعضهم لبعض : نكثتم العهد فقالوا : ما نكثنا والله ما قاتلنا إنما مددناهم وسقيناهم وظللناهم »[١] . فصيغة الماضى فى قوله (ما نكثنا) و (ما قاتلنا) تدل على حدث منته فى وقت ما من الماضى .

ثانياً : الدلالة على حدَث بُدِئ به فى الماضى وانتهى فيه كذلك :

وهى دلالة صيغة الماضى لأفعال الشروع[٢] مركبةً مع مضارع بعدها ، ومنها : طَفِق يَفْعَلُ ، جَعَل يفعلُ ، أخذ يفعلُ ، أنشأ يفعلُ ، عَلِقَ يفعلُ ، هَبَّ يفعلُ .

إنَّ التركيب الفعلى « طَفِقَ يَفْعَلُ » ، وأمثاله ، وحدة واحدة لا تنفصل ، مؤداها أن حدثًا قد بدئ به فى الماضى . وهذه الدلالة ليست مقصورة على جزء من التركيب دون الآخر[٣] . ففى نحو : « جَعَلَ خالدٌ يذاكِرُ » يتكون

(١) فتوح البلدان : ٥٠ .

(٢) سميت بأفعال الشروع لـ « شروع المسمَّى باسمها فى خبرها » . ينظر : شرح شذور الذهب لابن هشام : ١٨٩ .

(٣) إن وحدة هذا التركيب الفعلى ودلالتها فى الفصحى مازالتا تحكمان استعمال كثير من اللهجات العربية الحديثة ؛ ففى اللهجة المصرية مثلاً يقال : آم ينام aam yinaam' اى قام ينام ، وفى منطقتى جنوب الشرقية والباطنة بسلطنة عُمان يقال : جام يُوكِل gaam yuukil اى : قام يأكلُ ، وفى منطقة الداخلية بها يقال : بَدَ يْسِير bada ysiir اى : بدا يَسِيرُ ، وبَدْيِتْ تسِيرْ badyit tsiir اى بداتْ تَسِيرُ . وفى لهجة الرباط بالمغرب يقال : بْدَا ياكُلْ bdaa yaakul اى بَدَآ ياكُل ، وبْدَاتْ تاكُل bdaat taakul اى : بَدَاتْ تاكُل . ويلاحظ ان فعل الشروع فى هذه اللهجات يسند ، كما هو فى الفصحى ، إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

التركـيب من حدث رئـيس هو « يذاكـر » ؛ وجِهَةِ بدء هذا الحدث فـى الماضى متمثلة فى (جعل) .

فلو فُصِل هذا التركيب لخرج الفعل (جـعل) عن معنى الشروع إلى معنى آخـر كالإيجـاد مـثلاً فى نحـو قوله تعالـى : ﴿ وجَعَلَ الظُّلمات والنورَ ﴾ [1] أى : أوجدهـا ؛ أو التحـوّل فى نحـو : « جعلـتُ الخشَب كُرْسيًّا » ، أى : صيَّرتُه ، ولأخذ الفـعـل (يذاكـــر) جهـة زمنيـة أخرى غير جهـــة البدء فى الماضى .

أطلق الدكتور تمام حسان على الدلالة الزمنـــية لتركيب (طفـق يفعـل) : « الماضى الشروعى » [2] بالنظر إلى الجزء الأول من هـذا التركيب (طفق) . وأطلق الدكتور مالك المطلبى عليها : « الحاضر الشروعى » [3] بالنظر إلى الجزء الأخير من التركيب نفسه (يفعل) .

تتفرع الدلالة الزمنية لتركيب « طفـق يفعل » وأمثاله طبقًا للسياق الذى يرد فيه إلى فرعين :

الأول : الدلالة على حدث بُدئ به فى الماضـى وانتهى فى الماضى أيضًا وذلك إذا ورد التـركيب فـى الحكـاية . من ذلـك قوله تـعالـى : ﴿ وطَفِقا يَخْصِفَان عليهما من وَرَقِ الجنة ﴾ [4] . أى : « شرعًا يخيـطان ورقةً على أُخْرَى كما يُخْصَفُ النِّعالُ لـيستترا بها » [5] . لا شـك أن حَدَث

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .

(٣) الزمن واللغة : ٢٨٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٢ ، وسورة طه ، الآية ١٢١ .

(٥) ابن هشام : شرح شذور الذهب : ١٩٢ .

الخَصْف ، كما دل عـليه سيـاق الآية الكريمـة ، بدئ به فى المـاضى وانتهى فيه كذلك .

ومن ذلك أيضاً ما حكـاه الواقدى (ت ٢٠٧هـ) عن رجل من مُضَر قابل الـنبى ﷺ . زعم الـرجل أن قومه أول مـن حدا الإبل فقد أغـير على رجـل منهم فى الجـاهلية ومعـه غلام ، فنفـرت إبله وذهبت على وجهها شاردة ، فأمر الغلامَ أن يجمعها فرفض ، فضرب الغلامَ بـعصا « فجعـل الغـلامُ يـقـول : وايداه ! وايداه ! وتجـتمع الإبلُ ، فجعل سيده يقول : قل هـكذا بالإبل ! وجعل النبىُّ ﷺ يضحك » [1] .

ورد فى هذه الحكاية ثلاثة أمثلة لتركيب (جعل يفعل) ويلاحظ أن حدثى القـول والضحك ، كما دل علـيهما سياق الحـكاية ، بدئ بهما فى الماضى وانتهيا فيه كذلك .

الآخر : الدلالـة على حدث بُدِئ به فـى الماضى القـريب واستمر فـى الحاضر وذلك فى استعمالاتنا اليوميـة لهذا التركيب . مثل ذلك : هَبَّ خالد يُصَلِّى ، وأخذ الأستاذُ يتكلم ، وجعل علىٌّ يعمل .

لوحظ من كلام النحاة على أفعال الشروع فى الاستعمال :

(١) أن لفظ المضى يلازمهن [2] .

(٢) أنها تسند إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

(٣) أن « طفق أشهرها » [3] .

(٤) أن « عَلِق » و « هَبَّ » أغربها [4] .

---

(١) المغازى : ١٠١١ .

(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ٣٨٩/١ .

(٣) ابن هشام : شذور الذهب : ١٩٢ .

(٤) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ٣٨٩/١ .

واظـن أن « جعل » أشهـر أفعال الشروع فى الاستعمال ، ولـيس كما قال ابن هشام .

يلحق النحاة العرب أفعال الشروع [1] عادة بباب (كان) وذلك لما يلى :

١ - « لمساواتـها لها فى الدخـول على مبتـدأ وخبر ، ورفع الاسـم ونصب الخبر، إلاَّ أن هذه الأفعال رُفض فيها ترك الإخبار بجملة فعلية » [2] فعلها مضارع [3] مجرد مـن أنْ ، « لأن (أنْ) تقتضـى الاستقبـال ، والشروع ينافيه » [4] .

٢ - لأنَّ « أخبارها حاصلة المضمون كأخبار كان » [5] .

٣ - لأن الاسم فى هذا الباب حقُّه « أن يكون معرفة أو مقاربا لها ، كما يحق ذلك لاسم كان » [6] .

ثالثا: الدلالة على قرب وقوع الحدث فى الماضى:

وهى دلالة صيـغة الماضى لأفعال المقاربـة مركبةً مع مضارع بـعدها . وقد يُسْبَقُ المضارع بـ « أنْ » [7] . ومن هذه التراكيب : كاد (أن) يفعل ؛ أوشك

(١) وكذلك تلحق أفعال المقاربة والرجاء ، وإن تنوعت أسباب الإلحاق .

(٢) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣٨٩/١ .

(٣) أوضح الدكتـور مهدى المخزومى فى كتـابه (فى النحو العـربى نقد وتوجيه : ١٨٨) أن مـا فى أفعال الشروع من دلالة عـلى البدء بالحدوث « هو الذى اقـتضى أن تكون (أخبارها) أفـعالا » ؛ لأن البدء بالحدوث « معنـاه : أن الشىء لم يكن ، ولكنه ... بـدئ به منذ حين ، وهذا مما ينـاسـبه الفعل دون غيره » .

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣٩٠/١ .

(٥) الرضى : شرح كافية ابن الحاجب : ٣٠٥/٢ .

(٦) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣٩٥/١ .

(٧) يرى سيبويه (ت ١٨٠هـ) إن اقتـران المضـارع فى خـبر كاد بـ « أنْ » خاصٌ بالشعر ؛ يقول (فى =

(أن) يفعل) ؛ كَرَب (أنْ) يفعل ؛ هلهل يَفْعَلُ ، أولى أن يفعلَ [1] .

إن تركيب « كاد (أن) يفعل » وأمثاله ، وحدة واحدة لا تنفصل مؤداها : قُرْبُ وقوع الحدث الوارد فى الخبر ، سواء أكان فعلا مضارعا أم مصدراً مؤولا ، ولا يلزم تحقق وقوعه بالضرورة .

هذه الدلالة ليست مقصورة على جزء من التركيب دون الآخر ؛ ففى نحو : « كاد خالد يسافرُ » ، يتكون التركيب من حدث رئيس هو « يسافر » وجهة قرب، وقوع هذا الحدث فى الماضى ، متمثلة فى « كاد » . وفى نحو : « كاد علىٌّ أن ينجحَ » ، يكون الحدث الرئيس هو المصدر المؤول (أن ينجح) وجهة

= الكتاب : ٣/١٥٩ ، ١٦٠) : « وأمَّا كاد فإنهم لا يذكرون فيها أنْ ، وكذلك كَرَب يفعلُ ، ومعناهما واحد . . . وقد جاء فى الشعر كاد أنْ يفعلٌ » . ونسب ابنُ عقيل (ت ٧٦٩هـ) رأىَ سيبويه السابق للأندلسيين فقال (فى شرحه على ألفية ابن مالك : ١/٣٢٩، ٣٣٠) : « وأما « كاد » فذكر المصنف أنها عكس « عَسَى » ؛ فيكون الكثير فى خبرها أن يتجرد من « أن » ويقلّ اقترانُه بها ، وهذا بخلاف ما نَصٌ عليه الأندلسيون من أن اقتران خبرها بـ « أن » مخصوص بالشعر » .

وارى ان ما جاء فى كتاب سيبويه ينفى ذلك .

أما ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/٣٨٩ ، ٣٩٠) فيرى أن أفعال المقاربة « التزم كون خبرها مضارعا مجرداً مع هلهل ، ولابد من مقارنة أن للمضارع المخبر به بعد أولى . . . وترك ذلك بعد كاد وكرب أولى من فعله . . . والأمر بعد أوشك سواء » .

(١) يرى سيبويه أن المصدر المؤول المكون من « أن » والفعل المضارع والواقع فى خبر كاد يكون منصوبا على نزع الخافض قياسًا ، واوجب العربُ حذف حرف الجر لكثرة الاستعمال . وتابعه فى ذلك ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) والرضى (ت ٦٨٦هـ) مُضيفَيْنِ إليه بقية أفعال المقاربة ويقدر هذا الحرف المحذوف ويختلف من تركيب إلى آخر على النحو التالى :

كاد أن يفعل ، بتقدير : كاد من أن يفعل .

أوشك أن يفعل ، بتقدير : أوشك فى أن يفعل .

كَرَب أن يفعل ، بتقدير : كرب من أن يفعل .

أولى أن يفعل ، بتقدير : أولى بان يفعل .

(ينظر : الكتاب : ٣/١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، وشرح التسهيل : ١/٣٩٤ ، وشرح الكافية : ٢/٣٠٤، ٣٠٥) .

قرب وقوعه ، وهى (كـاد) . ولا يلزم تحقق وقوع الحدث (السـفر فى المثال الأول ، والنـجاح فى المـثال الآخر) بـالضـرورة ؛ إذ لا يتحـقق وقوعـه فى السياقات العربية .

ويفهم من كلام للرضى (ت ٦٨٦هـ) عن « هلهل » [١] أن تركيبًا مثل : « كاد يفعل » وأمثاله ، فيـه مبالغـة فى قرب وقوع الحـدث أكثر مما لو قلت : « كاد أن يفعل » وأمثاله . ولكن بتناول دراسة الـدلالة الزمنية لهذين التركيبين فى بعض النصوص العربية ، من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر تبين من سياقاتها أنـه لا فرق فى الدلالة الزمنـيـة بين تركيب « كاد يفعل » وأمثاله ، وتركيب « كاد أن يفعل » وأمثاله [٢] . من ذلك :

(١) قوله تعالى على لسان هارون مخـاطباً موسى ، عليه السلام : ﴿ إنَّ القومَ استضعفونى وكادوا يقتلوننى ﴾[٣] . ففى قول هارون ﴿ كادوا يقتلوننى ﴾ مبالغة فى قرب قتل بنى إسرائـيل إياه ؛ فقد كان هارون ، عليه السلام ، يعظهم ويحذرهم من عبادة العجـل حتى قهروه وقاربوا قتله ، وحين شعر بذلك سكت عن فعل القوم ، وهو عـبادة العجل. ولكن الحدث (القتْل) لم يقع فى سياق الآيات .

---

(١) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٣٠٥/٢) : « وأما هلـهل فإنما الزم تجريد خبره من (أن) مع أنه بمعنى كاد ، لا بمـعنى طفق ؛ لأن المبالغـة فى القرب فيه أكثر . ومثـل هذا التركيب يدل علـى المبالغة كزلزل وصرصر ، فكأنه للمبالغة فى القرب لاحق بالأفـعال الدالة على الشروع ؛ فاستعمل خبره بغير ان ، نحو : هلهلتُ أقومُ » .

(٢) يؤيد ذلك ما رآه الدكتور مهدى المخزومى (فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٨٩) من أن دخول (أن) على الفعل بعد اوشك فى نحو : اوشك عمرو ان يقوم « لـن يغير طبيعة الجملة بعدهما ، ولن تحول بعدها إلى جملة اسمية » .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٠ .

(٢) قول جبير بن مطعم رضي الله عنه : « كاد قلبى أن يطير »[١] .

في هذا القول مبالغة أيضًا فى قرب وقوع الحدث (طيران القلب مجازًا) ؛ نظرًا لانزعاج جبير رضي الله عنه ، حين سمع آيات من سورة الطور وفهم معناها ، تلك الآيات التى قرأها النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم جبير رضي الله عنه عقب ذلك[٢] .

ويلاحظ أن الحدث (طيران القلب مجازًا) لم يقع فى سياق الحديث الشريف .

(٣) قول عمر بن أبى ربيعة[٣] :

فَدَلَّ عليها القلبَ رَيًّا عَرَفْتُها ∴ لها ، وهَوَى النَّفْسِ الذى كادَ يَظْهَرُ

.... ∴ ....

فَحَيَّيْتُ إذْ فاجأتُها فتولَّهَتْ ∴ وكادَتْ بمَخْفُوضِ التَّحيةِ تَجْهَرُ

فقوله فى البيت الأول : « كاد يَظْهَرُ » فيه مبالغة فى قرب ظهور هوى نفس الشاعر ، بدليل أن هذا الهوى قد ظهر بسرعة بعد هذا الموقف مباشرة وذلك فى قوله : « فلمَّا فَقَدْتُ الصوت منهم . . . أَقْبَلْتُ مِشيةَ الحُبَابِ »[٤] .

---

(١) نص الحديث الشريف كما ورد فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (باب تفسير سورة الطور : جـ١٨ ص ٢٣٤) : « حدثنا الحميدىُّ : حدثنا سفيان قال : حدثونى عن الزُّهرىِّ ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال : سمعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية ﴿ أم خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَىْءٍ امْ هُمُ الخالِقونَ . . . ﴾ كاد قَلْبِى أنْ يطيرَ » .

(٢) ينظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى : ١٨/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة : البيتان : ٢٤ ، ٢٨ من القصيدة الأولى : ص٩٦ وهى من بحر الطويل ، والريا : الرائحة الطيبة . تولهت : تكلفت الوله وأظهرته ، والوله : الحزن وذهاب العقل والتحير من شدة الخوف . مخفوض التحية : الذى يسر منها ولا يعلن .

(٤) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة : جزآن من البيتين : ٢٥ ، ٢٧ من القصيدة نفسها : ص٩٦ .

وقوله فى البيت الآخر : « كادت بمخفوضِ التحيةِ تَجْهَرُ » ، فيه مبالغة أيضًا فى قرب وقوع الجهر بالتحية ؛ بدليل مفاجأته إياها ، وحالة الوله التى انتابت محبوبته .

ويلاحظ أن الجهر بها لم يقع فى السياق .

فلا فرق إذن بين النصوص الثلاثة السابقة فى درجة قرب وقوع الحدث فيما مضى .

وأرى أنه إذا وُجد فرقٌ بين نصين فى درجة قرب وقوع الحدث ، الأول فيه تركيب (كاد يفعل) ، والآخر فيه (كاد أن يفعل) ، رجع هذا إلى اختلاف بين سياقى النصين وليس إلى اختلاف بين التركيبين .

نفى (كاد يفعل) :

ينفى التركيب (كاد يفعل) غالبًا بـ (لم يكد يفعل) . ولهذا التركيب المنفى دلالتان زمنيتان :

الأولى : الدلالة على نفى قرب وقوع الحدث فى الماضى : مثل ذلك قولك :

لم يكد فلانٌ يموت ، « فمقاربة الموت منفية ويلزم من نفى مقاربة الموت نفى وقوعه . . . وقولك : لم يكد يموت أبلغ فى إثبات الحياة من قولك : لم يمت ، ولهذا قيل فى قوله تعالى : ﴿ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لم يَكَدْ يراها ﴾ [1] إن معناه : لم يرها ولم يقارب أن يراها » [2] .

الأخرى : الدلالة على نفى قرب وقوع الحدث فى زمن ما قبل الماضى [3] وإنْ

(١) سورة النور ، الآية (٤٠) .

(٢) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣٩٩/١ .

(٣) Die Vorvergangenheit.

وقع حدث فعل الجملة السابقة فى الزمن الماضى [1] : مثل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وما كادوا يَفْعَلُونَ ﴾ [2] . تتضمن هذه الآية زمنين ؛ الأول : زمن ما قبل الماضى ، وفيه نفى قرب وقوع الذبح ويمثله قوله تعالى : ﴿ وما كادوا يفعلون ﴾ [3] ، والآخر : الزمن الماضى ، وفيه وقوع الذبح ويمثله قوله تعالى : (فذبحوها) .

لوحظ من كلام النحاة على أفعال المقاربة فى الاستعمال :

(١) أن « أشهرها كاد » [4] . وأظن أن كلام ابن مالك أن « أشهرها كاد » صحيح ؛ لوجود أمثلة كثيرة استخدمت فيها (كاد) ومُثِّل ببعضها فى البحث .

(٢) أن هذه الأفعال يلازمهن « لفظ المضى إلاّ كاد وأوشك ، فإنهما اختصا باستعمال مضارعيهما » [5] .

(٣) أنها تسند إلى الاسم الظاهر وإلى ضمير التكلم والخطاب والغيبة .

(٤) أن اسم هذه الأفعال حقُّه « أن يكون معرفة أو مقاربا لها ، كما يحق ذلك لاسم كان » [6] .

---

(١) Die Vergangenheit.

(٢) سورة البقرة ، الآية (٧١) .

(٣) أوضح ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٤٠٠) الدلالة الزمنية لهذه الآية بقوله : « وأما قوله تعالى ﴿ وماكادوا يفعلون ﴾ فمحمول على وقتين ، وقت عدم الذبح وعدم مقاربته ، ووقت وقوع الذبح ، كما يقول القائل : خلص فلان وما كاد يخلص » .

(٤) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٨٩ .

(٥) الكتاب نفسه : ١/ ٤٠٠ .

(٦) الكتاب نفسه : ١/ ٣٩٥ .

(٥) أنه « يتعين فى أخبار جميع أفعال المقاربة أن يكون فاعل أخبارها ضميراً عائداً إلى اسمها ، فلا تقول : كاد زيد يخرج غلامه إلا أن يكون المسند إلى سببه بمعنى الفعل المسند إلى ضمير الاسم نحو : كاد زيد يخرج نفسه هو ، بمعنى : كاد زيد يموت »(١) .

رابعاً: الدلالة على تكرار وقوع الحدث فى الماضى:

وهى دلالة صيغة الماضى ضمن تركيبين ؛ الأول : كُلَّما كَتَبَ فَعَل والآخر : كان إذا كَتَبَ فَعَل .

فالتركيب الأول (كُلَّما كَتَبَ فعل) يشمل حَدَثًا رئيسًا (فَعَل) يترتب وقوعه على وقوع حدث متكرر (كَتَب) يلى كُلَّما (٢) مباشرة .

ولهذا التركيب فى اللغة دلالتان زمنيتان :

الأولى : الدلالة على « تكرار وقوع الحدث (٣) فى الماضى (٤) » وهى الدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال . مثل ذلك :

(١) قوله تعالى : ﴿ كُلَّما دَخَلَ عليها زَكريًّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقًا ﴾ (٥) .

---

(١) الرضى : شرح الكافية : ٢/٣٠٤ .

(٢) ذكر القيسى (ت ٤٣٧هـ) فى كتابه : مشكل إعراب القرآن (القسم الأول / ص٨٢) أن كُلَّما « فيها معنى الشرط ، فهى تحتاج إلى جواب » ، كما ذكر السيوطى (ت ٩١١هـ) فى كتابه : همع الهوامع (٤/٣٨٣ ، ٣٨٤) أنها « ظرف يقتضى التكرار ، مركب من « كُلّ » و « ما » المصدرية أو النكرة التى بمعنى وقت » .

(٣) Der Iterativ.

(٤) Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von Kaana yaf'alu, Kapitel 5, S.s. 121.

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٣٧ ، وينظر أيضًا على سبيل المثال لا الحصر : سورة هود ، الآية ٣٨ ، وسورة المؤمنين ، الآية ٤٤ .

فوقوع الحدث الرئيس (وجود الرزق) فى الآيــة الكريمة مترتب على وقوع الحـدث المتـكرر (دخول زكـريا ، عـليه الـسلام ، المحـراب) فى الماضى .

(٢) قول طريف بن تميم العَنْبرى [1] :

أوَ كُلَّما وَرَدَتْ عُكاظَ قبيلةٌ ∴ بَعَثُوا إلىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

فوقوع الحـدث الرئيس (بَعْث الـعريف) متـرتب على وقــوع الحدث المتكرر (ورود قبيلة سوق عكاظ) فى الماضى .

(٣) قول امرأة سَلَمَةَ بن هشام بن العاص بن المغيرة فى زوجها سلمة :
« واللهِ ما يستـطيع أنْ يَخْرجَ ، كُلَّما خَرَجَ صاح به الـناسُ : يا فرَّار فَرَرْتُم فى سبيل الله ! حتى قعد فى بيته فما يخرج » [2] .

فوقوع الحدث الرئيس (صياح الناس بسـلمة فى قولها : « كلما خرج صاح بــه الناسُ ») متــرتب علــى وقوع الحدث المـتكرر (خروجــه) فى الماضى .

الأخرى : الدلالة عــلى تكرار وقوع الحدث فــى المستقبل : وهــذه الدلالة أقل من سابقتها ورودًا فى الاستعــمال . من ذلك قوله تعالى : ﴿ كُلَّما رُزِقُوا منها مِن ثَمَرَةٍ رِزقًا قالُوا هذا الذى رُزِقْنا مِن قَبْلُ ﴾ [3] .

---

(١) الأصمعيات : رقم (٣٩) ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى (ص١٧٦ ، الشاهد ١٨٨) .
وطريف شاعر جاهلى ، من بنى تميم ، قتله أحد بنى شيبان . والبيت من بحر الكامل .
أوضح عبد القـاهر معنى « بعثوا إلىَّ عريـفهم يتوسم » بقوله (ص١٧٧) : « المـعنى على تَوَسُّمٍ وتأمُّل ونظرٍ يتجدَّد من العريف هناك حالاً فحـالاً ، وتصفُّح منه الوجوه واحدًا بعد واحد » . ويتضح من السياق أن قبائل عديدة أرادت أن تبحث عن الشاعر ؛ لتنال منه .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٢٤/٤ ، ٢٥ .

(٣) سورة البقـرة ، الآية ٢٥ ، وينظر أيضـا : سورة النساء ، الآية ٥٦ ، وسـورة الأعراف ، الآية ٣٨ ، وسورة الإسراء ، الآية ٩٧ ، وسورة السجدة ، الآية ٢٠ .

فوقوع الحدث الرئيس (قول المؤمنين) فـى الآية الكريمة مترتب على وقوع الحدث المتـكرر (حصولهم عـلى الرزق) فى المستـقبل . وجاء الاستقـبال من السياق الخاص بوصف حياة المؤمنين فى الجنات يوم القيامة .

أما التركيب الآخر (كان إذا كَتَبَ فَعَل) فيشمل حدثا رئيسا (فَعَل) ترتب وقوعه على وقوع حـدث متكرر (كَتَب) ، وجهـــة زمنيـة تفيـد الزمن الماضى (كان) .

ويدل هذا التركـيب على تكرار وقوع الحدث فى الماضـى . مثل ذلك قول ابن سعد : « وكان عمرُ ﷺ ، إذا بعث عاملاً له على مدينة كَتَب ماله »[١] .

فوقوع الحـدث الرئيس (كـتابة مال الـعامل) متـرتب على وقـوع الحدث المتكرر (بَعْث العامل) فى الماضى .

خامسا : الدلالة على استمرار وقوع الحدث فى الماضى :

وهى دلالة صيغة الماضى (كان) مركبةٌ مع مضارع بعدها ، وهو ما يعرف بتركيب « كـان يفعل » [٢] . فصيغة المضارع تمثل الحدث الـرئيس لهذا التركيب أما (كان) فتمثل جهة وقوع هذا الحدث فى الماضى .

مثل ذلك قوله تعالى فى أصـحاب الشِّمال : ﴿ وكانوا يُصِرُّون على الحِنْثِ العظيم ، وكانوا يقولون أئِذا مِتْنَا وكُنَّا تُرابًا وعِظاما أءِنَا لَمَبْعُوثُون ﴾ [٣] .

---

(١) الطبقات الكبرى : ٢٠٣/٣ .

(٢) ذكر الـرضى (فـى شرح الـكافيـة : ٢٥٢/١) أنه « إذا قـلت : كنـتُ رأيتُ زيـدًا ، لا يدل عـلى الاستمرار ، وإذا قلت : كنتُ أراه فظاهره الاستمرار » .

ولاحظ نولدكه Nöldeke (فى كتابه : Zur Grammatik des classischen Arabisch. § 57, S. 70) أن تركيب كان يَفْعَلُ يقـع فى العربية « بمعنى صيغـة المضارع اليونانية واللاتيـنية للدلالة على استمرارٍ فى الماضى أو تعوّدٍ فيه » .

(٣) سورة الواقعة ، الآية ٤٦ ، ٤٧ . والحنث : الذنب .

فقـوله (كانوا يـصرون) و (كانوا يـقولون) يدل عـلى استمـرار إصرار أصحاب الشمال على الذنب العظيم فى الماضى ، واستمرار قولهم هذا فيه .

وقول عنترة بن شداد يرثى مالك بن زهير [1] :

وكان فتى الهيجاء يَحْمِى ذِمارها ∴ ويَضْـرِبُ عِنْدَ الكَرْبِ كُلَّ بَنانِ

فقوله : (كان فتى الـهيجاء يحمى ذمارها) يدل على اسـتمرار قيام مالك بالحرب وإدارتها فى الماضى .

وكذلـك قول البـلاذُرىّ (ت ٢٧٩هـ) : « فـكانت أمـوالُ بنى الـنضـير خالصةً لرسول اللهِ ﷺ ، وكان يزرع تحت النخل فى أرضهم » [2] .

فقوله : (وكان يـزرع) يدل على استمرار الزراعة تحـت النخل فى أرض بنى النضير فى عهد رسول الله ﷺ .

قام نيبز بحصر ما تـعبر عنه الأمثلة التى جمعها من النـصوص العربية التى تحـتـوى على تركـيـب (كان يَفْعَلُ) الـدال على استـمرار وقوع الحـدث فى الماضى ، وذلك فى ستة معان رئيسة [3] هى :

أ - التعبير عن الحقائق الطبيعية والجغرافية والمتعلقة بالأعراق البشرية وما يشبه ذلك ، مثل :

- « وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة » [4] .

(١) ديوان عنترة : ص٣١١ ، البيت (٥) من القصيدة (٢٧) وهى مـن بحر الطويل . وكان فتـى الهيجاء يعنى مالك بن زهيـر أحد سادات عبس وقد قتل ، وتولى قتله بنو بدر . والـذمار : ما يجب عليه أن يغضب له ويحميه .

(٢) فتوح البلدان : ٣١ .

(٣) ينظر (مع مراعاة التصرف فى عرض الترجمة والتغيير فى بعض الأمثلة) كتاب :

Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, Kapitel 4. S 79–91.

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١١٣٠ .

- « وقد كان الإسكندر بن فيلبيس المقدوني بَنَى الإسكندرية على هذا الخليج من النيل ، وكان يتفجَّرُ إليه معظم ماء النيل ، ويسقى بلاد الإسكندرية وبلاد مَرْيُوط » [1] .

- « فأخذ الجزية من المجوس الذين بها وَهُمْ كانوا أَهْل البلد والعربُ كانوا يكونون حولها » [2] .

ب- التعبير عن طبيعة خاصة بالجسم ، مثل : « كان عمر يفوقُ الناسَ طولاً » [3] .

جـ- التعبير عن حال ، مثل : « واللهِ لقد كُنَّا نَجْهَدُ » [4] .

د - التعبير عن أحوال عقلية ونفسية ، مثل : كان يرى ، كان يظن ، كان يعرف ، كان يعلم ، كان يدرى ، كان يحب ، كان يُستَحَبُّ ، كان يطمع ، كان يريد ، كان يتمنى ، كان يكره ، كان يبغض ، كان يخاف كان يتخوَّف ، كان يهاب ، كان يتقى ، كان يخشى ، كان يرهب ، كان يرجو ، كان يأمل ، كان يشك . من ذلك :

- « وكان أبو بكر يختلف إلى الشَّأْم فكان يُعْرَفُ وكانَ النبيُّ ﷺ ، لا يُعْرَفُ » [5] .

- « كان (ﷺ) يخاف على الذَّراريِّ من بنى قريظة » [6] .

(١) المسعودى : مروج الذهب ومعادنُ الجوهر : ١/ ١٠٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١٦٨٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٣/ ٢٣٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : جـ١ / ص١٤٨٣ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ١/ ١٥٨ .

(٦) الكتاب نفسه : ٢/ ٤٨ .

هـ- التعبير عن القُدْرَة ، مثل :

- كان يَقْدِرُ ، كان يُطِيقُ . من ذلك : « واللهِ ما أظنُّ مقياسًا كان يَقْدِرُ علىٰ واحدة » [١] .

و - التعبير عن أمور أخرى ، مثل :

- كان ينتظر ، وكان يَعُدُّ . من ذلك : « وقَدْ رأى ما كُنَّا نَصْنَعُ وأنَّا كُنَّا نَنْتَظِرُ قُدُومَ رسولِ الله ﷺ » [٢] .

يضاف إلى المعانى الستة السابقة التى حصرها نبيز معنى سابع ، وهو التعبير عن عادة ما ، مثل : قول أنس بن مالك رضي الله عنه : « كان رسولُ اللهِ ﷺ يعيد الكلمةَ ثلاثًا ؛ لتعقل عنه » [٣] .

علاوة على دلالة تركيب (كان يفعل) على استمرار وقوع الحدث فى الماضى ، كما رأينا ، يوجد ثلاث دلالات أخرى للتركيب نفسه ، يحدد جهتها ظروف الزمان أو كلمات أخرى ترد مع التركيب . والدلالات الثلاث هى :

الأولى : الدلالة على « انتهاء وقوع الحدث فى وقت معين من الماضى ، مثل : وقتذاك كان الملك يَمُرُّ به » [٤] .

الثانية : الدلالة على وقوع الحدث فى أوقات متفرقة من الماضى ؛ وذلك إذا ورد مع التركيب ظروف زمانية مثل : كثيرًا ما ، وأحيانا ، وقلَّما ونادراً ما ، أو ما ينوب عن ظرف الزمان من كلمات دالة على

---

(١) الواقدى : المغازى : ١/١٤٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١/١٢٤٣ .

(٣) الترمذى : أوصاف النبىّ ﷺ : الحديث رقم (٢٢٥) ، ص٢٢٦ . أخرجه البخارى والترمذى فى جامعه .

(٤) Fischer, Wolfdietrich : Grammatik des klassischen Arabisch : § 192, S. 96.

التعدد ، مثل: مرتين ، وثلاث مرات ، وأربع مرات وغير ذلك[1] .

من ذلك : « ذُكِرَ أنَّ عُثمانَ بن عَفَّانٍ كان يُكْتَبُ لَهُ أحيانًا » [2]

الثـالثة : الدلالـة على تكـرار وقوع الحدث فى المـاضى ، وذلك « بالاتـصال بعبارات مكررة ، مـثل : « ودعا برجال بنى قريظة فـكانوا يخرجون رَسْلاً رَسْلاً تُضْرَبُ أعنـاقُهم » [3] ، أو بـدون عـبـارات مـكررة ، مثـل : « فدخلتُ إليه فكان يُسَائِلُنى عن النَّجاشِىِّ » [4] » [5] .

نفى تركيب (كان يفعل) :

ينفى هذا الـتركيب فى العربيـة بـ « كان لا يفعل ، ولم يكـن يفعل ، وما كان يفعل » [6] ، مثل :

- « أتانا رسولُ الله ﷺ ، بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها » [7] .
- « فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينكَ » [8] .
- « أجمع رؤسـاؤهم أن يغدوا يـوما ، فغدوا جـميعا ومـعهم رؤساء سـائر الأحزاب ، وطلـبوا مضيقًا مـن الخندق يقحـمون منه خيلهم إلى الـنبى ﷺ ، وأصحابه فلـم يجدوا ذلك ، وقالوا : إن هذه لمكـيدة ما كانت العرب تصنعها » [9] .

---

(١) ينظر فى ذلك :

Nebes, Norbert : Funktionsanalyse von kaana yaf'lu, Kapitel 4, S. 92–95.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٤) : جـ١ / ص١٧٨٢ .

(٣) الواقدى : المغازى : ٢/٥١٣/٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١/١٥٧١ .

(٥) كتاب نيبز السابق : ٩٧ ، ٩٨ .

(٦) الكتاب نفسه : ٦٠ ، ٦١ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك (ط٣) : ١/١٢٣٧ .

(٨) الكتاب نفسه (ط٤) : ١/١٧١٠ .

(٩) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٢/٤٨ ، ٤٩ .

سادساً : الدلالة على انتهاء وقوع الحدث في زمنٍ ماضٍ قريب من لحظة التكلم :

وهى الدلالة الرئيسة [(١)] لصيغة الماضى مسبوقة بـ « قد » [(٢)] ، نحو قول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) : « ثم دخلت سنةُ ست وأربعين ومائة . . . وقد ذكرْنا فى سنة خمس وأربعين ومائة السبب الباعث للمنصور على بناء مدينة بغداد ، ونذكر الآن بناءها » [(٣)] .

فقوله : (قد ذكرنا) يدل من خلال سياق الأحداث التاريخية والقرائن اللفظية على انتهاء ذكره السبب الباعث للمنصور على بناء بغداد فى زمن ماض قريب من لحظة تكلمه ، وهى قوله : (ونذكر الآن بناءها) .

ولتركيب (قد فعل) أربع دلالات أخرى فرعية ؛ يقترب ثلاث منها من الدلالة الرئيسة ، وتبعد واحدة عنها . ويذكر فيما يلى هذه الدلالات الفرعية ويراعى فى ترتيبها مدى قربها من الدلالة الرئيسة فبعدها عنها :

الأولى : الدلالة على وقوع الحدث فى الماضى القريب المتصل بالحاضر :

ويمثل ڤولفديترش فيشر [(٤)] لهذه الدلالة بقول أحد الأشخاص : « قَدْ جُعْتُ » . فلا شك أن حدث الجوع وقع فى الماضى القريب ولا يزال هذا

(١) إن معظم الدلالات الأخرى الفرعية التى سترد بعد ذلك ، تدور فى فلك هذه الدلالة الرئيسة .

(٢) يرى سيبويه (فى الكتاب : ٤/٢٢٣) أن تركيب (قد فعل) يستعمل جوابا لقول القائل : لَمَّا يفعلْ . يقول سيبويه : « وأمَّا (قَدْ) فجواب لقوله : لَمَّا يفعلْ ، فتقول : قَدْ فَعَلَ » . ويذكر ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٤/١٠٨) أن (قَدْ) « تكون حرف تقريب ؛ فتدخل على فعل ماض متصرف متوقع ، أى منتظر ؛ لتقريبه من الحال » .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٥/٥٧٣ ، ويوجد أيضًا مثالان آخران على هذا فى الكتاب نفسه : ٥/١٣٨ ، ٦/٧ .

(٤) Fischer, Wolfdietrich : Grammatik des klassischen Arabisch : § 189, S. 94, 4 v.u.

الحدث مستمـراً فى لحظة تكلم هذا الـشخص . وهذا يعنى أنه جـاع منذ وقت قريب وأنه يحس الآن أيضًا الجوع .

الثانية : الدلالة على وقوع الحدث فى المستقبل القريب :

ويمثل رايت [1] لدلالة تركيـب (قد فَعَل) على المستقبـل القريب [2] بقول المؤذن قبيل قيام الصلاة : " قَدْ قامتِ الصلاةُ [3] وبأمثلة أخرى ، منها :

« أمَّا الوِلاَيَةُ فَقَدْ وَلَّيتُ ابْنَكَ مِصرَ » .

« قَالَ لَهُ : وَعَدْتَ هذا ، فقال : قَدْ وَفَّيتُ المَوْعُودَ » .

الثالثة : الدلالة على وقوع الحدث فى زمن ما قبل الماضى :

وذلك إذا ورد تركيب (قد فعل) جملـة حالية مسبوقة بواو الحال ، ودلَّ فعلُ الجملة الرئيسة على الزمن الماضى .

---

(1) WRIGHT, W. : A grammar of the Arabic Language : § 2, p. 3.

(2) The future one.

(3) أدرك النحاة العرب الدلالة الزمـنية لـ « قد فَعَل » فى هذا المثال على المستقبل الـقريب وإن اختلفوا فى التعبير عنه والنص عليه صراحة ؛ فيرى الخـليل بن أحمد أن معنى تركيب (قد فعل) هو التوقع ؛ « يقال : « قـد فعل » لقـوم ينتظـرون الخبرَ ، ومنـه قول المؤذن : قد قـامت الصلاة ؛ لأن الجـماعة منتظرون لذلك ، وقال بعضهم : تقول : « قد رَكِبَ الأميرُ » لمن ينتظر ركوبه » .

ذكر هـذا الرأى ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب : ١/١٧١ ، ١٧٢) وعلق عليه بقوله : « وقد تبين بما ذكرنا أن مراد المثبتين لذلك أنها تـدل على أن الفعل الماضى كان قبل الإخبار به متوقَّعًا ، لا أنه الآن متوقع. والذى يظـهر لى قول ثالث ، وهى أنها لا تفيد التوقـع أصلاً . . . وعبارة ابن مالك فى ذلك حسنـة فإنه قال : إنها تدخل عـلى ماضٍ متوقع ، ولم يقـل إنها تفيد التوقـع » . (ينظر فى ذلك : شرح التسهيل لابن مالك : ٤/١٠٨) .

أما ابن يعيش فيذكر (فى شرح المفصـل : ٢/٦٦) أن الفعل الماضى « إنْ جئت معَه بقد جاز أن يقع حالاً ؛ لأن (قد) تقربه من الحال . ألا تراك تقول : قد قامت الصلاة قبل حال قيامها » .

مثل ذلك قول امرئ القيس [1] :

فجئْتُ وَقَدْ نضَّتْ لِنَوْمٍ ثيابَها ∴ لدى السِّتْرِ إلاَّ لبسةَ المُتَفَضِّلِ

من سياق هذا البيت يتضح أن حدث الجملة الحالية (خَلْع الثياب فى قوله : وقد نضت لنوم ثيابها) وقع زمنيًا قبل وقوع حدث الجملة الرئيسة (مجئ الشاعر فى قوله : فجئتُ) بقليل .

وكذلك قول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) :

« وكان ابن أُبى العَوْجاء قد أرسل إلى محمد بن سليمان [2] يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام ويعطيه مائة ألف ، فلما ذكر لمحمد أَمَرَ بقتله . . . وورد كتاب المنصور إلى محمد يأمره بالكف عنه ، فوصل وقد قتله » [3] .

من تسلسل الأحداث التاريخية لهذا النص يتضح أن حدث الجملة الحالية (قتل ابن أبى العوجاء فى قوله : وقد قتله) وقع زمنيًا قبل وقوع حدث الجملة الرئيسة (وصول كتاب المنصور فى قوله : فوصل) بقليل .

ففى كل من البيت والنص السابقين جملة مركبة من جملة رئيسة يدل فعلها على الزمن الماضى ، وأخرى فرعية (حالية) يدل فيها تركيب (قد فعل) على زمن ما قبل الماضى علاوة على تضمن التركيب نفسه جهة قرب مما يليه زمنيا وهو الماضى .

---

(١) ديوان امرئ القيس : ص٣٥، البيت ٢٦ من معلقته ، وهى من بحر الطويل اللغة : نضت : خلعت . والمتفضل : اللابس ثوبا واحدًا إذا أراد الخفة . معنى البيت : أتيتها وقد خلعت ثيابها عند النوم غير ثوب واحد تنام فيه . وقد وقفت عند الستر مترقبة ومنتظرة لى . وإنما خلعت الثياب لتُرِى أهلها أنها تريد النوم . (ينظر شرح الديوان : ٣٥) .

(٢) هو محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، والى الكوفة فى عهد الخليفة العباسى المنصور .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٧/٦ .

الرابعة : الدلالة على تحقق وقوع الحدث [1] فى الماضى :

وهى دلالة تركيب « قد فعل » [2] فى نحو « قولك : قد قام زيدٌ فى تقدير جواب مَنْ قال : هل قام زيدٌ أو لم يقم ، فـ « قد » فى تقدير الجواب : حققت القيامَ » [3] .

مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ فى زَوْجِها ﴾[4].

ففى (قد سمع) دلالة على تحقق وقوع السَّماع فى الماضى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً من قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ومِنْهُمْ مَنْ لم نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [5] .

ففى (ولقد أرسلنا) دلالة على تحقّق وقوع إرسال الرسل فى الماضى .

إن ما توصل إليه هذا البحث من أن لتركيب (قد فعل) دلالة رئيسة وهى انتهاء وقوع الحدث فى زمن ماضٍ قريب من لحظة التكلم وأن معظم دلالاته الفرعية تدور حول هذه الدلالة التى لا تؤدِّيها صيغة (فَعَل) دون (قد) ،

---

(١) معنى تَحَقُّق وقوع الحدث : « تقرير معناه ونفى الشك عنه » (ينظر : شرح التسهيل لابن مالك : ١٠٨/٤) .

(٢) تُؤَدَّى هذه الدلالة أيضًا بصيغة الماضى مسبوقة بـ (هل) التى تأتى لتقرير الخبر كما فى قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيْئًا مذكورًا ﴾ (الآية الأولى من سورة الإنسان) . أوضح ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) معنى تركيب (هل فعل) فى هذه الآية بقوله (فى جامع البيان فى تفسير القرآن : جـ٢٩ / ص١٢٥) : « يعنى جَلَّ ثناؤه بقوله (هل أتى على الإنسان) : قد أتى على الإنسان . وهل فى هذا الموضع خبر لا جحد ، وذلك كقول القائل يقرِّره : هل أكرمتك ، وقد أكرمه أو هل زرتك ، وقد زاره » .

(٣) المالقى : رصف المبانى فى شرح حروف المعانى : ٤٥٥ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ١ .

(٥) سورة غافر ، الآية ٧٨ .

وكذلك مـا رآه ابن هشام الأنصـارى من أن هناك فرقًا فـى الدلالة الزمنـية بين (فَعَل) و (قد فعل)[1] ، وما لا حـظه ڤولفديترش فيشر من أن « وظيـفة صيغة الماضى فى الحكاية [2] لا تؤدَّى بـ « قَدْ » [3] » إنما تؤدَّى بصـيغة (فَعَل) دون (قد) ، إن هذا كلـه ينفى ما قاله الدكـتور مالك المطلبى مـن أن « المركب » قد فَعَل » شأنه شأن صـيغة « فعل » يدل علـى ماض قد يكون مطلـقا أو قريبًا أو بعيدًا » [4] .

سابعاً - الدلالة على الزمن الماضى الدائم :

تدل صـيغة الماضـى على الـزمن الماضـى الدائم إذا وردت فى واحـد من السياقين التاليين :

الأول : إذا وردت فى سياق الحديث عن صفات الله تعالى :

من ذلك قوله تعالى :

١ - ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [5] .

فصيـغة الماضى فى قـوله « وكان » [6] تدل علـى الماضى الدائـم فى ضوء سياق الحديث عن صفتين من صفات الله تعالى ، وهما (سميع وبصير) .

---

(١) يرى ابن هشام (فى مغـنى اللبيب : ١/ ١٧٢) أنك « تقول : « قام زيد » ، فيحتـمل الماضى القريب والماضى البعيد ، فإن قلت : « قد قام » اختص بالقريب » .

(٢) Die Erzählfunktion.

(٣) FISCHER, WOLFDIETRICH : Grammatik des klassischen Arabisch. § 189. S. 94. Z 4, v.u.

(٤) الزمن واللغة : ٢٣٣ .

(٥) سورة النساء ، الآية ١٣٤ .

(٦) ذكر السيوطى (فى همع الهوامع : ٢/ ٩٩) أن (كان) تـختص « بمرادفة لم يَزَلْ كثيرًا » ، أى أنها تأتى دالة على الدوام ، وإن كان الأصل فيـها أن يـدل على حصـول ما دخلـت عليـه فيما مضـى مـع =

٢ - ﴿ فكفى بالله شَهِيداً ﴾ [١] .

فصيغة الماضى فى قوله « فكفى » تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق الحديث عن صفة من صفات الله تعالى ، وهى (الكافى) .

٣ - ﴿ فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ [٢] .

فصيغة الماضى فى قوله « فتعالى » تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق الحديث عن صفة من صفات الله عز وجل ، وهى الترفُّع ، فهو المُتَعالى « الذى جَلَّ عن إفك المفترين وتنزه عن وساوس المتحَيِّرين » [٣] .

فالقرينة فى الآيات الثلاث السابقة هى الحقيقة الدينية بأن صفات الله تعالى قديمة ودائمة . وزمن صيغة الماضى فى هذه الآيات « عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الإبهام ، فليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ » [٤] .

= انقطاعه عند قوم ، وعليه الأكثر ، كما قال أبو حيّان . أو سكوتها عن الانقطاع وعدمه عند آخرين ، وجزم به ابن مالك . ومن الدالة على الدوام الواردة فى صفات الله تعالى نحو ﴿ وكان اللهُ سميعًا بصيراً ﴾ ، أى : لم يزل متصفا بذلك » .

(١) سورة يونس ، الآية ٢٩ . وفى بيان الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى قوله (فكفى) يقول القيسى (فى مشكل إعراب القرآن : القسم الأول : ٣٤٤) إن « الله تعالى لم يزل هو الكافى بمعنى سيكفى لا يحول عن ذلك أبداً » .

(٢) سورة طه ، الآية ١١٤ . يفسر الزمخشرى (فى الكشاف : ٤٧/٤) قوله عز وجل ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ بأنه « استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجرى عليه أمر ملكوته » .

ويرى زوكن SOCIN (فى كتابه : Arabische Grammatik, § 98, S. 90) أن صيغة الماضى « يُعَبَّر بها عن حدث أو حال وُجِدَ منذ القِدَم ولا يزال باقيًا أيضاً .. نحو : « اللهُ تعالَى » » .

(٣) ابن منظور : لسان العرب : ٣١٨/١٩ .

(٤) الزمخشرى : تفسير الكشاف : ٣٠٧/١ (المطبعة البهية المصرية) . وينظر : النواسخ الفعلية والحرفية ، دراسة تحليلية مقارنة لأحمد سليمان ياقوت : ٦٤ .

الآخر: إذا وردت صيغة الماضى فى سياق الأمثال: [1]

نحو « أنجز حرٌّ ما وَعَدَ » [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (أنجز حر) تدل على الماضى الدائم فى ضوء سياق هذا المثل .

فصيغة الماضى فى المثل تدل على وقوع حدث فى نقطة زمنية معينة من الماضى ، وهى المناسبة التى قيل فيها المثل أول مرة ، ولا يزال وقوعه مستمراً كلما أتت مناسبة مشابهة للأولى .



(١) يعرف المبرد المثل بقوله : « المثل مأخوذ من المثال ، وهو قول سائر يُشبَّه به حالُ الثانى بالأول » ويقول ابن السكيت فيه : « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ » . (ينظر : مجمع الأمثال للميدانى : المجلد الأول : ص٥) .

(٢) يوضح المفضل الضبى اصل هذا المثل بقوله : « أولُ من قال ذلك الحارث بن عمرو آكل المُرَار الكندى لصَخْر بن نهشل بن دَارِم ، وذلك ان الحارثَ قال لصخر : هَل أدلُّك على غنيمة على أن لى خُمُسَها ؟ فقال صخر : نَعَمْ ، فدلَّه على ناسٍ من اليمن ، فأغار عليهم بقومه ، فظفرُوا وغنموا ، فلما انصرفوا قال له الحارث : أنجز حُرٌّ ما وَعَد ، فأرسلها مثلاً » . (ينظر : مجمع الأمثال للميدانى : المجلد الثانى : ٣٣٢) .

ويرى دينز DENZ (فى كتابه : Die Struktur des klassischen Arabisch, S. 71) أن الترجمة المناسبة لهذا المثل هى : « Noch immer hat ein Edler gehalten, was er versprochen » أى : أنجز حُرٌّ ما وَعَدَ دائماً ولا يزال » .

القسم الثانى
دلالة صيغة الماضى على ما قبل الزمن الماضى

تدل صيغة الماضى على ما قبل الزمن الماضى [1] إذا وردت فى مواضع معينة توضح بالتفصيل فيما يلى :

الأول : إذا وردت صيغة الماضى قبل الحرف حتى [2] متلواً بصيغة ماض :

لم أقف حتى الآن على رأى قال بأن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى فى هذا الموضع ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا على ما كُذِّبُواْ وأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [3] .

فقد وقع إيذاء المكذِّبين بالرسل لهم قبل مجئ نصر الله لهم فى الماضى .

وكذلك قول ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) : « وأما عِمْران [4] فسار حَتَّى لَحِقَ بالزَّاب ، فأقام به حتى مات إبراهيم » [5] . فسير عمران حدث وقع قبل زمن لحاقه بالزاب ، وإقامته به حدث سابق على زمن موت إبراهيم فى الماضى .

---

(١) Die Vorvergangenheit.

(٢) (حتى) هنا استئنافية ؛ يقول إبن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١٢٨/١) : « من أوجه حتى أن تكون حرف ابتداء أى حرفاً تبتدأ بعده الجمل ، أى تستأنف » . .

(٣) سورة الأنعام ، آية ٣٤ .

(٤) هو عمران بن مَخْلد ، وكان من بطانة إبراهيم بن الأغلب والي الرشيد على إفريقية ، وتوفى إبراهيم سنة ١٨١هـ (ينظر : الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ١٥٦/٦) .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ١٥٧/٦ ، ويوجد مثال آخر على ذلك فى الكتاب نفسه : ٣١٣/٦ .

الثانى : إذا وردت بعد ظرف المكان « حيث » مسبوقا بصيغة ماض : [1]

نحو : « جلس خـالدٌ حَيْثُ جلس أبوه » [2] . فجلوس الأب حدث وقع قبل زمن جلوس خالد فى الماضى .

الثالث : إذا وردت تالية لـ « بَعْدَمَا » [3] تسبقهما صيغة ماض :

نحو قول الأعشى الكبير : [4]

وَنَحْـنُ فككْنَا سَيِّدَيْكُمْ فأَرْسلاَ ∴ من المَوْتِ لَمَّا أَسْلمَا شَرَّ مُسْلَمِ

تَلاَفاهُما بِشْرٌ من المـوت بَعْدَمَاَ ∴ جَرَتْ لَهُمَا طَيْرُ النُّحُوسِ بِأَشْأَمِ

الرابع : إذا وردت بعد ظرف الزمان « حين » [5] مسبوقا بصيغة ماض :

نحو قول ابن إسحاق (ت ١٥١هـ) :

---

(١) أشار إلى هذا الموضع وما يليه وليم رايت W. WRIGHT فى كتابه :

A grammar of Arabic Language, § 3, p. 4.

وكذلك ڤولفديترش فيشر WOLFDIETRICH FISCHER فى كتابه :

Grammatik des klassischen Arabisch, § 183, S. 92.

(٢) جملة (جلس أبوه) تقع فى محل جر بإضافة (حيث) إليها .

(٣) بعدَ : ظرف زمان منصوب ، ومـا مصدرية غير زمانية والمصدر المؤول من ما والـفعل الماضى مجرور بإضافـة (بعد) إليه (يـنظر : مغنـى اللبيب لابـن هشام : ٣١١/١ ، وهمع الـهوامع للسـيوطى : ١٩١/٣ - ١٩٣) .

(٤) ديوان الأعشى الكبـير (ميمون ن قيس) : ص١٧٧ ـــ قصيدة ١٥ - البـيتان ٥٨ ، ٥٩ ، وهما من بحر الطويل .

يفتخر الأعشى فى هذه القـصيدة بقومه ويهجو بنى سعد بن قيس قائلاً لـهم : نحن الذين فككنا سيديكم ، فأطلـقناهما بعد أن أسلمتموهما لـلعدو وتخليتم عنهما ، وأنقـذهما « بشرٌ » من الموت ، بعدما أصابهما النحس وأدركهما الشؤم (ينظر : شرح الديوان نفسه : ص١٧٦ وهامش ١٧٧) .

(٥) تكون الجملة الفعلية بعد (حين) فى محل جر بإضافة حين إليها .

« عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرُه ، قال : سمعت أبى ، كعبَ بنَ مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه قال : ما تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر وكانت غزوة لم يعاتب اللهُ ولا رسولُه أحدًا تخلَّف عنها »[1] .

فصيغة الماضى التى وردت بعد (حين) فى قوله : « أصيب بصره » تدل على ما قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « كان قائد أبيه » ، وفى قوله : « تخلف عن رسول الله ﷺ » تدل كذلك على ما قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « سمعت أبى » .

ومثل ذلك قول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فى كتاب القيان[2] :

« إنَّ القينة لا تكاد تخالص فى عشقها . . . فإذا شاهدها المشاهدُ رامته باللَّحظ . . . وأوهمته أنَّ الذى بها أكثر مما به منها ثم كاتبته تشكو إليه هواه . . . والحَثَّ فى اقتضاء جوابه ، فإن أجيبت عنه ادَّعت أنها قد صيَّرت الجواب سلوتها وأقامت الكتاب مقام رؤيته ، وأنشدت :

وصحيفةٍ تحكى الضميـ ... ـرَ مليحةٍ نغماتُها
جاءت وقد قَرِح الفؤا ... دُ لطول ما استبْطاتُها
فَضحكتُ حين رأيتُها ... وبكيت حينَ قَرَاتُها[3] »

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/ ١٧٥ .

(٢) رسائل الجاحظ : ٢/ ١٧١ / ١٧٢ .

(٣) هذه الأبيات التى رواها الجاحظ فى رسائله (٢/ ١٧١) من مجزوء الكامل .

ففى البيت الأخير تدل صيغة الماضى بعد (حين) على وقوع حدث (الرؤية) قبل الزمن الماضى المتمثل فى قول القينة : « ضحكتُ » ، وكذلك وقوع حدث (القراءة) قبل الزمن الماضى المتمثل فى قولها : « بكيتُ » .

الخامس : إذا وردت بعد ظرف الزمان « لمّا » :[1]

نحو قوله تعالى على لسان الجن : ﴿ وأنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمنَّا به ﴾ [2] .

فصيغة الماضى الواردة بعد (لمَّا) فى قوله تعالى (سمعنا الهدى) تدل على وقوع حدث السماع قبل الزمن الماضى المتمثل فى قوله (آمنا به) .

وكذلك قول عبد الملك بن هشام : « فلمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ أخذ عبدُ الله بن رَواحة الراية ، ثم تقدَّم بها ، وهو على فرسه » [3] .

---

(١) يرى سيبويه (فى الكتاب : ٤/ ٢٣٤) أن لمَّا « للأمر الذى قد وقع لوقوع غيره ، وإنما تجئ بمنزلة لو لما ذكرنا ، فإنما هما لابتداء وجواب » .

يفهم من قول سيبويه هذا أن حدث صيغة الماضى الوارد بعد (لما) يقع زمنيا قبل الحدث الدال على الماضى فى جملة جوابها وأن (لما) حرف شرط .

أما أبو على الفارسى فيرى أن (لما) ظرف زمان بمعنى (إذْ) فيه معنى الشرط ، وذكر رأيه ابنُ مالك (فى شرح التسهيل : ٤/١٠٢) ، يقول إن لما « تدل على وجوب شىء لوجوب غيره ، ولا يلزمها إلاَّ فعل ماض لفظا ومعنى ، وهى حرف يقتضى فيما مضى وجوبا لوجوب عند سيبويه ، وظرف بمعنى « إذ » فيه معنى الشرط عند أبى على » . وأظن أن ابن هشام الأنصارى توهم حين نسب رأى أبى على الفارسى هذا لابن بالك ؛ يقول ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٢٨٠) :

« زعم ابن السراج وتبعه الفارسى وتبعهما ابن جنى وتبعهم جماعة أنها (أى لما) ظرف بمعنى حين ، وقال ابن مالك : بمعنى إذ ، وهى حسن ؛ لأنها مختصة بالماضى وبالإضافة إلى الجملة » . والقول أنها بمعنى (إذ) منسوب إلى أبى على فى حديث ابن مالك السابق .

ونص ركندورف RECKENDORF (فى كتابه Arabische Syntax, § 7, S. 11) على دلالة صيغة الماضى بعد (لما) على ما قبل الزمن الماضى .

(٢) سورة الجن ، الآية ١٣ .

(٣) السيرة النبوية : ٤/ ٢١ .

فحدث (مقـتل جعفر) وقع قبـل زمن أخذ عبد الله بن رواحـة الراية فى الماضى .

السادس : إذا وردت فى جملة صلة الموصول مسبوقا ، اى اسم الموصول ، بصيغة ماض :

نحو قول ابن الأثير :

« وأمر المأمونُ فكـتبَ بـه [1] إلى جميع العمال فى الـنواحى ؛ فسار عبـدُ الله [2] إلى عملـه ، فاتَّبع ما أُمِرَ به ، وعُهِد إليه ، وسار بـسيرته [3] » . فتدل صيغـة الماضى فى قولـه : « ما أُمِر به » على وقـوع حدث قبل الزمـن الماضى الذى يمثله قوله : « اتَّبع » .

السابع : إذا وردت ضمن التراكيب الفعلية التالية :[4]

١ - كان فَعَل .
٢ - كان قد فَعَل .

---

(١) الضمير فى به يعود إلى الكتاب الذى كتبه طاهر بن الحسين (سنة ٢٠٦هـ) إلى ابنه عبد الله وقد جمع فيه كل ما يحتاج إليه الأمراء من الآداب والسياسة وغير ذلك (ينظر : الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٣٩٤ - ٣٧٧) .

(٢) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين الذى تولى حكم مصر أيام الخليفة المأمون سنة ٢٠٦هـ (ينظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٣٦٣ ، ٥٢٧) .

(٣) الكامل فى التاريخ : ٦/ ٣٧٧ .

(٤) يتكون كل واحد من هذه التراكيب أساسًا من (كان) واسمها وخبرها جملة فعلية فعلها ماض .
ذهب نيبز NEBES (فى كتابه Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, am Rand der Seite 146) إلى ان « أوصاف الخلفيـة الخاصة فى العربية القديمـة تُؤدَّى بـ (قد كان فَعَل) و (كان فَعَل) و (قد فَعَل) وكذلك بالصيغة البسيطة (وفَعَل) أيضاً » . =

٣ - قد كان فَعَل .

٤ - قد كان قد فَعَل .

٥ - كان قد كان فَعَل .

وبيان دلالة هذه التراكيب على ما قبل الزمن الماضى كما يلى :

١ - دلالة التركيب (كان فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى : الدلالة على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهى الدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) فى أحداث فتح مكة فى رمضان سنة ثمان للهجرة : « حدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان [١] قال لعُمَيْر [٢] : وَيْحَكَ ! اغْرُبْ عنِّى ،

- ويُضافُ إلى هذه التراكيب الفعلية التى تؤدِّى أوصافَ الخلفيةَ فى الحكاية كلٌّ من التركيب : (كان قد فعل) و (قد كان قد فَعَل) و (كان قد كان فَعَل) .

وما ذهب إليه نبيز مكمِّلٌ لما ذكره ڤينرش WEINRICH (فى كتابه : Tempus. Besprochene und erzählte Welt. Sprache und Literatur 16, S. 93) من أن « الماضى المستمر (ويدل عليه « كان يفعل » فى العربية) يمثل زمن الخلفية فى الحكاية ، أما الماضى البسيط (ويدل عليه « فَعَل » فى العربية) فيمثل زمن المقدمة فيها . . . وأن الجميع خلفية ما وقعوا فى الماضى المستمر وأن الجميع مقدمة ما وقعوا فى الماضى البسيط . ولا توجد قوانين ثابتة لتقسيم الماضى المستمر والماضى البسيط إلا إذا وردا مقترنَيْنِ أساسًا » .

وأشار جروس GROSS (فى مقالته : Verbform und Funktion wayyiqtol für die Gegenwart, S. 74) إلى أن « المقدمة » و « الخلفية » ليستا مقولتين نحويتين حقا ، بل هما مقولتان تخصان علم الأدب . ولكنهما يستخدمان أيضا فى وصف الظواهر النحوية .

(١) هو صفوان بن أمية .

(٢) هو عُمَيْر بن وهب .

فلا تكلمنى ، فإنك كذاب ؛ لِما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر » [1] .

فقوله « كان صنع به » يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « قال لعمير » . فالحدث الأول وقع فى غزوة بدر (سنة ٢هـ) والآخر وقع فى فتح مكة (سنة ٨هـ) .

الأخرى: الدلالة على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى ، وهو أقل ورودًا فى الاستعمال من سابقتها . ومن ذلك قول البلاذرىّ (ت ٢٧٩هـ) :

« وقَتَل علىٌّ بنُ أبى طالب رضي الله عنه الحُوَيْرِثَ بن نقيذ بن بجير بن عبد بن قصى ، وكان النبىُّ ﷺ أمَرَ أن يقتله مَن وَجَدَه » [2] .

فقوله : « كان النبىُّ ﷺ أمر » يدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله « قتل » .

٢ - دلالة التركيب (كان قد فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى: الدلالة على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى ، وهى الدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول جابر بن عبد الله فى غزوة حنين : « انحدرنا فى واد من أودية تِهامة . . . وكان القومُ قد سبقونا إلى

(١) السيرة النبوية : ٤/ ٦٠ . وتوجد أمثلة أخرى على هذه الدلالة فى الكتاب نفسه : ٤/ ٧٤ ، وفى الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ٣٣ ، وفتوح البلدان للبلاذرى : ٣٧ ، ١٩٥ ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٦/ ٢٣٩ .

(٢) فتوح البلدان : ٥٤ ، ويوجد مثال آخر على ذلك فى الكتاب نفسه : ١٧ .

الـوادى ، فكمنُـوا لنا فى شِعابـه وأحنائـه ومضايقـه »[1] .

فقوله : « كان القوم قد سبقونـا » يدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « انحدرنا » .

الأخرى : الدلالة على وقـوع حدث بعيد من الزمن المـاضى ، وهى أقل ورودًا فى الاستـعمال من سابقـتها . مـن ذلك قـول ابن هشام : « وكان الفـاكهُ بن المغيرة بن عبـد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبـد عوف بن عبد الحارث ابن زُهرة وعفّانُ بـن أبى العاص بن أمية بـن عبد شمس قد خـرجوا تجارًا إلى اليمن . . . فلما أقـبلوا حملوا مالَ رجل من بنى جذيمـة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته »[2] .

فقولـه : كان الفاكهُ . . . قـد خرجوا » يدل عـلى وقوع حدث بعـيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « حملوا » .

٣ - دلالة التركيب (قد كان فعل) :

تتفرع دلالة هذا التركيب على ما قبل الزمن الماضى إلى دلالتين :

الأولى : الدلالة عـلى وقوع حدث قـريب من الزمـن الماضى ، وهى الـدلالة الغالبة على هذا التركيب فى الاستعمال ، نحو قول ابن هشام فى غزوة تبوك : « استتب برسول الله ﷺ سفرُه ، وأجمـع السَّيْرَ . وقدكان نَفَرٌ من المسلمين

---

(١) ابن هشـام : السيرة النبـوية : ٤/ ٨٥ . وتوجد أمثـلة أخرى على هذه الـدلالة فى الكتاب نـفسه : ٤/ ٤٩ ، ٥١ ، ٢٠٦ ، وفى الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢/ ٢٧ ، وفتوح البلدان للبلاذرىّ : ٥٣ ، ٢٤٢ ، والكامل لابن الأثير : ٤/ ١٠٩ ، ٦/ ٧٢ .

(٢) السيرة النبويـة : ٤/ ٧٤ . ويوجد مثالان آخران على هذه الدلالة فى الـكتاب نفسه : ٤/ ١٧٥ ، وفى فتوح البلدان للبلاذرى : ١٧ .

أبطأتْ بهم النيَّةُ عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب » [1] .

فقوله : « قد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية » يدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « استتب سفره وأجمع السير » .

والأخرى: الدلالة على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهى أقل وروداً فى الاستعمال من سابقتها . من ذلك قول ابن إسحاق : « وكان رسول الله ﷺ ، قد عَهِد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلاَّ أنه قد عهد فى نفر سمَّاهم أمر بقتلهم . . . منهم عبد الله بن سعد أخو بنى عامر بن لؤى . . . لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ ، الوحىَ ، فارتدَّ مشركًا راجعًا إلى قريش » [2] .

فقوله : « قد كان أسلم » يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « فارتدَّ مشركا » .

٤ - دلالة التركيب (قد كان قد فعل) :

هذا التركيب قليل الورود فى الاستعمال ، ويدل على وقوع حدث قريب من الزمن الماضى ، نحو قول ابن إسحاق : وقد كان قُطْبة بن قَتَادة العُذْرىّ الذى كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله » [3] .

---

(١) السيرة النبوية : ٤/١٦٢ . وتوجد أمثلة أخرى على ذلك فى الكتاب نفسه : ٤/٧٣ ، ١٧٥ ، وفى فتوح البلدان للبلاذرىّ : ٣٧ ، ٢٠٧ ، ٢٥٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/٥١ ، ٥٢ . ويوجد مثال آخر على ذلك فى فتوح البلدان للبلاذرى : ١٠٠ .

(٣) الكتاب نفسه : ٤/٢٣ . وتوجد أمثلة أخرى على ذلك فى الكتاب نفسه : ٤/٢٤ ، وفى المغازى للواقدى : ٨٢٣ ، ٩٦٩ ، ٩٧٤ .

فقوله : « قد كان قطبة ... قد حمل » يدل على حدث قريب من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « فقتله » .

والملاحظ على تركيب (قد كان قد فعل) أن « قد » تكرر ورودها فى جملة خبر كان ، وربما وقع التكرار لبُعْد المسافة بين « قد كان » وجملة الخبر كما هو واضح من المثال السابق وغيره ، ولغرض توكيد جهة قرب وقوع الحدث من الزمن الماضى .

٥ - دلالة التركيب (كان قد كان فعل) :

وهو تركيب نادر الاستعمال فيما أظن ؛ فلم أعثر فيما قرأت إلاَّ على مثال واحد منه ، يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى ، وهو قول ابن إسحاق فى أمر مسجد الضرَّار عند رجوع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك : « أقبل رسول الله ﷺ ، حتى نزل بذى أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضرّار قد كانوا أتوه وهو يتجهَّز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجدًا لذى العلَّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنانحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال إنى على جَناح سَفَر وحال شغل »[1] .

فقوله : « كان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه » يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى المتمثل فى قوله : « نزل بذى أوان » .



---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٤/ ١٧٣ .

القسم الثالث

دلالة صيغة الماضى على الزمن الحاضر

تدل صيغة الماضى على الزمن الحاضر إذا وردت فى سياقات معينة توضح فيما يلى :

أولاً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق الإنشاء الإيقاعى (١) ، مثل قولك فى سياق إيقاع البيع والشراء : « بعتُكَ كذا » أو « اشتريتُ منك كذا » وفى سياق التطليق : « طلقتُ فلانة » ، والتزويج : « زَوَّجتُك فلانة » ، من ذلك قول رسول الله ﷺ لرجل فقير طلب أن يتزوج امرأة وهبت نفسها لرسول الله ﷺ : « ... أمعك من القرآن شىءٌ ؟ قال : نعم ، سورة كذا وسورة كذا ، لسور سماها ، فقال :

---

(١) يرى ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٢٩ ، ٣٠) أن الماضى ينصرف « إلى الحال بالإنشاء .... (و) الإنشاء فى اللغة مصدر أنشأ فلان يفعل كذا ، أى ابتدأ ، ثم عُبِّر به عن إيقاع معنى بلفظ يقارنه فى الوجود كإيقاع التزويج بزوّجت والتطليق بطلّقت ، والبيع ببعت واشتريت . فهذه الأفعال وأمثالها ماضية اللفظ حاضرة المعنى ؛ لأنها قصد بها الإنشاء ، أى إيقاع معانيها حال النطق بها » .

ويوضح الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٢٢٥) الفرق الدلالى بين صيغة الماضى المستعملة فى الإنشاء الإيقاعى وصيغة المضارع بقوله : « وأكثر ما يستعمل فى الإنشاء الإيقاعى من أمثلة الفعل هو الماضى نحو : بعت واشتريت . والفرق بين بعت الإنشائى وأبيع المقصود به الحال أن قولك : أبيع لابد له من بيع خارج حاصل بغير هذا اللفظ تقصد بهذا اللفظ مطابقته لذلك الخارج فإن حصلت المطابقة فالكلام صدق وإلاً فهو كذب ، فلهذا قيل : إن الخبر محتمل للصدق والكذب فالصدق محتمل اللفظ من حيث دلالته عليه والكذب محتمله ولا دلالة للفظ عليه . أما بعت الإنشائى فإنه لاخارج له تقصد مطابقته بل البيع يحصل فى الحال بهذا اللفظ . وهذا اللفظ موجد له فلهذ قيل إن الكلام الإنشائى لا يحتمل الصدق والكذب ؛ وذلك لأن معنى الصدق مطابقته للخارج والكذب عدم مطابقته » .

وتسمى الأفعال الماضية الدالة على الإنشاء الإيقاعى « ألفاظ العقود » .

زوّجناكها بما معك من القرآن »[1] .

فصيغة الماضى فى قوله ﷺ « زَوَّجْناكها تدل على الزمن الحاضر فى سياق إتمام عقد الزواج مع القول فى آن واحد .

ثانياً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق الإعلان عن أمر والإقرار به . من ذلك :

١- قوله تعالى على لسان من يحمل السيئات ويحضره الموتُ : ﴿ إِنِّى تُبْتُ الآنَ ﴾[2] .

فصيغة الماضى فى قوله (تبت) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق هذه الآية وبالقرينة الواردة فى الجملة (ظرف الزمان : الآن) . وفى هذا القول إعلان عن التوبة وإقرار بها .

٢ - قوله تعالى فيما نزل على النبى ﷺ يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع سنة عشر للهجرة : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الذين كَفَرُوا من دِينِكُمْ ﴾[3] .

---

(١) نص الحديث ورد فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (٢٢٩/١٩ - باب النكاح) برواية عبد الله بن يوسف عن مالك عن أبى حازم عن سهل بن سعد .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٣ . وفى تفسير هذه الآية قولان أوردهما الفخر الرازى (فى تفسيره : ١٣٩/١١) « (الأول) أنه ليس المراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يقال إنهم ما يئسوا قبله بيوم أو يومين ، وإنما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان معناه : لا حاجة بكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار لأنكم الآن صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم فى توهين أمركم ، ونظيره قوله : كنت بالأمس شاباً واليوم قد صرت شيخا ، ولا يريد بالأمس اليوم الذى قبل يومك ، ولا باليوم يومك الذى أنت فيه و (القول الثانى) أن المراد به يوم نزول هذه الآية ، وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع سنة عشر والنبى ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء » . وهذا الرأى الثانى هو ما اعتمدت عليه .

فصيغـة الماضى فى قوله (يئـس) تدل على الزمن الحـاضر فى ضوء سياق هذه الآية ، وبالقرينة السياقية فى الجملة (ظرف الزمان : اليومَ) .

٣ - قوله تـعالى على لسـانِ الحواريين لما أوحى إليـهم أن يؤمنوا به وبـرسوله عيسى عليه السلام : ﴿ آمَنَّا واشْهَدْ بأنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [(١)] .

فصيـغة الماضى فـى قوله (آمَنَّا) تدل علـى الزمن الحاضـر فى ضوء سياق هذه الآية وفى قولهم إعلان عن إيمانهم وإقرارهم به .

٤ - قولـه تعالى عـلى لسـان السحرة بـعد سجـودهم لله تعالـى : (آمَنَّا بِرَبِّ العالَمِينَ ، رَبِّ موسى وهارون ﴾ [(٢)] .

فصيغة الماضــى فى قولهم (آمنا) تدل على الـزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية وفى قولهم إعلان عن إيمانهم وإقرارهـم به .

٥ - قولـه تعالى على لسـان موسـى علـيه السـلام بعـدما أفاق من الصعقـة : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إليك وأنا أوَّلُ المُؤْمنينَ ﴾ [(٣)]

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٢١ ، ١٢٢ وينظر كذلك سـورة طه ، الآية ٧٠ . أوضح الفخر الرازى (فى تفسيره : ١٤/ ٢١٥) « أنـه تعالى ذكر أولاً أنهم (أى السـحرة) صاروا ساجدين ثم ذكر بـعده أنهم قالوا (آمنا برب العالمين) فما الفائدة فيه مع أن الإيمـان يجب أن يكون متقدماً على السجود ؟ وجوابه من وجوه : (الأول) : أنهم لما ظفـروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى فى الحال ، وجـعلوا ذلك السجود شكراً لله تعـالى على الفوز بـالمعرفة والإيمان ، وعلامـة أيضاعلى انقـلابهم من الكفـر إلى الإيمان ، وإظهار الخضوع والتذلل لله تعالى ، فكأنهم جعلوا ذلك السجود علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الخـضوع . (الوجه الثانى) لايبـعد أنهم عند الذهاب إلـى السجود قالوا (آمنا بـرب العالمين) وعلى هذا الـتقدير فالسؤال زائـل والوجه الصحيح هـو الأول » . وهذا الثانى آكد فى دلالـة صيغة الماضى على الحاضر .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٤٣. فى تفسـير هذه الآية ذكر الطبرى (فى جامع البيان فـى تفسير القرآن : ٩/ ٣٨) أن الله تعالى يقـول : « فلما ثاب إلى موسـى عليـه السـلام فهمـه من غشيتـه وذلك هـو =

فصيغة الماضى فى قوله (تُبْتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية ، وفى قوله إعلان عن التوبة وإقرار بها .

٦ - قوله تعالى حكاية عن فرعون حين أدركه الغرق : ﴿ آمنْتُ أنَّه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا مِن المُسْلِمينَ ﴾ (١) .

فصيغة الماضى فى قوله (آمنتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية ، وفى قوله إعلان عن الإيمان وإقرار به .

٧ - قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز : ﴿ الآنَ حصحص الحَقُّ أنا راودتُهُ عن نَفْسِهِ وإنَّه لمن الصادقين ﴾ (٢) .

= الإفاقة من الصعقة التى خر لها موسى ﷺ قال سبحانك تنزيها لك يارب وتبرئة أن يراك أحد فى الدنيا ثم يعيش ، تبت إليك من مسألتى إياك ما سألتك من الرؤية وأنا أول المؤمنين بك من قومى أن لا يراك فى الدنيا أحد إلاّ هلك » .

(١) سورة يونس ، الآية ٩٠ . أوضح الفخر الرازى (فى تفسيره : ١٧/ ١٦٠) أن الله تعالى ذكر أن فرعون « لما أدركه الغرق أظهر كلمة الإخلاص ظنا منه أنه ينجيه من تلك الآفة وههنا سؤالان ؛ السؤال الأول : أن الإنسان إذا وقع فى الغرق لا يمكنه أن يتلفظ بهذا اللفظ فكيف حكى الله تعالى عنه أنه ذكر ذلك ؟ والجواب من وجهين : الأول : أن مذهبنا أن الكلام الحقيقى هو كلام النفس لا كلام اللسان ، فهو إنما ذكر هذا الكلام بالنفس ، لا بكلام اللسان ، ويمكن أن يستدل بهذه الآية على إثبات كلام النفس ، لأنه تعالى حكى عنه أنه قال هذا الكلام ، وثبت بالدليل أنه ما قاله باللسان ، فوجب الاعتراف بثبوت كلام غير كلام اللسان وهو المطلوب . الثانى : أن يكون المراد من الغرق مقدماته ... إلخ » .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٥١ . يقول الفخر الرازى (فى تفسيره : ١٨/ ١٥٦) : « واعلم أن امرأة العزيز كانت حاضرة ، وكانت تعلم أن هذه المناظرات والتفحصات إنما وقعت بسببها ولأجلها فكشفت عن الغطاء وصرحت بالقول الحق وقالت ﴿ الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ وفيه مسائل : (المسألة الأولى) هذه شهادة جازمة من تلك المرأة بأن يوسف صلوات الله عليه كان مبرأ عن كل الذنوب مطهراً عن جميع العيوب ... (المسألة الثانية) قال أهل اللغة : (حصحص الحق) معناه وضح وانكشف وتمكن فى القلوب والنفوس ... إلخ » .

فصيغة الماضى فى قولها (حصحص) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية ، وبالقرينة الواردة فى الجملة (ظرف الزمان : الآنَ) . وفى قولها إعلان عن ظهور الحق بعد خفائه وإقرار به .

٨ - قوله تعالى حكاية عن « بلقيس » ملكة سبأ : ﴿ رَبِّ إِنِّى ظلمتُ نَفْسِى وأسلمْتُ مع سُلَيْمانَ لله رَبِّ العالمين ﴾ [١] .

فصيغة الماضى فى قولها (أَسْلَمْتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الآية ، وفى قولها إعلان عن إسلامها وإقرار به .

٩ - قول الفخر الرازى (ت ٦٠٤هـ) : « ورأيت فى بعض الكتب أن امرأة جاءت بزوجها إلى القاضى وادعت عليه المهر ، فأمر القاضى بأن يكشف عن وجهها حتى تتمكن الشهود من إقامة الشهادة ، فقال الزوج : لا حاجة إلى ذلك ، فإنى مقر بصدقها فى دعواها ، فقالت المرأةُ : لما أكرمتنى إلى هذا الحد فاشهدوا أنى أبرأتُ ذمتك من كل حق لى عليك » [٢] .

فصيغة الماضى فى قول المرأة (أبرأتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق الحكاية ، وفى قولها إعلان عن إبراء ذمة زوجها وإقرار به .

ثالثاً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق كتابة الرسائل وإرسالها، مثل قولك : « كتبتُ إليك كذا » فى معنى أكتبُ ، و « بعثتُ إليك بهذا » فى معنى

---

(١) سورة النمل ، الآية ٤٤ . بيّن الزمخشرى (فى الكشاف : ٢٠٢/٤) معنى قولها (ظلمت نفسى) بأنها « تريد بكفرها فيما تقدم ، وقيل : حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها فى اللجة فقالت : ظلمت نفسى بسوء ظنى بسليمان عليه السلام » .

(٢) تفسير الفخر الرازى : ١٥٧/١٨ .

أبعثُ . من ذلك ما يروى أن الفرزدق حين قيل له [1] إن « امرأة بالباب تسأل عنه ، كاد يطير من الفرح ووثب يعدو إليها ، فلما رأته قالت : إنى عذتُ بقبرِ غالبٍ. قال : وما حاجتك ؟ قالت : ابن لى ليس ولد غيره قد جُمِّرَ (أى حُبِسَ عن العَوْد إلى أهله) بالسند ، وقد صانعت فيه فأعيانى ذلك ، وأخبرته بما قيل لها فيه ، فقال : يا غلام هات ورقًا ودواة ، وقال : ما اسم ابنك ؟ قالت خُنَيس ، فقال الفرزدق ، وكتب بها إلى عامل الناحية التى ابنها فيها :

كَتَبْتُ وعَجَّلْتُ البِرادةَ ، إننى ∴ إذا حاجةٌ طَالَبْتُ عَجَّتْ رِكابُها

ولى ببلاد الهِنْدِ ، عِنْدَ أميرِها ∴ حَوَائجُ جَمَّاتٌ وعندى ثَوَابُهَا

فصيغة الماضى فى قوله (كتبتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق أحداث كتابة الرسالة ، فقد قال هذا الكلام بعد أن تناول ورقا ودواة وهمَّ بالكتابة ، وتدل صيغة الماضى فى الجملة المعطوفة (عجلت البرادة) على الزمن الحاضر أيضا .

رابعاً : إذا وردت صيغة الماضى فى سياق القَسم ، مثل قولك : « أقسمت » فى معنى أُقسِمُ ، و « حلفت » فى معنى أَحْلِفُ . من ذلك قول الفرزدق يهجو جريراً [2] :

---

(١) شرح ديوان الفرزدق (إيليا الحاوى - دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٣) ج١ / ص١٤٤ . البيتان من بحر الطويل . والبرادة : الرسالة ، وعجّت ركابها : تعجلت المطايا التى تحملها . يقول : إنه يتعجل فى تنفيذ ما يبتغيه لتحقيق حاجته وإن له عنده حاجات كثيرة وإنه سيكافئه عليها (ينظر فى ذلك شرح الديوان نفسه : ١/ هامش ١٤٤) .

(٢) شرح الديوان نفسه : ١/ ١٨١ . البيتان من بحر الوافر . والمصلى : المسجد ، والهدىّ : الإبل التى تهدى إلى مكة ، والمقلدات : المنعلات ؛ لأن البدن تقلّد بالنعل أو تشعر فى سنامها حتى يسيل منها الدم ليُعْلم أنها هدية ، والجلف: الرجل الغليظ وهنا جرير . يقسم الفرزدق برب مكة والإبل =

حلفتُ بربِّ مكّةَ والمُصَلَّى ∴ وأعْنَاقِ الهَـدِىّ مُقَلَّـداتِ

لَقَدْ قلَّدْتُ جِلْفَ بنى كُلَيْبٍ ∴ قلائـدَ فى السَّوالفِ باقياتِ

فصيغة الماضى فى قوله (حلـفتُ) تدل على الزمن الحاضر فى ضوء سياق القسم .



= التى تساق إليها وتقلد وتعلم حين تهدى بأنه نظـم فى جرير قصائد دمغتـه دمغاً على صفحتى وجهه (ينظر شرح الديوان نفسه : ج١ / هامش ١٨١) .

القسم الرابع

دلالة صيغة الماضى على الزمن المستقبل

تدل صيغة الماضى على المستقبل إذا وردت فى المواقع والسياقات التالية :

الأول : إذا وردت بعد همزة التسوية .

الثانى : إذا وردت صفة لنكرة عامة .

الثالث : إذا وردت بعد (ما) المصدرية الظرفية .

الرابع : إذا وردت بعد حرف من حروف التحضيض .

الخامس : إذا وردت فى سياق الوَعْد .

السادس : إذا وردت فى سياق القسم .

السابع : إذا وردت فى سياق الرجاء .

الثامن : إذا وردت فى سياق الأمر .

التاسع : إذا وردت فى سياق التمنى .

العاشر : إذا وردت فى سياق الدعاء .

الحادى عشر : إذا وردت فى سياق الشرط .

الثانى عشر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » .

وتوضيح هذه المواقع والسياقات بالتفصيل كما يلى :

الأول : إذا وردت صيغة الماضي بعد همزة التسوية ، دلت على المستقبل :

نحو قولك : « سَوَاءٌ عليَّ أقُمْتَ أمْ قَعَدْتَ » .

فصيغة الماضي في قولك : (أقمت أم قعدت) تدل على المستقبل بعد همزة التسوية إذا قصدت سواء عليَّ ما يكون منك من قيام وقعود .

أما إذا قصدت : سواء عليَّ ما كان منك من قيام وقعود فإن صيغة الماضي في هذه الحالة تدل على الزمن الماضي [١] .

ومن دلالة صيغة الماضي على المستقبل بعد همزة التسوية قوله تعالى حكاية عن الذين استكبروا في الأرض وهم يحاسَبون يوم القيامة : ﴿ سواءٌ علينا أجَزِعْنَا أمْ صَبَرْنا ما لنا من مَحِيصٍ ﴾ [٢] .

فصيغة الماضي في قوله (أجزعنا أم صبرنا) تدل على المستقبل بعد همزة التسوية .

وتوهم وليم رايت أن صيغة الماضي بعد همزة التسوية تدل على معنى الاستقبال فقط ، وأن العطف بعد همزة التسوية يكون بـ (أو) . يقول رايت : « تُطَبَّقُ الملحوظة نفسها (أى ملحوظة أن صيغة الماضي تدل على معنى الاستقبال بعد (إنْ) الشرطية وبعد عدد من الكلمات تتضمن المعنى الشرطي لإن) ، تطبَّقُ على صيغة الماضي التي تقع قبل (أو) وبعدها في عبارات مثل : « سواء غابوا أو حضروا » ، « سواء عليَّ قمت أو قعدت » [٣] » .

---

(١) أوضح السيوطي (في همع الهوامع ١/ ٢٤) أنَّ الفعل بعد (ام) إنْ كان « مقرونا بـ (لم) تعيَّن المضيّ نحو (سواء عليهم أأنذرتَهُمْ أم لم تُنْذِرْهُمْ ﴾ (البقرة ٦) ؛ لأن الثاني ماضٍ معنى ، فوجب مُضيّ الأول ؛ لأنه معادل له » .

معنى هذا الكلام أنه إن لم ترد « لم » بعد « أم » فاحتمال المضي والاستقبال قائم حسب السياق .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٢١ .

(٣) WRIGHT, W.: A grammar of the Arabic Language, p. 14, 15.

ولعل الصواب ما أشير إليه من أن صيغة الماضى تحتمل الاستقبال والمضى بعد همزة التسوية والذى يحدد ذلك هو سياق الكلام ، وأن حرف العطف الذى يستعمل بعد هذه الهمزة هو « أم » [1] وليس « أو » .

الثانى : إذا وردت صفة لنكرة عامة : [2]

نحو : « كلُّ رجلٍ أتانى فله دِرْهَمٌ » [3] .

فصيغة الماضى فى قوله (أتانى) تدل على المستقبل وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة ، وهى « رجل » . ومن ذلك قوله تعالى لرسول الله ﷺ فى المخلَّفين : ﴿ ولا تُصَلِّ على أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبدًا ﴾ [4] .

فصيغة الماضى فى قوله (مات) تدل على المستقبل وتقع فى جملة صفة لنكرة ، وهى (أحد) .

---

(١) يقول ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ٤٣): « إذا عطفت بعد الهمزة بأو ، فإن كانت همزة التسوية لم يجز قياسًا وقد أُولِع الفقهاءُ وغيرُهم بأن يقولوا « سواء كان كذا أو كذا » . . . والصواب العطف . . . بأمْ » .

(٢) وتدل صيغة الماضى فى هذا الموقع على الزمن الماضى أيضًا والذى يحدد ذلك هو السياق . ومن دلالتها على الماضى قول الأعشى الكبير ميمون بن قيس (فى ديوانه : القصيدة الأولى – البيت ٧١) :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذلك اليَوْ ... مَ ، وأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أقتالِ

فصيغة الماضى فى قوله (هرقته) تدل على الماضى وتقع فى جملة صفة لنكرة عامة هى (رفد) . والبيت من بحر الخفيف ، وهو من قصيدة فى مدح الأسود بن المنذر اللخمى . والرِّفْد : القدح الضخم ، ويكنى بإراقة الرفد عن الموت . وأقتال : جمع قِتْل ، وهو العدو . المعنى : كم كأس سفحته ذلك اليوم ، وكم أسير من معشر أعداء .

(٣) يعلل الرضى (فى شرح الكافية ٢/ ٢٢٥) دلالة صيغة الماضى على المستقبل فى هذا المثال بأن فيها « رائحة الشرط » .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٨٤ . وفى بيان الدلالة الزمنية لصيغة الماضى فى هذه الآية ، يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٢/ ٢٠٧) : « (مات) صفة لأحد ، وإنما قيل : مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة » .

الثالث : إذا وردت بعد (ما) المصدرية الظرفية [1] :

نحو قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم ، عليه السلام :

﴿ وأَوْصَانى بالصلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حيًا ﴾ [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (مادمت) تدل على المستقبل بعد ما المصدرية الظرفية ، ومعنى العبارة : مدةَ دوامى حيا . ومن ذلك ما روى عن امرئ القيس أنه رأى عند موته قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت فى سفح جبل يقال له عسيب ، فسأل عنها فأُخْبِر بقصتها ، فقال [3] :

أجَارتَنَا إنَّ المزارَ قريبُ ∴ وإنِّى مُقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ

فصيغة الماضى فى قوله (ما أقام) تدل على المستقبل بعد ما المصدرية الظرفية . ومعنى العبارة : مدة إقامة عسيب .

وقد تدل صيغة الماضى بعد ما المصدرية الظرفية على الزمن الماضى . من ذلك قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم ، عليه السلام : ﴿ وكنتُ عَلَيهِمْ شهيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [4] .

فصيغة الماضى فى قوله (مادمتُ) تدل على الماضى بعد ما المصدرية الظرفية ، دل على ذلك سياق الآية .

(١) أطلق ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ٣٠٥) على ما المصدرية الظرفية اسم (ما) المصدرية الزمانية .

(٢) سورة مريم ، الآية ٣١ .

(٣) ديوان امرئ القيس : ص٣٥٦ ، البيت الأول من قصيدة (أجارتنا) . والبيت من بحر الطويل .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٧ .

الرابع : إذا وردت بعد حرف من حروف التحضيض [1] دلت على المستقبل فى سياقى العرض والأمر :

فمن دلالة صيغة الماضى على المستقبل بعد حرف التحضيض فى سياق العرض قوله تعالى حكاية عن الكافر يوم القيامة : ﴿ لولا أخَّرتَنِي إلى أجَلٍ قريبٍ فأصَّدَّقَ وأكُنْ من الصَّالحين ﴾ [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (أخرتنى) تدل على المستقبل بعد الحرف (لولا) فى سياق العرض .

ومن دلالتها على المستقبل بعد حرف التحضيض فى سياق الأمر قوله تعالى : ﴿ فلولا نَفَرَ مِن كلٍّ فرقةٍ منهم طائفة ﴾ [3] .

فصيغة الماضى فى قوله (نفر) تدل على المستقبل بعد حرف التحضيض (لولا) فى سياق الأمر ، والمعنى : « لِيَنْفِرْ من كل فرقة طائفة » [4] .

الخامس : إذا وردت فى سياق الوعد :

نحو قوله تعالى : ﴿ إنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر ﴾ [5] .

---

(1) حروف التحضيض هى : ألاَّ ، ولولا ، ولو ما ، وهَلاَّ . وأطلق النحاة على هذه الحروف حروف التحضيض على التوسع ؛ إذ إنها ترد لمعنى التحضيض وغيره كالعرض والأمر والتوبيخ .

(2) سورة المنافقين ، الآية ١٠ . ويعلل ابن يعيش (فى شرح المفصل ١٤٤/٨) سبب دلالة صيغة الماضى على المستقبل بعد (لولا) فى هذه الآية بأن (لولا) يشبه حرف الشرط ؛ « لأنه فى معناه ، والتقدير : إنْ أخرتنى أصدق ؛ ولذلك جزم (وأكنْ) بالعطف على موضع (فأصدق) » .

(3) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

(4) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣١/١ ، والسيوطى : همع الهوامع : ٢٥/١ .

(5) سورة الكوثر ، الآية ١ . ذكرا بن مالك (فى شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن الماضى ينصرف « إلى الاستقبال بالوعد كقوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ » .

فصيغة الماضى فى قوله (أعطيناك) تدل على المستقبل فى سياق الوعد الذى وعده الله بإعطائه رسوله ﷺ الكوثر يوم القيامة .

السادس : إذا وردت فى سياق القسم ، وذلك إن وقعت فى جملة جواب القسم :[1]

نحو قول الواقدى (ت ٢٠٧هـ) فى أمر قريش حين كانت تستعد للخروج إلى بدر: « فمشت قريش إلى أبى لهب فقالوا : إنك سيد من سادات قريش ، وإنك إن تخلَّفتَ عن النفير يعتبر بك غيرُك من قومك ، فاخرجْ أو ابعث أحدًا . فقال : واللات والعزَّى لا أخرج ولا أبعث أحدًا ! فجاءه أبو جهل فقال : قم أبا عتبة ، فوالله ما خرجنا إلاَّ غضبًا لدينك ودين آبائك ! »[2] .

فصيغة الماضى فى قوله (ما خرجنا إلاَّ غضبًا) تدل على المستقبل فى جملة جواب القسم ، إذ إن قريشًا فى ذلك الوقت كانت تستعد للخروج ولم تكن قد خرجت بعد. يلاحظ أن صيغة الماضى فى هذا المثال دلت على المستقبل ووقعت فى جملة جواب قسم جاءت على صورة الاستثناء المفرغ بما النافية وإلاَّ .

وتضاف هذه الصورة إلى ما قاله ابن مالك [3] من أن صيغة الماضى تنصرف إلى الاستقبال بعد القسم فى جملة منفية بلا أو بإن .

---

(١) يرى ابن مالك (فى شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن انصراف الماضى إلى الاستقبال « بعدالقسم بالنفى بلا كقول الشاعر :

ردُوا فوالله لاَذُدْناكم أبدًا ∴ مادام فى مائنا وردٌ لنُزَّالِ

وانصرافه بالنفى بإن كقوله تعالى (فى سورة فاطر ٤١) : ﴿ إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السمواتِ والأرضَ أنْ تَزُولاَ ولَئِنْ زَالَتَا إنْ أَمْسَكهُمَا مِن أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أى والله لئن زالتا ما يمسكهما » .

(٢) المغازى : ١/ ٣٣ .

(٣) ينظر : شرح التسهيل ١/ ٣٠ .

السابع : إذا وردت فى سياق الرجاء :

نحو قوله تعالى : ﴿ وآخرونَ اعْتَرَفُوا بذنوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالحًا وآخَرَ سَيِّئًا عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم ﴾ (١)

فصيغة الماضى فى قوله « عسى » (٢) تدل على المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث المتمثل فى قوله (اعترفوا بذنوبهم) .

الثامن : إذا وردت فى سياق الأمر :

نحو قوله تعالى : ﴿ وقُلْ للذينَ أوتوا الكتابَ والأُمِّيِّينَ أأسْلَمْتُمْ فإنْ أَسْلَمُوا فقدِ اهْتَدَوا وإنْ تَوَلَّوْاْ فإنما عَلَيْكَ البلاغُ ﴾ (٣) .

فصيغة الماضى فى قوله « أأسلمتم » (٤) تدل على المستقبل فى سياق الأمر .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٢ .

(٢) أوضح ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ١٥١ ، ١٥٢) أن « (عسى) تستعمل على أوجه : أحدها أن يقال : عسى زيدٌ أن يقوم . . . الاستعمال الثانى : أن تسند إلى أن والفعل فتكون فعلاً تاماً ، هذا هو المفهوم من كلامهم . وقال ابن مالك : عندى أنها ناقصة أبدًا . . . الثالث والرابع والخامس : أن يأتى بعدها المضارع المجرد ، أو المقرون بالسين أو الاسم المفرد ، نحو : عسى زيدٌ يقوم ، وعسى زيدٌ سيقوم ، وعسى زيد قائما ، والأول قليل . . . والثالث أقل . . . والسادس : أن يقال : عَسَاىَ ، وعَسَاك ، وعَسَاه ، وهو قليل » .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .

(٤) يقول ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ١٧ ، ١٨) : « قد تخرج الهمزةُ عن الاستفهام الحقيقى ، فترد لثمانية معانٍ : . . . السادس : الأمر ، نحو : (أأسْلَمْتُمْ) أى : أَسْلِمُوا » .

التاسع : إذا وردت فى سياق التمنى بعد (لو) :

نحو : « لو أعطَانى ووَهَبَنِى »[1] .

فصيغة الماضى فى قوله (أعطانى) تدل على المستقبل فى سياق التمنى بعد (لو) الدالة عليه .

العاشر : إذا وردت فى سياق الدعاء :[2]

ويكون الدعاء بالخير أو بالشر . وبيان هذين النوعين كما يلى :

١ - الدعاء بالخير : ويكون عن طريق الإثبات ، نحو : أطال الله بقاءَك وبُورِكتَ . ومن ذلك ما كتبه جعفر بن محمد بن ثَوَابه عن الخليفة العباسى المعتضد (محمد بن الموفّق) إلى ابن طُولون « فى ذكر ابنته قَطْر النّدى المنقولة إليه ، وهو: وأما الوديعة - أعَزَّكَ اللهُ ! - فهى بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ، عنايةً بها ، وحياطة لها ، ورعايةً لموالاتك فيها »[3] .

---

(١) يرى ابن يعيش (فى شرح المفصل ٩/ ١١) أن « (لو) قد تستعمل بمعنى أنْ للاستقبال ، فحصل فيها معنى التمنى ، لأنه طلب ، فلا تفتقر إلى جواب ، وذلك نحو : « لو أعطانى ووهبنى » . والتمنى نوع من الطلب » .

(٢) يرى عباس محمود العقاد (فى مقالته : الزمن فى اللغة - مجلة مجمع اللغة العربية : ٤١/١٤) أن « المعنى غالب على اللفظ فى الدعاء. . . يقول القائل (صحبتك السلامة) و (حفظك الله) و (رعاك الله) . . .ومن آية القصد فى اللغة ألا يحتاج الفعل هنا إلى النقل من صيغة الماضى إلى الحاضر ؛ لأن المعنى بالبداهة معلق بالاستقبال . وفى بقائه على صيغة الماضى ما يشعر بقوة الأمل فى الاستجابة » .

وعلى عكس ذلك ذكر آرتون AARTUN Zur Frage altarabischer Tempora, S. 74 أن «صيغة قَتَلَ تستعمل كثيرًا فى الدعاء والتوكيدات القسمية بلا خاصية زمنية ohne temporalen Bezug مثل: أيَّدَكَ اللهُ».

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ٤٠٧/١ ، ٤٠٨ .

فصيغة الماضي في قوله « أَعَزَّكَ اللهُ » [1] تدل على المستقبل في سياق الدعاء بالخير عن طريق الإثبات . وقد يكون الدعاء بالخير عن طريق النفي بلا ، نحو : لا فَضَّ اللهُ فاكَ ، ولا شُلَّتْ يَدَاك .

٢ - الدعاء بالشر : ويكون عن طريق الإثبات نحو : لَعَنَ اللهُ فلانا . وقد يكون عن طريق النفي بلا ، نحو : لا رحمه الله . ومن ذلك قول أبي فراس الحمداني لغلامين له : [2]

لا رَعَى اللهُ ، يا خَلِيليَّ ، دَهْرًا ∴ فَرَّقَتْنَا صُرُوفُهُ تَفْرِيقا

فصيغة الماضي المنفية بلا في قوله « لا رعى الله دَهْرا » تدل على المستقبل في سياق الدعاء بالشر .

لاحظ ڤولفديترش فيشر [3] وهوبكنز [4] « أن صيغة المضارع استعملت استعمال صيغة الماضي التي تقوم بوظيفة الدعاء بمرور الزمن ، وذلك في اللغة التي انحدر مستواها شيئا ما عن مستوى العربية الفصحى التي ضبطت قواعدها من قِبَل النحاة [5] . إلاَّ أن صيغة الماضي على الرغم من ذلك ظلت شائعة جداً . مثل ذلك قول العرب : « يَرْحَمُكَ الله » .

---

(١) أوضح ابن جني (في الخصائص : ٣/ ٣٣٠) أنك « تقول : اعزّك الله ، واطال بقاءك ، فتأتي بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال » .

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر : ١/ ١٠٠ . والبيت من بحر الخفيف .

(٣) FISCHER, WOLFDIETRICH : Grammatik des klassischen Arabisch, § 182, S. 92.

(٤) HOPKINS, SIMON : Studies in the grammar of early arabic, § 137, p. 133.

(٥) In nachklassischen Sprache.

الحادى عشر : إذا وردت فى سياق الشرط [1] .وذلك إذا وقعت فى جملة الشرط بعد اداة من أدوات الشرط :

نحو : إنْ قُمْتَ قُمْتُ » [2] .

فصيغة الماضى الواقعة فى جملة الشرط (قمتَ) تدل على المستقبل فى سياق الشرط بعد « إنْ » [3] .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وإنْ كُنْتُمْ على سَفَرٍ ولم تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ ، فإنْ أَمِنَ بعضكُم بعضًا فَلْيُؤدِّ الذى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ [4] .

فصيغة الماضى فى قوله (كنتم) و (أمن) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ، ووقع الفعلان فى جملة الشرط بعد (إنْ) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إذا قُمْتُمْ إلَى الصَّلاةِ فاغْسِلوا وُجوهكُمْ وأَيْدِيكُمْ إلى المَرَافِقِ ﴾ [5] .

فصيغة الماضى فى قوله (قمتم) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ، ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (إذا) .

---

(١) أوضح ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/١٥٥) أن « الشرط إنما يكون بالمستقبل ؛ لأن معنى تعليق الشىء على شرط إنما هو وقوف دخوله فى الوجود على دخول غيره فى الوجود ولا يكون هذا المعنى فيما مضى » .

(٢) ذكر ابن جنى (فى الخصائص ٣/٣٣١) أن « حديث الشرط فى نحو إنْ قمتَ قمتُ ، جئتَ فيه بلفظ الماضى الواجب ؛ تحقيقا للأمر ، وتثبيتًا له ، أى إن هذا وعد مُوَفًّى به لا محالة ؛ كما أن الماضى واجب ثابت لا محالة » .

(٣) قال ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/١٥٦) إنَّ « (إنْ) أمُّ هذا الباب . . . وحق إنْ الجزائية أن يليها المستقبل من الأفعال لأنك تشترط فيما يأتى أن يقع شىء لوقوع غيره . فإن وليها فعل ماض أحالت معناه إلى الاستقبال .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٣ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٦ .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فقد فَازَ ﴾ [1] .

فصيغة الماضى فى قوله(زحزح) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (مَنْ) .

ومن ذلك قول سحيم عبد بنى الحسحاس (ت ٤٠هـ) يشبب بفتاتين من قبيلته [2] :

فلو كُنْتُ مُخْتاراً لنَفْسِى وصاحبى ∴ من الناسِ بَيْضَاوَيْنِ قلتُ : هُما هُما

فصيغة الماضى فى قوله (كنت) تدل على المستقبل فى سياق الشرط ووقع الفعل فى جملة الشرط بعد (لو) .

وكذا الحال فى الأمثلة التى تقع فيها صيغة الماضى فى جملة الشرط بعد أداة من أدوات الشرط الأخرى مثل : ما ، أى ، أين ، متى ، أيان ، كيف ، أنى ، حيثما .

وترد صيغة الماضى فى سياق الشرط وهى واقعة فى جملة الشرط بعد الأداة ، فتدل على الزمن الماضى أيضا [3] .

فمن دلالتها عليه قوله تعالى حكاية عن عيسى ، عليه السلام : ﴿ إن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ [4] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٥ .

(٢) ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس : ص٦٢ ، قصيدة (وك) ، البيت ١٥ . والبيت من بحر الطويل .

(٣) أوضح رايت WRIGHT فى كتابه : (Agrammar of the Arabic Language, p. 16) أنه « إذا كان لصيغة الماضى بعد أدوات الشرط معنى تاريخى (يقابل الزمن الماضى فى الانجليزية) وجب أن تتصدر (كان) أو إحدى أخواتها العبارتين المترابطتين ، نحو : « كانوا إن بالغوا بَلّغُوا » » . .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١١٦ . يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل ٨/ ١٥٦) : « فإنْ قيل : فإنهم يقولون : إن كنت زرتنى أمس أكرمتك اليوم . وقد وقع بعد إن الفعل ومعناه المضى ومنه قوله تعالى : ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾ قيل : قد أجاب عن ذلك المبرد وقال : إنما ساغ ذلك فى :(كان) ؛ لقوة دلالتها على المضى » .

فصيغة الماضى فى قوله (كنتُ) تدل على الماضى فى سياق الشرط .

ومن ذلك قول الوزير أبى عامر بن عبد الملك بن شُهَيْد [1] يصف ثَعْلبًا :
« إذا رأى الفرصةَ انتهزها ، وإن طَلَبَتْهُ الكماةُ أعجزها » [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (رأى) و (طلبته) تدل على الزمن الماضى فى سياق الشرط ، ووقع الفعلان فى جملة الشرط بعد (إذا) و (إنْ) .

الثانى عشر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » [3] :

وتأتى هذه الحكاية على ثلاثة أوجه ؛ الأول : إخبار الله تعالى فى القرآن الكريم عما سيأتى فى الدنيا ، والثانى : إخباره ، عزَّ وجلَّ ، عما سيأتى يوم القيامة ، والثالث : إخبار الناس فى غير القرآن عما يُتَوقَّع إتيانهُ فى الدنيا ويوم القيامة .

وبيان هذه الأوجه الثلاثة كما يلى :

---

(١) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (٩٩٢م - ١٠٣٥م) هو من بنى الوضّاح من أشجع من قيس عيلان . وزير من كبار الأندلسيين أدبا وعلما . مولده ووفاته بقرطبة له شعر جيِّد ، يهزل فيه ويجدّ وبعض التصانيف ، منها « كشف الدك وإيضاح الشك » و « حانوت عطّار » « التوابع والزوابع » وكانت بينه وبين ابن حزم الظاهرى مكاتبات ومداعبات . (ينظر : وفيات الأعيان ١ : ٣٥ ، نفح الطيب ١/ ٢٩٥ ، والذخيرة : المجلد الأول من القسم الأول ١٦١) .

(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : ٩/ ٧٨٢ .

(٣) ورد مصطلح « حكاية الحال الآتية » فى كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج (القسم الثالث : ٨٨٨) . وذكر ابن هشام الأنصارى فى (مغنى اللبيب : ١/ ٨٠) أن جمهور النحاة سموه « باب ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ » ، كما ذكر معناه ، وهو « تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع » .

الأول : إخبار الله ، عز وجل ، عما سيأتى فى الدنيا :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وكم مِن قريةٍ أهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بأسُنَا ﴾ [1] .

فصيغة الماضى فى قوله (أهلكناها) تدل على المستقبل القريب بالنسبة لنقطة الحدث المعينة فى قوله (جاءها) وذلك فى سياق «حكاية الحال الآتية» .

وقوله تعالى : ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مبينًا ﴾ [2] .

فصيغة الماضى فى قوله (فتحنا) تدل على المستقبل بالنسبة لوقت نزول الآية على رسول الله ﷺ وذلك فى سياق « حكاية الحال الآتية » .

الثانى : إخبار الله ، عز وجل ، عما سيأتى يوم القيامة :

وهو كثير الورود فى القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ونادَىَ أصْحَابُ الجَنَّةِ أصْحَابَ النـار أنْ قَدْ وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُم مـا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالوا نَعَم فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أنْ لَعنَةُ اللهِ على الظَّالِمينَ ﴾ [3] .

---

(1) سورة الأعراف ، الآية ٤ . وفى كتاب إعرب القرآن المنسوب إلى الزجاج (القسم الأول : ٩٧) تفسير لهذه الآية ، وهو : « فإن قلت : فما وجه دخول الفاء فى قوله (فجاءَهَا بأسُنا) والبأس لا يأتى المهلكين ، إنما يجيئهم البأس قبل الإهلاك . ومن مجئ البأس يكون الإهلاك ، فإنه يكون المعنى فى قوله (أهلكناها) قربت من الهلاك ولم تهلك بعد ، ولكن لقربها من الهلاك ودنوها وقع عليها لفظ الماضى » .

(2) سورة الفتح ، الآية ١ . وفى تفسير هذه الآية يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ٦/٢) : « هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح ، وجئ به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره ؛ لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المُخْبِر ما لا يخفى » .

(3) سورة الأعراف ، الآية ٤٤ . وفى تفسير هذه الآية يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ١٠٨/٢) : « وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة فى غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم (لعنة الله على الظالمين) ، وهو ملك يأمره الله فينادى بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار » .

فصيغـة الماضى فى قوله : (نادَى ، وقـالوا ، وأذَّن) تدل على المسـتقبل فى سياق « حكاية الحـال الآتية » عما سيجرى يوم القيامـة من تقاول بين أهل الجنة وأهل النار .

وقوله تعالى : ﴿ وما أَمْرُ فِرْعونَ برشيد ، يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القيامةِ فأوْرَدَهُمُ النارَ ﴾ [1] .

فصيغة الماضى فى قوله (فأوردهم) تدل عـلى المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما سـيحدث يوم القيامة لفرعون وقـومه من عذاب . ويلاحظ هنـا عطف الفـعل الماضى « أورد » عـلى المضارع « يـقدم » [2] واتفاقهما فى الدلالة على زمن واحد.

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فلاتَسْتَعْجِلُوه ﴾ [3] .

---

(١) سورة هود ، الآية ٩٨ . يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٣/٥٤) : « هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ، ولم جئ بلـفظ الماضى [قلت] : لأن الماضى يـدل على أمر موجود مقطـوع به فكأنهم قيل يـقدمهم فيوردهم النار لا محالة » .

(٢) عطف الماضى علـى المضارع هو نوع من الالتفات عنـد علماء البلاغة ، يقول العـلوى (فى الطراز : ٢/١٣٢) إن معنى الالتفات « فـى مصطلح علماء البلاغة ، هو العدول مـن أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف لـلأول وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبـة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة ؛ لأن الأول يعمُّ سائر الالتفاتات كلها ، والحد الـثانى إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير . ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضى إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلك » .

(٣) سورة النحل ، الآية ١ . فى تفسير هذه الآيـة يقول الزمخشرى (فى الكشاف : ٣/١٤١) : « ﴿ أتى أمر الله ﴾ الذى هو بمـنزلة الآتى الواقع وإن كان مـنتظرًا لقرب وقـوعه (فلا تستعجـلوه) روى أنه لما نزلت ﴿ اقتربت الساعة ﴾ قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى تنظـر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً فنزلـت ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ فأشفقوا وانتظروا قربها ، فلما امتدت الأيام قالوا يا مـحمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت ﴿ أتى أمر الله ﴾ فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم فنزلت ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ فاطمأنوا » .

فصيغة الماضى فى قوله (أتى) تدل على المستَقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن قرب وقوع يوم القيامة .

والجدول التالى يوضح الأفعال الماضية التى وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » عـما أخبر به الله عـز وجل عن أحداث يوم الـقيامة وأوصافـها وقرب مجيئـها كما يوضح مواضـع ورود هذه الأفعال فى القرآن الـكريم وعدد مرات ورودها ونسبتها المئوية :

جدول رقم (١)

إحصاء الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن يوم القيامة فى القرآن

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
١	قال أو قيل	البقرة ١٦٧ ، المائدة ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٩ ، الأنعام ٢٧ ، ٣٠ (٣ مرات) ، ١٢٨ (مرتان) ، ١٣٠ ، الأعراف ٣٨ (٣ مرات) ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، يونس ٢٨ ، إبراهيم ٢١ (مرتان) ، النحل ٢٧ ، طه ١٢٥ ، ١٢٦ ، المؤمنون ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، الفرقان ١٨ ، الشعراء ٩٢ ، ٩٦ ، النمل ٨٤ ، القصص ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٥ ، الروم ٥٦ ، السجدة ٢٠ ، الأحزاب ٦٧ ، سبأ ٢٣ (مرتان) ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤١ ، فاطر ٣٤ ، يس ٥٢ ، الصافات ٢٨ ، ٢٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ الزمر ٢٤ ، ٧١ (مرتان) ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، غافر ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ (٣ مرات) ، ٧٣ ، ٧٤ ، فصلت ٢١ (مرتان) ، ٢٩ ، ٤٧ ، الشورى ٤٥ ، الجاثية ٣٤ ، الأحقاف ٣٤ (مرتان) ، ق ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، الطور ٢٦ ، الحديد ١٣ ، ١٤ ، التحريم ١٠ ، الملك ٩ ، ١٠ ، المدثر ٤٣ ، النبأ ٣٨ ، الزلزلة ٣ .	٨٩	٪٢٩,٥٧
٢	كان	الكهف ١٠٧ ، الفرقان ٢٦ ، الروم ١٣ ، السجدة ٥ ، الحشر ١٧ ، المعارج ٤ ، الجن ١٥ ، المزمل ١٤ ، الإنسان ٥ ، ٧ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ (مرتان) ، النبأ ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١	١٨	٪٥,٩٨

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٣	جاء أو جيء	النحل ٨٩ ، النمل ٨٤ ، الزمر ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، فصلت ٢٠ ، ق ٢١ ، النازعات ٣٤	٨	٪ ٢,٦٦
٤	رأى	البقرة ١٦٦ ، الكهف ٥٣ ، القصص ٦٤ ، الصافات ٥٥ ، الإنسان ١٩ ، ٢٠ (مرتان)	٧	٪ ٢,٣٣
٥	نُفِخ	الكهف ٩٩ ، يس ٥١ ، الزمر ٦٨ (مرتان) ، ق ٢٠ ، الحاقة ١٣	٦	٪ ١,٩٩
٦	أذن	طه ١٠٩ ، سبأ ٢٣ ، النبأ ٣٨ ، الانشقاق ٢، ٥	٥	٪ ١,٦٦
٧	أعَدَّ أو أُعِدَّ	الأحزاب ٥٧ ، ٦٤ ، الفتح ٦ ، الحديد ٢١ ، المجادلة ١٥	٥	٪ ١,٦٦
٨	نادى أو نُودِي	الأعراف ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠	٥	٪ ١,٦٦
٩	أتى	النحل ١ ، الشعراء ٨٩ ، النمل ٨٧ ، الطور ١٨	٤	٪ ١,٣٣
١٠	بَدَا	الأنعام ٢٨ ، الزمر ٤٧ ، ٤٨ ، الجاثية ٣٣	٤	٪ ١,٣٣
١١	جَعَل	الفرقان ٢٣، سبأ ٣٣ ، الصافات ٦٣ ، الواقعة ٣٦	٤	٪ ١,٣٣
١٢	حاق	هود ٨ ، الزمر ٤٨ ، الجاثية ٣٣ ، الأحقاف ٢٦	٤	٪ ١,٣٣
١٣	ضَلّ	يونس ٣٠ ، النحل ٨٧ ، القصص ٧٥ ، فصلت ٤٨	٤	٪ ١,٣٣
١٤	فُتِح	الأنبياء ٩٦ ، الزمر ٧١ ، ٧٣ ، النبأ ١٩	٤	٪ ١,٣٣

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
١٥	خَسِر	المؤمنون ١٠٣ ، الزمر ١٥ ، الشورى ٤٥	٣	١,٣٣٪
١٦	حَقَّ او حُقَّ	الزمر ٧١ ، الانشقاق ٢ ، ٥	٣	١٪
١٧	أقبل	الصافات ٢٧ ، ٥٠ ، الطور ٢٥	٣	١٪
١٨	ألقَى	النحل ٢٨ ، ٨٦ ، ٨٧	٣	١٪
١٩	نَزَع	الأعراف ٤٣ ، الحجر ٤٧ ، القصص ٧٥	٣	١٪
٢٠	أوْرَث او أُورِث	الأعراف ٤٣ ، الزمر ٧٤ ، الزخرف ٧٢	٣	١٪
٢١	وَقَى	الطور ١٨ ، ٢٧ ، الإنسان ١١	٣	١٪
٢٢	بَرَز	إبراهيم ٢١ ، ٤٨	٢	٠,٦٦٪
٢٣	بَرُز	الشعراء ٩١ ، النازعات ٣٦	٢	٠,٦٦٪
٢٤	جَمَع	الكهف ٩٩ ، المرسلات ٣٨	٢	٠,٦٦٪
٢٥	أَحَلَّ	إبراهيم ٢٨ ، فاطر ٣٥	٢	٠,٦٦٪
٢٦	أُدْخِل	إبراهيم ٢٣ ، نوح ٢٥	٢	٠,٦٦٪
٢٧	دَعَا	الكهف ٥٢ ، القصص ٦٤	٢	٠,٦٦٪
٢٨	رَدَّ او رُدَّ	يونس ٣٠ ، التين ٥	٢	٠,٦٦٪
٢٩	أُزْلِف	الشعراء ٩٠ ، ق ٣١	٢	٠,٦٦٪
٣٠	سَقَى او سُقِى	محمد ١٥ ، الإنسان ٢١	٢	٠,٦٦٪
٣١	سِيق	الزمر ٧١ ، ٧٣	٢	٠,٦٦٪
٣٢	انشقَّ	الحاقة ١٦ ، الانشقاق ١	٢	٠,٦٦٪
٣٣	شَهِد	الأنعام ١٣٠، فصلت ٢٠	٢	٠,٦٦٪

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٣٤	ظنَّ	الكهف ٥٣ ، فصلت ٤٨	٢	٠,٦٦ ٪
٣٥	عَرَضَ أو عُرِض	الكهف ٤٨ ، ١٠٠	٢	٠,٦٦ ٪
٣٦	فَزِع	النمل ٨٧ ، سبأ ٥١	٢	٠,٦٦ ٪
٣٧	اقترب	الأنبياء ١ ، ٩٧	٢	٠,٦٦ ٪
٣٨	قُضِى	الزمر ٦٩ ، ٧٥	٢	٠,٦٦ ٪
٣٩	قَطَّع او قُطِّع	الحج ١٩ ، محمد ١٥	٢	٠,٦٦ ٪
٤٠	لَعَن	الأعراف ٣٨ ، الأحزاب ٦٤	٢	٠,٦٦ ٪
٤١	أُلقِى	الملك ٨ ، الانشقاق ٤	٢	٠,٦٦ ٪
٤٢	هُدِى	الحج ٢٤ (مرتان)	٢	٠,٦٦ ٪
٤٣	وُضِع	الكهف ٤٩ ، الزمر ٦٩	٢	٠,٦٦ ٪
٤٤	وَقَع	النمل ٨٥ ، الحاقة ١٥	٢	٠,٦٦ ٪
٤٥	وُقِف	الأنعام ٢٧ ، ٣٠	٢	٠,٦٦ ٪
٤٦	أُخِذ	سبأ ٥١	١	٠,٣٣ ٪
٤٧	أَذَّن	الأعراف ٤٤	١	٠,٣٣ ٪
٤٨	أزف	النجم ٥٧	١	٠,٣٣ ٪
٤٩	أَلَت	الطور ٢١	١	٠,٣٣ ٪
٥٠	بَدَّل	النساء ٦٥	١	٠,٣٣ ٪
٥١	تَبَرَّأ	البقرة ١٦٦	١	٠,٣٣ ٪
٥٢	بَعَث	يس ٥٢	١	٠,٣٣ ٪

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٥٣	بُعْثِر	الانفطار ٤	١	٠,٣٣ ٪
٥٤	تَرَكَ	الكهف ٩٩	١	٠,٣٣ ٪
٥٥	ثُوِّب	المطففون ٣٦	١	٠,٣٣ ٪
٥٦	جَزَى	الإنسان ١٢	١	٠,٣٣ ٪
٥٧	حَسِب	الإنسان ١٩	١	٠,٣٣ ٪
٥٨	حَشر	الكهف ٤٧	١	٠,٣٣ ٪
٥٩	حُلَّ	الإنسان ٢١	١	٠,٣٣ ٪
٦٠	حُمِل	الحاقة ١٤	١	٠,٣٣ ٪
٦١	أحَاط	الكهف ٢٩	١	٠,٣٣ ٪
٦٢	حِيل	سبأ ٥٤	١	٠,٣٣ ٪
٦٣	خَشع	طه ١٠٨	١	٠,٣٣ ٪
٦٤	أخرج	الزلزلة ٢	١	٠,٣٣ ٪
٦٥	تَخَلَّى	الانشقاق ٤	١	٠,٣٣ ٪
٦٦	دَخَل	الأعراف ٣٨	١	٠,٣٣ ٪
٦٧	دُكَّ	الحاقة ١٤	١	٠,٣٣ ٪
٦٨	أذهب	فاطر ٣٤	١	٠,٣٣ ٪
٦٩	ذُلِّل	الإنسان ١٤	١	٠,٣٣ ٪
٧٠	رَحِم	الدخان ٤٢	١	٠,٣٣ ٪
٧١	رَضِى	طه ١٠٩	١	٠,٣٣ ٪

م	الفعل الماضي	مواضع وروده في القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٧٢	أراد	السجدة ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٧٣	زُلْزِل	الزلزلة ١	١	٠,٣٣ ٪
٧٤	زَوَّج	الطور ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٧٥	زاد	النحل ٨٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٦	زَيَّل	يونس ٢٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٧	سأل	الملك ٨	١	٠,٣٣ ٪
٧٨	ساء	الفتح ٦	١	٠,٣٣ ٪
٧٩	سُيِّر	النبأ ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٨٠	أَشْرَق	الزمر ٦٩	١	٠,٣٣ ٪
٨١	صَعِق	الزمر ٦٨	١	٠,٣٣ ٪
٨٢	ضُرِب	الحديد ١٣	١	٠,٣٣ ٪
٨٣	اطَّلَع	الصافات ٥٥	١	٠,٣٣ ٪
٨٤	عَرَّف	محمد ٦	١	٠,٣٣ ٪
٨٥	اعْتَرَفَ	الملك ١١	١	٠,٣٣ ٪
٨٦	عَمِي	القصص ٦٦	١	٠,٣٣ ٪
٨٧	أُعِيد	السجدة ٢٠	١	٠,٣٣ ٪
٨٨	فُجِّر	الانفطار ٣	١	٠,٣٣ ٪
٨٩	فُزِّع	سبأ ٢٣	١	٠,٣٣ ٪
٩٠	انفطر	الانفطار ١	١	٠,٣٣ ٪
٩١	قَدَّر	الإنسان ١٦	١	٠,٣٣ ٪

م	الفعل الماضى	مواضع وروده فى القرآن الكريم	عدد مرات وروده	نسبته المئوية بالتقريب
٩٢	قَدِم	الفرقان ٢٣	١	٠,٣٣٪
٩٣	تَقَطَّع	البقرة ١٦٦	١	٠,٣٣٪
٩٤	كُبْكِب	الشعراء ٩٤	١	٠,٣٣٪
٩٥	كشف	ق ٢٢	١	٠,٣٣٪
٩٦	كَفَى	الإسراء ١٤	١	٠,٣٣٪
٩٧	أَلْحَقَ	الطور ٢١	١	٠,٣٣٪
٩٨	لَقَّى	الإنسان ١١	١	٠,٣٣٪
٩٩	مُدَّ	الانشقاق ٣	١	٠,٣٣٪
١٠٠	أَمَدَّ	الطور ٢٢	١	٠,٣٣٪
١٠١	مَنَّ	الطور ٢٧	١	٠,٣٣٪
١٠٢	انتثر	الانفطار ٢	١	٠,٣٣٪
١٠٣	نُزِّل	الفرقان ٢٥	١	٠,٣٣٪
١٠٤	أَنْشأ	الواقعة ٣٥	١	٠,٣٣٪
١٠٥	نَضِج	النساء ٥٦	١	٠,٣٣٪
١٠٦	أَنْطَقَ	فصلت ٢١	١	٠,٣٣٪
١٠٧	انْهار	التوبة ١٠٩	١	٠,٣٣٪
١٠٨	وَجَدَ	الكهف ٤٩	١	٠,٣٣٪
١٠٩	أَوْرَدَ	هود ٩٨	١	٠,٣٣٪
١١٠	وفِّى	الزمر ٧٠	١	٠,٣٣٪
	الجملة		٣٠١	

يتضح من الجدول السابق :

(١) أن عدد الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الله عز وجل عن أحداث يوم القيامة وأوصافها ومجيئها بلغ فى القرآن الكريم ١١٠ أفعال ترددت ٣٠١ مرة . وأظن أن هذا العدد كثير إذا ما قورن بعدد الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى « حكاية الحال الآتية » فى غير القرآن .

(٢) أن أكثر الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » ترددًا فى القرآن هو الفعل (قال) ؛ فقد ورد ٨٩ مرة ، أى بنسبة ٢٩,٥٧٪ تقريبا إلى المجموع الكلى لعدد تردد الأفعال الماضية الأخرى . وللفعل (قال) أهمية خاصة فى الحكاية ؛ إذ يحكى بعده ما كان كلاما لا قولاً ؛ يقول سيبويه : « واعلم أن قلت فى كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بهاوإنما يحكى بعد القول ما كان كلامـا لا قولاً نحو : قلتُ : زيدٌ منطلقٌ » [١] . ويقول المبرد : « (قلت) : إنما يقع بعدها الحكايةُ إذا كانت جملة ؛ نحو الابتداء والخبر ، وما أشبه ذلك » [٢] .

الثالث: إخبار الناس فى غير القرآن عما يُتوقع إتيانه فى الدنيا ويوم القيامة :

من ذلك قول أحد الرعية : « أقبل الأمير وقد جاء المبشِّرُ » [٣] إذا كان الأمير على وشك الوصول إلى المكان فصيغة الماضى فى قوله (أقبل) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به الرجل من توقع إقبال الأمير .

---

(١) الكتاب : ١/٦٢ .

(٢) المقتضب : ٤/٧٨ .

(٣) الزمخشرى : الكشاف : ٦/٥٤ .

ومن ذلك « قولك لمن طلب إليك بعض المطالب : « قد كان ذلك » وعن حسان (بن ثابت) أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكى فقال له يابنى ، مالك ؟ قال : لسغنى طويـر كأنه ملتف فى بردى حَبرة ، فضمه إلى صدره وقال له : يا بنى قد قلتَ الشعر » [1] .

فصيغة الماضى فى قوله (قد قلت) تدل عـلى المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » عما أخبر به حسان من توقع أن يصبح ابنه شاعرا .

ومن ذلك أيضـا قول عمر بن الخطـاب فى إسلام الحكم بن كـيسان رضى الله عنهما : « فـأسْلَمَ والله فحسُن إسلامه ، وجاهد فى الله حتـى قُتل شهيداً يوم بئر معونة ورسول الله ﷺ راضٍ عنه ودَخَل الجِنان » [2] .

فصيغة الماضى فـى قـوله : (ودخل الجـنان) تدل على المستقبل فى سياق « حكاية الحـال الآتية » عما أخبر به عـمر بن الخطاب رضى الله عنـه من توقع دخول الحكم بن كيسان الجنة .



(١) الزمخشرى : الكشاف : ١١٤/٢ .

(٢) الواقدى : المغازى : ١٥/١ .

القسم الخامس

دلالة صيغة الماضى على زمن ما بعد المستقبل

تدل صيغة الماضى على زمن ما بعد المستقبل إذا وردت فى سياق من السياقين التاليين :

الأول : إذا وردت فى سياق الشرط : وذلك إذا وقعت فى جملة جواب شرط تسبقها جملة شرط تتضمن صيغة ماض دالة على المستقبل ، نحو قولك : « إن اتقيتَ الله أَدْخلكَ جَنَّتَه » [1] .

فصيغة الماضى فى قولك : (أدخلك) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قولك (اتقيت) فى سياق الشرط . ومن ذلك قول أحمد بن محمد بن عبد ربه [2] يصف أحد المدوحين [3] :

إنْ عِشْتَ عاشَ الناسُ فى نِعْمةٍ ∴ وَإنْ مُتَّ ماتَ بكَ النَّاسُ

فصيغة الماضى فى قوله (مات) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (مُتَّ) فى سياق الشرط .

---

(١) يقول ابن قيم الجوزية (فى بدائع الفوائد ١/ ١٠٥) : « إن الشرط لا يكون سابقًا للجزاء متقدما عليه فهو ماض بالإضافة إليه . الاترى أنك إذا قلت : إن اتقيت الله أدخلك جنته . فلا يكون إلا سابقاً على دخول الجنة فهو ماض بالإضافة إلى الجزاء فاتوا بلفظ الماضى تأكيدًا للجزاء وتحقيقًا ، لأن الثانى لا يقع إلا بعد تحقق الأول ودخوله فى الوجود » .

(٢) أحمد بن محمد بن عبد ربه أحد محاسن الأندلس علما وفضلا ، وأدبا ونبلا وشعره فى نهاية الجزالة والحلاوة (ينظر : يتيمة الدهرللثعالبى ٩/ ٨٢٦) .

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر : ٩/ ٨٢٩ . والبيت من بحر السريع ، إلاَّ أنه ورد هكذا باليتيمة وبه خلل عروضى بالشطر الثانى .

الآخر : إذا وردت فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة . وذلك إذا وقعت فى جملة جواب (لما) :

نحـو قولـه تعـالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ [1] .

فصيغة الماضى فى قوله (قال الشيطانُ) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (قُضِى) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ ﴾[2] فصيغة الماضى فى قوله (وأَسَرُّوا) تدل على ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (رأوا) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الذين كفروا ﴾ [3] .

فصيغة الماضى فى قوله (سيئت) تدل على زمن ما بعد المستقبل بالنسبة لنقطة الحدث الذى يقع فى المستقبل المتمثل فى قوله (رأوه) بعد (لما) فى سياق « حكاية الحال الآتية » عن أحداث يوم القيامة .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٢٢ . ومعنى قوله (لما قضى الأمر) : لما قطع الأمر ، وهو الحساب يوم القيامة (ينظر تفسير الكشاف للزمخشرى ١١٧/٣) .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٣٣. يقول الزمخشرى (فى الكشاف ٦٩/٥) : « فإن قلت : من صاحب الضمير فى (وأسروا) قلت : الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون » .

(٣) سورة الملك ، الآية ٢٧ . يقول الزمخشرى (فى الكشاف ١٣٨/٦) : « (فلما رأوه) الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أى رأوه ذا زلفة أو مكاناً ذا زلفة . (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب » .

خاتمة البحث

توصل البحث إلى نتائج عديدة متنوعة ، يُصَنَّف أهمها فى النقاط التالية :

أولاً : نتيجة عامة توصل إليها البحث بعد دراسة كل أقسام الدلالة الزمنية لصيغة الماضى ، وهى أن لصيغة الماضى دلالات زمنية تختلف باختلاف السياق اللغوى الذى ترد فيه بغض النظر عن إسنادها إلى الأسماء أو الضمائر أو بنائها للمعلوم أو المجهول .

ثانياً : من النتائج التى تمثل جدةً فى البحث والتى أرى أنها لم تطرح فيما سبق من دراسات على حد مبلغ علمى بذلك :

(١) أن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى قبل الحرف (حتى) ملتواً بصيغة ماضٍ ، فلم أقف حتى الآن على رأى قال بأن صيغة الماضى تدل على ما قبل الزمن الماضى فى هذا الموضع .

(٢) العثور على تركيب فعلىّ نادر الاستعمال ، فيما أظن ، وهو (كان قد كان فَعَل) ؛ فلم أعثر ، فيما قرأت ، إلاَّ على مثال واحد منه يدل على وقوع حدث بعيد من الزمن الماضى فى كتاب السيرة النبوية لابن هشام (١٧٣/٤) .

(٣) الوصول إلى أن صيغة الماضى تدل على الزمن الحاضر فى سياق الإعلان عن أمر والإقرار به ، ومثّل له فى البحث بالعديد من الشواهد والأمثلة .

(٤) أن أكثر الأفعال الماضية الدالة على المستقبل فى سياق « حكاية الحال الآتية » ترددًا فى القرآن هو الفعل (قال) ؛ فورد ٨٩ مرة أى بنسبة

٥٧ , ٢٩ ٪ تقريبًا إلى المجموع الكلى لعدد تردد الأفعال الماضية الأخرى . اتضح ذلك من الجدول الإحصائى الوارد فى القسم الرابع من البحث . وللفعل (قال) أهمية خاصة فى الحكاية ؛ إذ يُحكى بعده ما كان كلاماً لا قولاً .

ثالثاً : من النتائج التى تُمثِّل إضافةً جديدة إلى ما توصل إليه رأى أحد العلماء السابقين ما يلى :

(١) قام نيبز NEBES (فى كتابه : Funktionsanalyse von kaana yaf'alu, Kapitel 4, S. 79–91) بحصر ما تعبر عنه الأمثلة التى جمعها من النصوص العربية التى تحتوى على تركيب (كان يَفْعَلُ) الدال على استمرارِ وقوع الحدث فى الماضى ، وذلك فى ستة معان رئيسة ذكرت جميعها فى البحث .

وأضاف الباحث إلى المعانى الستة التى حصرها نيبز معنى سابعًا ، هو التعبير عن عادة ما . ومثَّل لهذا المعنى فى البحث بحديث نبوى شريف .

(٢) رأى ابنُ مالك (فى شرح التسهيل ١/ ٣٠) أن صيغة الماضى تنصرف إلى الاستقبال بعد القَسَم فى جملة منفية بلا أو بإن .

وأضاف الباحث صورة ثالثة إلى الصورتَيْن اللتين أوردهما ابنُ مالك ، وهى : أن صيغة الماضى تدل على المستقبل أيضاً إذا وقعت فى جملة جواب قَسَم جاءت على صورة استثناء مفرغ بما النافية وإلاَّ . ومثَّل لها فى البحث بمثال .

رابعاً : وصل البحث إلى نقد جملة من الآراء وإثبات بعض الآراء لدى الباحث ، ومن ذلك :

(١) ذُكِر فى موضوع « دلالة صيغة الماضى على قرب وقوع الحدث فى الماضى » رأى سيبويه الذى يقول (فى كتابه ٣/ ١٥٩) إن اقتران المضارع فى خبر كاد بـ (أنْ) خاصٌّ بالشعر .

إن ما جاء فى كتاب سيبويه ينفى ما ذكره ابنُ عقيل (فى شرحه على ألفية ابن مالك ١/ ٣٢٩) حين نسب رأى سيبويه السابق للأندلسيين .

(٢) يفهم من كلام الرضى عن « هلهل » (فى شرح الكافية ٢/ ٣٠٥) أن تركيبا مثل : « كاد يفعل » وأمثاله ، فيه مبالغة فى قرب وقوع الحدث أكثر مما لو قلت : « كاد أن يفعل » وأمثاله .

ولكن بتناول دراسة الدلالة الزمنية لهذين التركيبين فى بعض النصوص العربية التى وردت فى البحث من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر ، تبين فى ضوء سياقاتها أنه لا فرق فى الدلالة الزمنية بين تركيب « كاد يفعل » وأمثاله ، وتركيب « كاد أن يفعل » وأمثاله .

(٣) إن ما توصل إليه هذا البحث من أن لتركيب « قد فَعَل » دلالة رئيسة ، وهى انتهاء وقوع الحدث فى زمن ماضٍ قريب من لحظة التكلم ، وأن معظم دلالاته الفرعية تدور حول هذه الدلالة التى لا تؤديها صيغة (فَعَل) دون (قد) ، وكذلك ما رآه ابنُ هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب ١/ ١٧٢) من أن هناك فرقًا فى الدلالة الزمنية بين (فَعَل) و (قد فعل) وما لاحظه ڤولفديترش فيشر (فى كتابه : Grammatik des klassischen Arabisch, S. 94) من أن وظيفة صيغة الماضى فى الحكاية لا تؤدَّى بـ (قد) ، إنما تؤدَّى بصيغة (فَعَل) دون (قد) . إن هذا كله ينفى ما رآه الدكتور مالك المطلبى (فى الزمن واللغة ٢٣٣) من أن « المركب (قد

فَعَل) شأنه شأن صيغة (فعل) يدل على ماض قد يكون مطلقا أو قريبًا أو بعيدًا » .

(٤) يرى أبو على الفارسى أن (لما) ظرف زمان بمعنى (إذْ) فيه معنى الشرط . وذكر رأيَه ابنُ مالك (فى شرح التسهيل ٤/١٠٢) .

وأظنُّ أن ابن هشام الأنصارى تَوَهَّم حين نسب رأى أبى على الفارسى السابق لابن مالك (فى مغنى اللبيب ١/ ٢٨٠) .

(٥) توهم وليم رايت (فى كتابه : Agrammar of the Arabic Language, p. 14, 15) أن صيغة الماضى بعد همزة التسوية تدل على معنى الاستقبال فقط ، وأن العطف بعد همزة التسوية يكون بـ (أو) . ولعل الصواب هو أن صيغة الماضى تحتمل الاستقبال والمضى بعد همزة التسوية والذى يحدد ذلك هو سياق الكلام ، ومثَّل لكلا الزمنين فى البحث ، وأن حرف العطف الذى يستعمل بعد هذه الهمزة هو (أمْ) وليس (أو) .



مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن الشيبانى) :

- الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٣ - أحمد سليمان ياقوت (دكتور) :

- النواسخ الفعلية والحرفية « دراسة تحليلية مقارنة » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤م .

٤ - الاستراباذى (رضى الدين محمد بن الحسن) :

- شرح كتاب الكافية فى النحو للإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٥ - الأصمعى (أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك) :

- الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٧م .

٦ - الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) :

- ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٧ - إيليا الحاوى :
- شرح ديوان الفرزدق ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوى دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٣م .

٨ - البَلاذُرِىّ (الإمام أبو الحسن) :
- فتوح البلدان ، عنى بمقابلته على نسخة الشنقيطى والتعليق عليه رضوان رضوان محمد رضوان ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .

٩ - الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك السلمى البوغى) :
- أوصاف النبى ﷺ ، تحقيق وتعليق سميح عباس ، دار الجيل ببيروت ومكتبة الزهراء بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

١٠- تمام حسان (دكتور) :
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط. الثانية ، القاهرة ١٩٧٩م .

١١- الثعالبى (أبو منصور) :
- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، أعاد تحقيقها وشرحها وعرف بشعرائها ووضع فهارسها إيليا الحاوى ، توزيع الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧١م .

١٢- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) :
- رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

١٣- الجرجانى (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد) :

- دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٤- ابن جنى (أبو الفتح عثمان) :

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٥- حامد عبد القادر :

- « معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ، ١- معانى الماضى » مقال فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء العاشر ، مطبعة التحرير ، القاهرة ١٩٥٨م .

١٦- الرازى (الإمام محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى) :

- تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٧- الزجاج :

- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٨- الزمخشرى (جار الله) :

- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق محمد مرسى عامر ، دار المصحف وشركة مكتبة

ومطبعة عـبد الرحمن محمد ، الـطبعة الثانية ، الـقاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٩- سحيم عبد بنى الحسحاس :
- ديوان سحيم ، تحقيق الأستاذ عبد العـزيز الميمنى، نسخة مصورة عن طبعة دار الكـتب سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٥٠م ، الناشر : الـدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

٢٠- ابن سعد (محمد بن سعد كاتب الواقدى) :
- الطبقات الكـبرى ، دار التحرير للطبع والنـشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٢١- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) :
- الكتاب ، تحـقيق عبد السـلام محمد هارون ، الهـيئة المصرية الـعامة لـلكـتاب ، الـطـبعـة الـثانـية . ج١ (١٩٧٧) ، ج٣ (١٣٩١هـــ ، ١٩٧١م) ، ج٤ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .

٢٢- السيوطى (جلال الدين) :
- همـع الهوامـع فى شرح جـمع الجوامـع ، تحقيـق وشرح الدكـتور عبدالعال سالـم مكرّم ، دار البحوث العلميـة ، الكويت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٢٣- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) :
- جامع البيـان فى تفسير القرآن ، نسـخة صورتها دار المعرفة لـلطباعة والنـشر ببـيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م عـن الطبـعة الأولى بـالمطبـعة الكبرى الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣٢٣هـ .

٢٤- عباس محمود العقاد :
- « الزمن فى اللغة » مقال فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الرابع عشر ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٦٢م .

٢٥- العسقلانى (ابن حجر) :
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٢٦- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله) :
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، الطبعة العشرون ، القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٧- العلوى (يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم) :
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٨- عمر بن أبى ربيعة :
- شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت بدون تاريخ .

٢٩- عنترة بن شداد :
- ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مَولوى ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية ، بيروت ودمشق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٠- القيسى (أبو محمد مكى بن طالب) :
- مشكل إعراب القرآن ، تحقيق دكتـور حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٣١- ابن قيم الجوزيه (أبو عبد الله محمد بن بكر الدمشقى) :
- بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربى - بيروت بدون تاريخ .

٣٢- المالقى (أحمد بن عبد النور) :
- رصف المبانـى فى شرح حروف المعانى ، تحـقيق دكتور أحمـد محمد الخراط ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٣- ابن مالك (جمال الـدين محمد بن عبد الله بن عبـد الله الطائى الجيّانى الأندلسى) :
- شرح التسهيل ، تحـقيق الدكتور عبد الرحمن السيـد والدكتور محمد بدوى المختـون ، هجر للـطباعة والـنشر ، الطـبعة الأولى - الجـيزة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٣٤- مالك يوسف المطلبى (دكتور) :
- الزمن واللغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦م .

٣٥- المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد) :
- المقـتضب ، تحقـيق محمـد عبد الخـالق عضيـمة ، المجلس الأعـلى للشئون الإسلامية بمصر ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

٣٦- امرؤ القيس :
- ديوان امرئ القـيس ، تحقيق حنـا الفاخورى ، دار الجيل ، الـطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٣٧- المَسْعُودىّ (أبو الحسن على بن الحسين بن على) :
- مروج الذهب ومعادنُ الجَوْهر ، شرحه وقدم له دكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٨- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرّم الأنصارى) :
- لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة بدون تاريخ .

٣٩- مهدى المخزومى (دكتور) :
- فى النحو العربى نقد وتوجيه ، دار الرائد العربى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦م .

٤٠- الميدانى (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابورى):
- مجمع الأمثال ، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م .

٤١- ابن هشام الأنصارى (أبو محمد عبد الله جمال الدين) :
- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت بدون تاريخ .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة بدون تاريخ .

٤٢- ابن هشام (عبد الملك) :
- السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، منشورات دار إحياء التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٥م .

٤٣- الواقدى (محمد بن عُمر بن واقد) :
- كتاب المغازى ، تحقيق دكتور مارسدن جونس ، نسخة صورتها عالم الكتب ببيروت من طبعة جامعة اكسفورد ، لندن ١٩٦٥م .

٤٤- ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على) :
- شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت بدون تاريخ .

ثانيا - المصادر والمراجع الأوربية :

1- AARTUN, KJELL :
- Zur Frage altarabischer Tempora. Universitets forlaget. Gruppe : Sprache und Geschichte. A–009–16.T. Grondahl & Sons Boktrykkeri. Oslo 1963.

2- BROCKELMANN, CARL :
- Arabische Grammatik : 14 Auflage–Besorgt von Manfred Fleischhammer. VEB Otto Harrassowitz, Leipzig 1960.

3- DENZ, ADOLF :
- Die Struktur des klassichen Arabisch. In : Grundriss der arabischen Philologie (Band I : Sprachwissenschaft). Herausgegeben von Wolfdietrich Fischer : Dr. Luwig Reichert Verlag. S. 58–82. Wiesbaden 1982.

4- FISCHER, WOLFDIETRICH :

- Grammatik des klassischen Arabisch. Otto Harrassowitz. Wiesbaden 1972.

5- GROSS, W. :

- Verbform und Funktion Wayyiqtol für die Gegenwart ?. Ein Beitrag zur Syntax poetischer althebräischer Schriften (Arbeiten zu Text und Sprache im alten Testament 1). St. Ottilien 1976.

6- HOPKINS, SIMON :

- Studies in the Grammar of Early Arabic. Based upen Papyri datable to before 300 A.H./ 912 A.D., Oxford University Press 1984.

7- NEBES, NORBERT :

- Funktionsanalyse von kaana yaf'alu. Geor Olms Verlag. Hildesheim. Zürich. New York 1982.

8- NÖLDEKE, THEODOR :

- Zur Grammatik des classischen Arabisch. Druck : wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt 1963.

9- RECKENDORF, H. :

- Arabische Syntax. I, II. Carl Winter's Universitäts-buchhandlung. Heidelberg 1921.

10- SOCIN, A. :

- Arabische Grammatik. Dritte Vemehrte und verbesserte Auflage. Verlage von Reuther und Reichard, Berlin 1894.

11- WEINRICH, HARALD :

- Tempus. Besprochene und erzählte Welt, Sprache und Literatur 16. Zweite, völlig neubearbeitete Auflage. Verlag W. Kohlhammer. Stuttgart 1971.

12- WRIGHT, W. :

- Agrammar of the Arabic Language. II. Cambridge at The University Press 1951.

أنواع المورفيم فى العربية

بقلم الدكتور
محمد عبد الوهاب شحاته

تقديم

المورفيم أقل وحدة صرفية ذات معنى، ومن سماتها أنه لا يمكن تقسيمها إلى وحدات أقل مع المحافظة على المعنى. وربما تكون هذه الوحدة مكونة من صوت واحد أو صوتين أو عدة أصوات، فحجم الوحدة ليس مهماً، بل المهم هو أن هذه الوحدة تكون ذات معنى، وليس فى مقدور الفرد تجزئتها أو تقطيعها إلى وحدات أصغر حاملة للمعنى. فمثلاً كلمة cats مكونة من وحدتين، هما: cat + s، وتشير الوحدة الأولى إلى حيوان؛ بينما تشير الوحدة الثانية إلى عدد من الحيوانات (أكثر من واحد). ويلاحظ أن كلمة cat نفسها لا يمكن تقسيمها أو تفكيكها إلى وحدات أخرى، وتكون حاملة للمعنى. وثمة مثل آخر يتمثل فى كلمة Loved التى تتكون من وحدتين هما: Love + d إذ تشير الأولى إلى الإحساس أو الشعور بالحب، على حين تشير الثانية إلى الزمن الماضى ، ويجب ملاحظة أنه ليس كل صوت لـ (d) بنفس المعنى، فكلمة Dinner وحدة واحدة ذات معنى، إذ يتحقق معناها بوجود الوحدة كاملة، وليس من : d + inner .

كما سبقت الإشارة إلى أن الكلمة لم تعد أصغر وحدة فى التحليل الصرفى، كما لم تعد الوحدة الأقل التى تحمل المعنى، فهنالك العديد من الوحدات أقل من الكلمة وتكون حاملة للمعنى، ولا تعد كلمات، إذ بامكاننا استخدامها مع وحدات أخرى، كالأمثلة التى أشرنا إليها منذ قليل. وقد تكون الوحدة فى نفس الوقت مورفيماً وكلمة، ففى كلمة مثل : player ترى أن er مورفيم، و play مورفيم أيضاً، وهى جزء من كلمة ولها معنى. وأما الحرفان PL مع أنهما جزء من كلمة فليس لهما معنى، ولا يشكلان مورفيماً، ولذا فلدينا وحدتان، هما : المورفيم والكلمة .

فإذا ما أردنا أن نصنف المورفيمات طبقاً لدرجة الحرية فى الاستخدام، فسوف نجد تفاوتاً حادثاً فى درجات الحرية من حيث القدرة على استخدام المورفيم بمفرده أو عدم القدرة على تحقيق ذلك .

فمن حيث الحرية فى استخدام المورفيم يوجد بوجه عام نوعان منه : النوع الأول هو المورفيم الذى يمكن أن يوجد بمفرده، ومثله يسمى المورفيم المستقل أو المورفيم الحر Free morpheme والنوع الثانى هو المورفيم الذى لا يوجد مستقلاً بذاته، إذ يجب أن يتصل بمورفيم آخر حتى يمكن استخدامه، أو يمكن أن يؤدى وظيفته. ومثل هذا المورفيم يسمى المورفيم التابع أو الملحق أو المضاف dependent morpheme أو يسمى المورفيم المقيد bound morpheme .

وربما اتضح لنا من حديثنا فى مطلع هذا الفصل عن الوحدة الأصغر ذات المعنى، أن ثمة وحدات لا تستخدم مستقلة أو بمعزل عن وحدات أخرى، ووحدات يمكن استخدامها بمفردها، وتكون مستقلة فى وجودها، فكلمة cat مورفيم مستقل أو حر، بينما كلمة cats مورفيما، أحدهما حر أو مستقل هو cat، ومورفيم تابع أو مقيد هو (S) ، وفى كلمة Loved مورفيمان، أحدهما حر أو مستقل هو Love ، والآخر تابع أو مقيد هو (d) ، وفى كلمات مثل :

Singer و Player و Singing و Playing و Goodness و Weakness
ومورفيمات مقيدة أو غير مستقلة تتمثل فى : er و ing و ness ، فهى لا تأتى إلا متصلة بغيرها .

أما عن نوع المورفيم وأشكاله[1] من حيث الوظيفة التى يؤديها والمعنى الذى يأتى من أجله فيوجد فى الإنجليزية العديد من المورفيمات الوظيفية أو القواعدية Grammatical morphemes وهى مورفيمات تحمل معنى صرفياً ووظيفة نحوية. ولعل أهم المورفيمات القواعدية والأكثر استخداماً للألومورفات تتمثل فى الآتى :

١ - مورفيم الجمع او مورفيم العدد

هذا الضرب من المورفيمات يستخدم للدلالة على ما جاوز الواحد فى الإنجليزية، ويوجد فى هذه المورفيمات ما يسمى بالألومورفات Allomorphs[2] أو الصيغ المتنوعة Variant forms التى تستعمل فى ظروف مختلفة لتعطى دلالة معينة. وهذه الألومورفات عبارة عن التنوعات المنطوقة لمعظم نهايات الجمع، وأكثرها شيوعاً s و es فى النهايات التى تنطق بثلاثة صور، هى /s/ و /z/ و /iz/ ولأن الألومورفات عادة تكون مشروطة بفونيمات معينة تحيط به، وهذه الفونيمات عادة يكون لها التأثير غالباً، ولذا فإن استخدام كل من /s/ و /z/ و /iz/ يحدد عن طريق الأخير فى نهاية الكلمة الملحق بها، فالألومورف /s/ ينطق فى نهاية كلمات، مثل :

- Lip → Lips, cat → cats, back → backs, roof → roofs, birth → births

---

(1) Adapted From : Raja T. Nasr, The Teaching of English to Arab students, pp. 50-52, 54-58, 60-63, 66-67 and 91-98

(٢) راجع ماريو باى – اسس علم اللغة ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٧، ١٢٨ .

والألومورف /Z/ ينطق فى نهاية كلمات، مثل :

- Club → Clubs, Field → Fields, Log → Logs, Cave → Caves, Bathe → Bathes, Home → Homes, Song → Songs, Ball → Balls, Chair → Chairs, Row → Rows, Low → Lows, Day → Days.

كما ينطق الألومورف /Z/ فى الكلمات المنتهـية بأصوات اللين، مثل : Sea فى المفرد، و Seas فى الجمع، وكذا فى : day ← days و boy ← boys .

أما الألومورف /iz/ فينطق فى نهاية كلمات، مثل :

- Class → Classes, Prize → Prizes, Dish → Dishes, Match → Matches, Judge → Judges.

وربما يكون الألومورف صرفياً محضاً أو نحـوياً محضاً، فلا يعتمد على أى عامل صوتـى، مثل : en و ren وهى ألومورفـات لمورفيم يدل علـى أكثر من واحد، كالموجود فى : oxen جمع ox و children جمع child .

وثمة مـورفيم يدل عـلى الجمع بـتغيير صـوت العلة، وهـو تغييـر صرفى محض، مثل : Feet جمع Foat و geese جمع goose (أوزة) و men جمع man .

كمـا أن هناك ضـرباً من المـورفيمـات يعـرف بالمورفـيمات الـصِّفْرية Zero morphemes يتم الجمـع فيها دون تغيير مـرئى فى الكلمة، فالـتغيير فيها تـغيير صفرى Zero change ، ويتحقق هـذا فى مثل : Sheep فيقال One cheep و Two cheep فى المفرد والجمع علـى السواء، ويشبه ذلك Fish و deer (غزال) للمفرد والجمـع على السواء؛ «فالتغييـر الصفرى الموجود فى الكلمـات السابقة تعتبر كلها ألومورفات استثنائيـة لمورفيم واحد يدل على الجمعية. وهذه الصورة الاستـثنائيـة تقع فـقط فى حـالات تخص أسمـاء معيـنة من الـسهل حصـرها

وتصنيفها»[1] ولا يقتصر مثل هذا التغيير على الأسماء، بل يوجد أيضاً فى مجال الأفعال، وسوف نوضحه فى حينه .

٢ - المورفيم الدال على الماضى

المورفم الدال على الماضى له ألومورفات عدة، وأغلبها شيوعاً يتمثل فى : (d) و (ed) وهى نهايات تضاف إلى الأفعال الضعيفة[2] ، وتنطق عادة كما لو كانت /t/ أو /d/ أو /id/ واستخدام كل ألومورف منها يحدد بالصوت الأخير فى الفعل الذى اتصلت به تلك النهاية، فتنطق /t/ فى نهاية كلمات مثل :

dip → dipped, kick → kicked, laugh → laughed, unearth → unearthe, miss → missed, wash → washed, watch → watched

وينطق الألومورف /d/ فى نهاية كلمات مثل :

rob → robbed, beg → begged, love → loved, bathe → bathed, raise → raised, judge → judged, climb → climbed, loan → loaned, wing → winged, call → called, colour → coloured, vow → vowe, show → showed, play → played, toy → toyed, free → freed

أما الألومورف /id/ فينطق فى نهاية كلمات مثل :

plant → planted, aid → aided

---

(١) راجع : ماريو باى - اسس علم اللغة ١٠٤ .

(٢) يقسم الفعل الإنجليزى بالطريقة التقليدية إلى نوعين : ضعيف weak وقوى strong فى الصيغ المكتوبة. ويشكل ماضى الأفعال الضعيفة وتصريفها الثالث عن طريق إضافة (d) أو (ed) كما فى work و worked وكذلك Love و Loved . أما الفعل القوى فيشكل ماضية وتصريفه الثالث عادة عن طريق تغيير حرف العلة، كما فى : Sing ← Sang ← Sung ، أو عن طريق بعض إضافات ربما كانت فى الآخر او فى غيره، مثل : Speak ← Spoke ← Spoken ، ومثل : bring ← brought ← brought (راجع ماريو باى - أسس علم اللغة ١٠٥) .

وثمة صيغ للماضى يتم تكوينها عن طريق الداخلى لأصوات اللين، مثل :

Sing → Sang,Write → Wrote,See → Saw, grow → grew, hide → hid.

وقد تتغير معظم الحروف المكونة للصيغة، مثل : buy → bought و do → did و catch → caught . وقد يحدث التغيير بشكل تام، مثل :

am → was, is → was, go → went.

هذا التغيير فى حروف العلل توصف فيه الألومورفات وتصنف على أنها ألومورفات إضافية للمورفييم الماضوى السابق ذكره .

كما أن هناك ألومورفات صفرية Zero Allomorphs للمورفيم الدال على الماضى، وهى التى لا يطرأ عليها تغيير يميز بين الماضى والمضارع، بل تظل الصيغة على حالة ثابتة من الأصوات وترتيبها، مثل : Cost → Cost → Cost,

Cut → Cut → Cut, hit → hit → hit, hurt → hurt → hurt, let → let → let, put → put → put, read → read → read, shut → shut → shut

٣ - المورفيم الدال على الشخص المفرد (الضمير الثالث المفرد)

للمورفيم الدال على الشخص الثالث المفرد (الضمير الثالث المفرد) ثلاثة ألومورفات تنطق /S/ و /Z/ و /iZ/ ، وهى تعتمد على الصوت الذى قبلها. ويلاحظ أن النمط الفونولوجى هنا هو نفس النمط الفونولوجى للألومورفات /S/ و /Z/ و /iZ/ للمورفيم الدال على الجمع، وبالطبع فإن الفارق الوحيد أن المورفيم الدال على الشخص الثالث المفرد يرتبط بالأفعال .

فالألوموروف /S/ يرد فى نهاية كلمات مثل :

dip → dips, sit → sits, shake → shakes, laugh → laughs, unearth → unearths

ويأتى الألومورف /Z/ فى نهاية كلمات مثل :

rob → robs, bend → bends, beg → begs, love → loves, breath → breathes, climb → climbs, loen → loens, sing → sings, call → calls, colour → colours, vow → vows, play → plays, free → frees, show → shows, toy → toys

أما الألومورف /iZ/ فينطق فى نهاية كلمات مثل :

miss → misses, raise → raises, wash → washes, judge → judges

٤ - المورفيم الدال على المقارنة Comparative

لهذا المورفيم عدد من الألومورفات، بعضها مقيد، وبعضها حر، وأغلب أنماط هذه الألومورفات تتمثل فى الآتى :

- er فى كما Tall → Taller و nice → nicer و big → bigger
– mor كما فى hand - some → mor hand - some و beautiful → mor beautifull و Serious → mor serious

وهناك نوع من المقارنة يحدث تغيير فى أغلب حالاته :

- little → less, many → more, much → more

وهناك نوع من المقارنة يحدث فيه تغيير تام، كما فى :

- good → better, bad → worse

٥ - المورفيم الدال على التفضيل Super Lative

المورفيم الدال على التفضيل له عدد من الألومورفات، بعضها مقيد، وبعضها حر، وتتمثل معظمها فيما يأتى :

- est كمـا فـى Tall → Tallest و nice → nicest و big → biggest

- most كما فى hand some → most hand some و beautiful → most beautifull

وهناك نوع من التفضيل يحدث تغيير فى أغلبه، مثل :

- little → least, many → most, much → most

وأخيراً هناك نوع يتغير تغيراً تاماً، مثل :

- good → best, bad → worst

٦ - المورفيم الدال على الاستمرار

هذا المورفيم له ألومورف واحد هو ing ، وهذا الألومورف يستعمل دائماً بصيغة الفعل الدال على الكينونة verb to be أى الدال على الاستمرارية، مثل :

- He is writing a letter to his friend now
- They were playing in the garden when I saw him

٧ - المورفيم الدال على الأداء المألوف Habitual performance

هذا المورفيم له ألومورف واحد أيضاً، هو ing مثل :

- The moving train.
- The running boy.

٨ - المورفيم الدال على المصدر . اسم الفعل Verbal noun

وهو اسـم مشتـق من الفـعل، وفيـه بعـض صفاتـه ويدل علـى حدوث الفعل[1]، وله ألومورف واحد أيضاً، هو ing مثل :

(١) د. محمد على الخولى - معجم علم اللغة النظرى ٣٠٠ .

- Running is a good sport.
- Swimming in summer is very nice.
- He likes rowing.

٩ - المورفيم الدال على الفاعل الحقيقى Performer

وهو يدل على الإنسان أو الحيوان الذى قام بالفعل أو يقوم به أو سيقوم به حقيقة. وهو يختلف عن الفاعل النحوى الذى قد لا يكون الفاعل الحقيقى[1].

وهذا المورفيم له ألومورف واحد غالباً هو : er ، مثل :

- I have met my teacher.
- He is a good runner.
- The player is in the field.

وهناك ألومورفان آخران لهذا المورفيم، هما :

- ant كما فى serve → servant

والألومورف الصفرى، وهو الذى لا يحدث فيه تغيير ملحوظ، مثل :

- cook → cook, pilot → pilot

١٠ - المورفيم الدال على مستقبل الحدث Receiver of Actions

وهو بمعنى آخر يدل على اسم المفعول، ويقصد به ما وقع عليه فعل الفاعل أو ما كان موصوفاً بحدوث الحدث فيه أو وقوعه عليه، وله ألومورفات كثيرة، وأغلبها شيوعاً يتمثل فى /t/ و /d/ و /id/ التى تكون حالتها الفونولوجيه نفس الشئ لـ /t/ و /d/ و /id/ وهى الألومورفات الدالة على الماضى، كما فى :

/t/ → The washed vegetables are on the table.

/d/ → The coloured painting is on the wall.

/id/ → I saw thw planted flowers.

والألومورفات الأخرى لهذا المورفيم، مثل :

---

(١) المرجع السابق ٢٠٦ .

- Broen windaw.
- The forgotten message.

والألومورف الصفرى الذى لا تغيير فيه، مثل :

- cost → cost, cut → cut, let → let

والألومورف الذى يتغير فيه أصوات اللين، مثل :

- hang → hung, hold → held, win → wan, sing → sung

أو يتغير فيه الأصوات الساكنة، مثل :

- bend → bent, lend → lent

أو يتغير فيه معظم الحروف، مثل :

- fly → flown, bring → brought, teach → taught

١١ - المورفيم الدال على البناء للمجهول (المبنى للمفعول) Passive

وهو مورفيم ذو صيغة تختلف عن الفعل المبنى للمعلوم وتدل على أن الفاعل الظاهرى أو المبتدأ ليس فاعلاً حقيقياً[١] ، وهذا المورفيم له الألومـورفات نفسها التى توجد فى المورفيم - مستقبل الحدث - السـابق وإن كان الدال على المجهول يستخدم دائماً متصلاً بواحدة من صيغ الفعل be + اسم المفعول، مثل:

- The letter was written yesterday.
- The car has been driven by my brother already.

١٢ - المورفيم الدال على الزمن التام Perfect tense

وهو عـبارة عن صيـغة للـفعل تدل عـلى تمامـه فى الماضى أو الحـاضر أو المستقبل، مثل : had gone و have gone و will have gone على التوالى[٢] ، وهذا المورفيم له نفس الألومورفات التى توجـد فى المورفيم الدال على مستقبل

---

(١) د. محمد على الخولى - معجم علم اللغة النظرى ٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق ٢٠٦ .

الأحداث، ولكنه يستعمل دائماً متصلاً بواحدة من صيغ الفعل have ، مثل :

- He has written aletter to his friend.
- They have climbed to the top of the mountain towice.

١٣ - المورفيم الدال على تملك القدرة او المقدرة على فعل الشئ

وهذا المورفيم له ألومورف واحد هو able ، مثل :

- avoid → avoidable, pay → payable, teach → teachable

١٤ - مورفيمات قواعدية اخرى بمعان مختلفة

يوجد عدد من المورفيمات القواعديـة الأخرى التى توجد حرة أو مستقلة، وكل مورفيـم له معناه الخاص بـه، والتوزيع الذى يشـركه فيه غيره، وسـنذكر قليلاً من الأمثلة الدالة على ذلك :

أ - الأدوات Articales مثل : the و an و a
ب - حروف الجر prepositions مثل : on و in و with و from و for و to و at و by و of .
جـ- أسماء الإشارة Demonstratives مثل : this و these و that و those ،
د - أدوات العطف conjunctions مثل : and و but و beacuse و though و Although .
هـ - أدوات التخيير Choice makers مثل : or و nor و either و neither .
و - أدوات الاستفهام Question askers مثل : do و who و whoce و what و where و when و why و how .
ز - كلمات الربط Relative words مثل : who و which و that و whose .
ح - كلمات النفى Negative words مثل : no و not .
ط - كلمات مساعدة Auxiliary words مثل : will و would و can و cauld و shall و should و may و might و must .

ى- الكـلمات الدالـة على الدرجـة أو المنزلة والـكمية أو المـقدار words of degree or quantity مثل : many و much و very .

١٥ - مورفيمات اخرى مقيدة

هناك عـدد من المورفيمـات المقيدة، وكل مـورفيم ذو معنـى خاص به، لا يتحقق هـذا المعنى إلا إذا كان متصلاً بمورفيـم آخر، فيفيد باتصالـه التحول إلى الاسم والصفة والظرف والعكس والفعل .

فالاسم يتحقق بإضافة النهايات الآتية :

- ity → captive → captivity.
- ness → dark → darkness.
- ment → enjoy → enjoyment.

والصفة تكون بالنهايات التى تتمثل فى :

- ly → man → manly.
- ish → child → childish.

والظرف Adverb يكون بما يلى :

- ly → nice → nicely.

والعكس opposites يكون بإضافة السوابق الآتية :

- un → likely → unlikely.
- dis → like → dislike.
- im → possible → impossible.

والفعل يكون بإضافة السابقة الآتية :

يمكن أو يُخول قادراً على - en → able → enable

يلاحظ أن هذا الـضرب من المورفيمـات زوائد قد تكون أول الكـلمة وقد تكـون آخرها، ووجـودها بمفردهـا لا يحقـق المعنـى الذى يكون بـعد اتصـاله بمورفيمات أخرى .

على هذا الحال تم استعراض أنواع المورفيمات فى الإنجليزية من حيث حالة استعمالها حرة ومقيدة، كما اتضحت أنماطه من حيث الشكل الصوتى والوظيفة التى يؤديـها، فماذا عن المورفيـم فى العربية ؟ ذلـك ما نتناوله فى الـصفحات القادمة .

ثمة خصائص مشتركة تتفق فيها اللغات مع تعددها وتنوعها، منها أنها تتكون من أصوات تصدرها أعضاء النطق الإنسانية، وحتى تكون هذه الأصوات ذات معنى فيجب أن توضع فى نسق تركيبى محدد ومعين لتكون كلمات أو مجموعات منها. وهذه الكلمات أو مجموعاتها يفترض فيها أن تكون موضع اتفاق بين أعضاء المجموعة اللغوية، أو بين من يتحدثون بهذه الكلمات أو مجموعاتها، باعتبار أنها قيماً رمزية تستدعى فى أذهانهم أفكاراً معينة ترتبط بعادات وتقاليد وسلوكيات حضارية واجتماعية .

ومن الخصائص المشتركة كذلك أن أصوات كل لغة ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، إذ تكون نظاماً متجانساً تنسجم أجزاؤه لتؤدى وظيفتها، صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً. ولهذه السمة أهميتها لكونها تؤكد أن اللغة - أياً كانت - لا تتكون من أصوات منعزلة أو منفصلة عن بعضها، بل تتكون من نظام متآلف يسعى ليحقق أهدافه .

ولا يحملنا هذا القدر من الخصائص المشتركة على إهمال ما بين هذه اللغات من تباين قائم فى النظام الصوتى والصرفى والنحوى والدلالى، لاسيما أن كل نظام يسوده نوع من التغيير بين الحين والآخر «فالنظام الصرفى فى كل لغة حية لا يثبت على حال، إذ يحمل من أسباب التغيير ما يحمله النظام الصوتى . . . الذى يكون بعيداً كل البعد من أن يكون ثابتاً طوال تطور لغة من اللغات»[1] .

وقد كشفت محاولة تصنيف اللغات[2] - هناك طريقتان رئيسيتان للتصنيف، هما : القرابة اللغوية أو الرجوع إلى الأصل، وهى تاريخية فى معظمها،

---

(١) ڤندريس - اللغة ٦٤ .

(٢) انظر : ماريو باى - أسس علم اللغة ٥٥-٥٨ .

والطريقة التشكيلية أو التصنيف على أساس وسائل بناء الكلمات وتوليدها، وهى وصفية - عن أن هذه اللغات ليست كلها من نوع واحد، من حيث التركيب الداخلى للكلمات، ومن حيث الطرق المختلفة التى تستخدم فيها للدلالة على مواقع الكلمات المختلفة من الإعراب فى الجملة .

فهنالك - وفق التصنيف الذى يهتم بالتركيب الحديث للغة - اللغات التى تدل على العلاقات النحوية عن طريق الجمع بين مورفيمات حرة وأخرى متصلة، أى عن طريق السوابق واللواحق والتغييرات الداخلية فى بنية الكلمة وهذا النوع من اللغات يعرف باللغات التصريفية .

وهنالك اللغات التى تستخدم المورفيمات الحرة فقط، وتدل على العلاقات بنظام الجملة، كاستخدام الكلمة الصينية (WO) التى تحتمل بناء على موقعها فى الجملة - أن تعنى ضمير المتكلم فى حالاته الإعرابية (ta me - my - me - i) ويتمثل هذا فى اللغات المفردة .

وهنالك اللغات التى تضيف لواحق منفصلة تلحق أواخر المورفيمات الحرة، وتختلف عن النهايات التصريفية فى أنها من الممكن أن تتمتع باستقلالها وانفصالها فى بعض المواقف كمورفيم حر، كاللغة التركية والهندية والمجرية، ففى الأخيرة تعنى عبارة (هزاكبان) haz - ak - ban فى المنزل، وهى مكونة من haz ومعناها «منزل» و ak وهى علامة و ban بمعنى «فى» وهذا الضرب من اللغات يعرف باللغات اللاصقة. والحدود بين هذا النوع واللغات التصريفية ليست واضحة المعالم دائماً .

وأخيراً هنالك اللغات التى تستخدم عدداً من المورفيمات المقيدة يتصل بعضها ببعض لتكون عبارة أو جملة كاملة، بحيث تكون الوحدة هى المجموعة الكلامية أو الجملة ، ففى إحدى لغات الهنود الحمر تعنى العبارة

الآتـية : جناجلا سليزاكس g - nagla - sl - i - zak - s أنا أبحث عن قرية. فالمورفيم (g) معناه (أنا) و nagla يفيد معنى مقيم و (SL) أداة تعطى ngla صفة الاسمية ليصبح معناها معها (قرية). أما (i) فهى سابقة فعلية تدل على أن Zak فعل. أما Zak فمعناها (أبحث عن) و (S) تدل على الاستـمرار. ولا أحد من هذه المورفيمات يمكن أن يعطى معنى محدداً لو استعمل بمفرده[1] . ويعرف هذا النوع الأخير باللغات المركبة .

وفى ضوء هذا التصنيف يجب الإشارة إلى أنه لا توجد لغة معينة تتبع كلياً أحد الأنواع الأربـعة المذكورة سلـفاً، «فهذا التـقسيم لا يـعنى أن لغات الـعالم تنقســم انقساماً صارماً إلى مـجموعات - كما سبق - تـتمتع فيها كل مـجموعة بخاصــة واحدة من الخواص التى يـدل عليها الـتقسيم، أعـنى خاصة التحـليل واللصق والدمج على الـتوالى، وإنما تعنى أنها تنقسم إلى مجمـوعات تكثر فيها واحدة من هذه الخــواص أو أكثر، ومن ثم تســتحق أن تنسب إلــى نوع أو أكثر من الأنواع السابقة»[2] .

واللغة العربية كلغة من اللغات تتمتع بخواص تحليلية ودمجية ولصقية[3] ، وإن تفاوتت درجــة شيوع كل حالة عــن الحالة الأخرى، ودراسة المورفـيم فى العربية تكـشف لنا عن خصائصها التحـليلية واللصقية والدمجـية، كما توضح قيمة وأهمية الدلالة والوظيفة التى يقوم بها .

---

(١) راجع : ماريو باى - أسس علم اللغة ٥٦، ٥٧ .

(٢) د. محمد فتيح - فى الفكر اللغوى ١٢٤ .

(٣) التحليل يقصــد به اشتمال اللغة على كلمات لا تتغـير، فلا تتبع نموذجاً تصريفياً أو نظـاماً اشتقاقياً فلا تحدد هويتها النحـوية، مثل : حروف الجر والاستفهام والعطف والنهى والـتوكيد والجزم ونحو ذلك. واللصق يراد به اشتمال اللـغة على كلمات تلتصق بكل منها وحدة صرفـية، أو تتوالى فيها الوحدات الصرفية بشكل يبرزها ويـحدد دلالتها النحوية بسهولة مثل الكلمات المعـرفة والمثناة والمجموعة والمؤنثة والمصغرة والمنســوبة ونحو ذلك. والدمج يعنى عدم إمـكانية التعرف على وحدات صـرفية فى بعض الكلمات. (راجع مفصلاً د. محمد فتح - فى الفكر اللغوى ١٢٤-١٢٥) .

وقبل أن نأتى لبيـان المورفيمات وتصنيفها نشـير إلى أن ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) قد أدرك القـيمة الدلالية لـلمورفيم، وإن لم يـستخدم المصطـلح صراحة، وذلك فى «ردِّه على من ادَّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعانى»[١]، حين تـكلم عن حـروف المضارعة ودلالـتها علـى الفاعلـين، من حيث الـنوع والعدد، فزيادة الهمزة تـفيد الدلالة على الفاعل المتكلم المـفرد، والنون للفاعل المتكلم الجمع، والتاء للمفرد المخـاطب المذكر، أو الغائب المفرد المؤنث، والياء للدلالـة على الفاعل الـغائب المفرد المذكـر. قال ابن جنى : «تقـدمت حروف المضارعة فى أول الفعل، إذ كن دلائل على الفاعلين : مَنْ هم، وماهم، وكم عدتهم، نحـو : أفعل، ونفعل، وتفعـل، ويفعل»[٢] . وهو بهـذا يتكلـم عن سمة من سـمات الفعل من جانـب، وأثر زيادة هذه الوحدة الـتى لا تكون إلا متصلة بغيرهـا من جانب آخر، وهى ما تعرف بالمورفيم المقـيد أو المتصل، كما أشار إلى نمط آخر من الزيادة للمورفيمات التى تكون حشواً من ذلك مثلاً ألف (فاعل) التـى جاءت لغرض خلاف المد ومعنـى آخر غير معنى المـد، يقول ابن جنى : «فأمـا ألف فاعل . . . ونحو ذلك فـإنها وإن كانت راسخـة فى اللين، وعريقة فى المد، فلـيس ذلك لاعتزامهم المد بها، بل المد فـيها - أين وقعت - شئ يرجع إليـها فى ذوقها، وحسن النـطق بها، ألا تراها دخولهـا فى (فاعل) لتجعل الفعل من اثنين فصاعداً، نحو : ضارب، وشاتم، فهذا معنى غير معنى المد، وحديث غير حديثه»[٣] .

ولم يـغفل ابن جـنى أن يشـير إلى ما يـزاد فى آخر الـكلمة مـن حروف (مورفيمات) تـأتى لمعانى مختلفة قـد تكون للنوع مذكر ومؤنث، ولـلعدد مفرد

---

(١) ابن جنى - الخصائص ١/ ٢٢٥ - ٢٣٧ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٢٥ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٣٤ .

ومثنى وجمع، مثل : تاء التأنيث، وألف الاثنين، وواو الجمع، والألف والتاء في الجمع[1]..

على هـذا الحال كان إدراك ابن جنـى لقيمة مـا يمكن تسمـيته بالمورفـيمات الوظيفية، وهى الـتى تحمل دلالة صرفية ووظيفة نحوية، كـما يمكن القول أنه كان يدرك أن الزيـادة أياً كان موقعهـا من الكلمة، لـيست تطريزيـة، وإنما تأتى بالإضافة إلى الدلالات الصوتية والصرفية لـبيان أثرها النحوى فى تحديد الفاعل ونوعه وعدده والمفعول إن كانت الزيادة ممـا تؤدى إلى المفعول، وفى هذا تأكيد على أن الكلمة ليست الوحدة الصغرى التى تكون حاملة للمعنى، وإنما الوحدة الصغرى هى الوحدة الصرفية أو المورفيم .

وإذا كان وجود أحرف المضارعـة يعين على معرفة الفاعـل فى الجملة دون ذكر له، فذلك دليل على أن أهمية الوحدات الصرفية «المورفيمات» فى التحليل «ليسـت فى دلالات المعنى المرتـبطة بها، ولـكن مما تضيـفه إلى الكلمـات التى ارتبطت بها فى سمات وخصائص تتعلق بالسلوك التركيبى»[2] .

ولعل تلك الأهميـة المزدوجة - الدلالة والوظيفة - للمورفـيمات هى التى تحملنا علـى تتبعها فى العربية بشـئ من التفصيل لبيان إلى أى حد يمـكن تطبيق مفهـوم المورفيم، وإلى أى مدى يمـكن الاستفادة مـن هذا المفهوم مع تـعرضه للنقد مـن جانب، وبروز بعض الصعوبـات فى تطبيقه أحيانـاً من جانب آخر. وقد سبقت الإشارة إلى أنه مع وجود النـقد وبروز بعض الصعوبات فإنه لازال أداة يمكن الاستفادة منها فى التحليل الصرفى .

وتحدد المورفيمات فى اللغة بمقارنة أشكال الكلم بعضها ببعض وملاحظة ما يتكرر منهـا، وما يصحب تغيرها من تغـير فى المعنى والتركيب، ويمـكن تقسيم

---

(١) ابن جنى - الخصائص ١/٢٢٦-٢٢٧ .

(٢) د. محمد فتيح - فى الفكر اللغوى ١٢٢ .

المورفيمات بالنظر إلى أمرين :

أ - بالنظر إلى درجة حريتها فى الورود والاستخدام، أى كونها حرة أو مقيدة، فتقسم إلى مورفيمات حرة، ومورفيمات مقيدة، ويقصد بالأولى التى يمكن وجودها حرة مستقلة بنفسها، ويقصد بالثانية التى لا توجد غير مستقلة، بل تكون متصلة بغيرها .

ب - بالنظر إلى كونها جذوراً أو لواصق ترتبط بالجذور، وتسمى الأولى مورفيمات الجذور root morphemes وتسمى الثانية لواصق أو مورفيمات اللواصق affixes morphemes .

ويقصد بالأولى ما تبقى من أجزاء الكلمات بعد إزالة ما ارتبط بها من لواصق وقد تكون الأجزاء المتبقية حرة، مثل «إسلام» المتبقية من إسلامى على سبيل المثال، وقد تكون مقيدة، مثل «صوم» المتبقية من يصومون .

وأما الثانية فيقصد بها المورفيمات التى تتصل بالجذور، فإذا كانت الأولى يمكن أن تكون حرة أو مقيدة، فهذه لا تكون إلا مقيدة، وتختلف تسمياتها تبعاً لموقعها بالنسبة إلى جذور الكلمات التى تتصل بها، فتكون سوابق prefixe إن اتصلت بأوائل الجذور، وتكون لواحق suffixes إن اتصلت بأواخر الجذور، وتكون أحشاء infixes إن وقعت وسط الجذور[1] .

كما تنقسم المورفيمات المقيدة إلى قسمين : أحدهما : ما يعرف بالمورفيمات الاشتقاقية derivational morhemes ومثلها ياء النسب، وما يطرأ على الفعل المجرد من إضافات وتغييرات كالأفعال المزيدة ونحوها، والثانى ما يعرف بالمورفيمات التصريفية inflecting morphemes ومثلها ياء الغيبة وتاء الخطاب والألف والنون، والواو والنون، والتاء المربوطة، والألف والتاء ونحو ذلك[2].

(١) راجع مفصلاً : د. محمد فتيح - فى الفكر اللغوى ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤ .

(٢) راجع مفصلاً : د. نايف خرما - أضواء على الدراسات اللغوية ٢٧٦، ٢٧٧ .

وتلحق المورفيمات عادة الأسماء والأفعال على السواء، وهناك بعض الفروق بين مورفيمات الأسماء ومورفيمات الأفعال، وإن بدت متماثلة، إذ الفروق ليست فى دلالتها، ولكن فى الوظيفة النحوية التى تؤديها. وإذا كانت هناك مورفيمات خاصة بالأسماء، وأخرى خاصة بالأفعال، فهناك ما يشترك فيه الأسماء والأفعال، وسوف نوضح ذلك على النحو التالى :

أولاً : فى مجال الأسماء

ينقسم الاسم إلى مجرد ومزيد، فالمجرد ما خلا من حروف الزيادة، وكانت جميع حروفه أصلية، ولا يسقط منها حرف فى أى تصريف من تصاريف الكلمة، والأسماء المجردة تكون ثلاثية ورباعية وخماسية ولكل نوع أبنيته الخاصة به، وتكثر فى الثلاثى وتقل فى الرباعى ثم تزداد قلتها فى الخماسى. ولعل ذلك يرجع إلى أن العربية تؤثر الخفة التى تتحقق فى الثلاثى أكثر[1] .

وقد لوحظ من استعراض هذه الأبنية أنها بخلوها من الزوائد تعد مورفيمات حرة، يفرق بينها بالحركات، فالصوامت ثابتة لا تتغير من بناء إلى بناء.

وأما المزيد من الأسماء فله أوزان كثيرة، وقد عنى العلماء بذكرها وتصنيفها. والزيادة منها ما يكون للإلحاق، ومنها ما يكون للمد، وما يكون من أصل الوضع، وما يكون للتعويض، وما يكون لبيان الحركة، وما يكون زائداً لمعنى معين[2] .

---

(١) الرضى - شر الشافية ١/ ٣٥، ٣٦، ٤٨ .

(٢) عدها سيبويه ثلاثمائة وثمانية ويرجى النظر فى الكتاب ٢/ ٢٢٥، والمنصف ١/ ٩، ١٠، ١٤، ١٥، وشرح الشافية ١/ ٤١ - ٤٩، ٥٢، ٣٣١ .

والزيادة التى تأتى لمعنى تكون فى الأسماء والأفعال، وتعد أبرز أنواع الزيادات، وهى لا تحصى فى باب بعينه، بل تتوزع على أبواب صرفية متعددة تشمل الاسم فى مباحثه المختلفة، وتشمل الفعل فى مباحثه المختلفة. وسوف يصنف ما يزاد ويوضح أثره فى الدلالة الصرفية والوظيفة النحوية إن كان ما زيد له أثر فى التركيب .

ويعد الجامد من الأسماء وحدة ثابتة تلزم صورة واحدة، وهى إما أن تكون أسماء ذوات كإنسان وأسد وشجر وبقر، وإما أن تكون أسماء معانى مثل : فَهْم وعِلْم وشجاعة وبَذْل وسخاء وطموح وما يشبه ذلك من المصادر التى تعد وحدات صرفية مستقلة .

وفيما يخص المصادر بأحوالها المختلفة فإننا نجد أن معظم المصادر تشتمل على حروف أفعالها، ولكنها تختلف عنها فى الصيغة اللفظية والحركية ليكون ذلك عوناً على تميز الفعل من المصدر، وأكثر المصادر عدداً وتنوعاً مصادر الثلاثى لكونه سماعياً، ومن ثم يصعب تحديد المورفيمات الفاعلة فى الصيغة فى إطار هذه الكثرة بالإضافة إلى أن بعض الأفعال الثلاثية لها عدة مصادر، فالفعل (لقى) على سبيل المثال له عشرة مصادر[١] ، ومثله الفعل ساء[٢] .

ولكون الرباعى والخماسى والسداسى مقيساً فيمكن القول بأن مورفيمات الرباعى تبدو فى التاء المربوطة التى تلحق المصدر فَعْلَلَة من فَعْلَلَ، وهذه التاء ليست للتأنيث، والهمزة المكسورة والألف قبل نهايته، مثل : أَفْعَلَ - إفعال، أو زيادة التاء المربوطة، مثل : إقامة، والتاء فى أول المصدر والياء قبل آخره، مثل : تفعيل، أو تضعيف العين مع الضم، مثل : تَفَعُّل، أو زيادة التاء المبسوطة فى أوله والمربوطة فى اخره، مثل : تَفْعِلَة، بكسر العين. وقد يكون

(١) السيوطى - المزهر ٢/ ٨٣ .

(٢) اللسان - مادة (سوأ) .

المورفيم ميماً زائدة مضمومة فى أول المصدر والتاء المربوطة فى آخره، مثل : مُفَاعَلَة من فاعَل، أو كسر الفاء وزيادة ألف قبل اللام مثل فِعَال .

ويلاحظ أن مورفيم الألف هو الغالب على مصدر الخماسى والسداسى مثل : اجتماع، انخداع، ارتماء، استعمال، استغفار .

أما المصادر القياسية الأخرى فقد لوحظ أنها محدودة فى مورفيماتها وذلك مثل : المصدر الميمى، والمصدر الدال على المرة، والمصدر الدال على الهيئة، ونوضح ذلك على النحو التالى :

- **المصدر الميمى**

اسم دل على حدث مبدوء بميم زائدة ليس على وزن مفاعلة أو مفعول، وقد لوحظ أن مورفيمات هذا المصدر حين يصاغ من الفعل الثلاثى تنحصر فيما يأتى :

- الميم المفتوحة مع العين المفتوحة (مَفْعَل) مثل : مَشْرَب، مَغْنَم، مَأْكَل .
- الميم المفتوحة مع العين المكسورة (مَفْعِل) مثل : مَوْعِد، مَوْلِد، محيض، ميْسِر .
- الميم المفتوحة مع العين المفتوحة + التاء المربوطة (مَفْعَلَة) مثل : مفسدة، مجبنة، مَحْمَدَة .

أما مورفيماته من غير الثلاثى فتتمثل فى :

- الميم المضمومة مع فتح ما قبل الآخر، مثل : مُنقلَب، مُستقَر، مُدْخَل، مُخْرَج فكل هذه العناصر مورفيمات مقيدة، لا تأتى إلا متصلة بمورفيم آخر .

- المصدر الدال على المرة

وجد أن هذا المصدر يعتمد فى دلالته على مورفيم حركة الفتح لفاء الكلمة وعينها + التاء المربوطة، ويتمثل ذلك فى وزن فَعْلَة، فإذا شق على هذه الصيغة الوفاء بالدلالة الصرفية كأن يكون المصدر الأصلي أو العام على هذا الوزن، مثل تَوْبَة، وصَيْحَة، ودَعْوة، وبَغْتة، ورأفة، ورَحْمة، فيستعان بكلمة عرفية ملفوظة تدل على المرة، وهى كلمة «واحدة» فيقال توبة واحدة، وصيحة واحدة، ودعوة واحدة، وهكذا .

هذا إذا صيغت من الفعل الثلاثى، أما إذا أريدت من فعل غير ثلاثى حوفظ على صيغة المصدر الأصلى، ثم يضاف مورفيم التاء المربوطة، وهى ليست للتأنيث، فإن كان المصدر ينتهى بالتاء أصلاً، وصف بما يدل على المرة، فيقال : إعانة واحدة، واستجابة، وهكذا .

- المصدر الدال على الهيئة

يعرف هذا النوع من المصادر عند برجشتراسر باسم النوع، ويرى أن اسم المرة واسم الهيئة مما تنفرد به اللغة العربية، يقول : « وأما وزن فَعْلَة ، وهى اسم المرة، وفِعْلَة وهى اسم النوع فلا يوجد نظيرهما فى كل اللغات السامية»[1] ، ويستعان على صوغ الصيغة الدالة على هذا المصدر بمورفيم حركة الكسرة + التاء المربوطة .

فإذا كان المصدر الأصلى على وزن «فعْلَة» مثل : شدة، وردَّة، وجنة، فيستعان حينئذ بالسياق أو التركيب النحوى بالوسائل الآتية :

أ - وصف المصدر، مثل : ردَّة قبيحة .

ب - الإضافة، مثل : شدة القوى، أحسن خدمة .

فإن أريد من غير الثلاثى أبقى على الصيغة نفسها، ويستعان بالسياق النحوى للتعبير عن نوع الحدث الواقع، إما بالوصف، مثل : استعانة تامة،

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٧ .

واستقامة عظيمة، إسراعاً شديداً، وإما بالإضافة، مثل : تمايل النشوان .

ونخلص من هذا كله إلى أن الدلالة الصرفية على المرة والهيئة تتم بما يلى:

أ - الصيغة مضافاً إليها مورفيم التاء المربوطة، وهى مورفيم مقيد، مع فتح الفاء والعين فى الدلالة على المرة، وكسر الفاء وفتح العين فى الدلالة على الهيئة .

ب- الوصف للمصدر الدالة على المرة والهيئة .

جـ- الإضافة للمصدر الدال على المرة والهيئة .

وفى هذا ما يدل على أن المورفيم وحده قد لا يصلح لإفادة الدلالة الصرفية، ولابد من الاستعانة بوسائل نحوية أخرى، إما وصفاً أو إضافة وهما من التراكيب النحوية المتلازمة .

- **المصدر الصناعى**

وآخر هذه المصادر المصدر الصناعى، وهو يتكون بإضافة لاحقة تفيد نقل الاسم بدلالته من ذات مجردة أو جنس إلى معنى مجرد أو مفهوم كلى، وهذه اللاحقة تتكون من مورفيمين مقيدين، هما : الياء المشددة + التاء المربوطة (ة)، وهى تاء ليست للتأنيث، بل تأتى للنقل من الوصفية إلى الاسمية، ليخلص اللفظ للمعنى المصدرى أو الدلالة الحاصلة بالمصدر .

ويلاحظ أن اللاحقة (يَّة) قد تضاف للدلالة على المصدرية، وقد تضاف للدلالة على الوصف للاسم المؤنث المنسوب، وحينئذ تصير التاء للتأنيث، ولذا نلاحظ أنها مورفيم مزدوج الدلالة، فهى فى المصدر تفيد دلالة المصدر على المعنى المجرد المطلق، وفى الوصف للاسم المؤنث المنسوب تدل على صفة خاصة ترتبط بشئ ما .

وهناك مورفيمات وظيفية متعددة ومتنوعة فى دلالتها الصرفية ووظيفتها النحوية أحياناً، وهذه المورفيمات تتوزع على مباحث مختلفة خاصة بالاسم،

تتمثل فى : المشتقات، والجنس أو النوع، والعدد، والتصغير، والنسب والتعريف، والضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، ونتناول كل مبحث على النحو التالى :

١ - المشتقات

المشتق اسم أُخذ من كلمة أخرى بصيغة أو بنية معينة لتدل على موصوف بمعنى ما، على سبيل الفاعلية، مثل : ذاهب، كاتب، قادم. وقد تدل على موصوف بمعنى ما، على سبيل المفعولة، مثل : مضروب، مشكور. وقد تدل على موصوف بمعنى أفعل التفضيل، مثل : أشد، أفضل، أكرم، كما قد تدل على زمان الحدث أو مكانه، مثل : ملعب، ملهى، وأخيراً قد تدل على آلة الحدث، مثل : مفتاح، منشار، مبرد .

والمشتقات أو الصفات الصرفية التى سوف نتناولها بدراسة مورفيماتها ودلالتها الصرفية ووظيفتها النحوية إن وجدت، هى : اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضل، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة.

- اسم الفاعل، اسم المفعول

اسم الفاعل مشتق صيغ للدلالة على من قام بالحدث أو ما قام فيه الحدث، مثل : كاتب، مُخرِج، ومنكسر. ولكثرة استخدامه فى الكلام فيعد من أهم الصفات الصرفية. ويكتسب اسم الفاعل دلالة أخرى، هى الدلالة على الحال أو الاستقبال، ولذا فهو يشبه الفعل المضارع؛ غير أن اسم الفاعل دل على صفة مستقرة فى صاحبها، بينما المضارع يدل على حدث متجدد يقع شيئاً فشيئاً .

ويصاغ من الثلاثى على وزن «فاعل» ومن غير الثلاثى على وزن مضارعه مع إبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر .

وأما اسم المفعول فهو اسم مشتق للدلالة على من أو ما وقع عليه الحدث، مثل : مضروب، مقتول، مفهوم، مكتوب، مُخرَج، منتدب، وهو يدل على حدث طارئ لا يدوم، ومن يتصف به يكون على سبيل المفعولية لا

الفاعلية، وقد يكتسب فى التركيب دلالة صرفية أخرى هى الدلالة على الحال أو الاستقبال، مثل : لا تزال الأرض مبتلة بالماء، وإنك موعود بالخير .

ويصاغ من الثلاثى على وزن «مفعول» ومن غير الثلاثى على وزن مضارعه مع إبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر .

ويذهب برجشتراسر إلى أن «أسماء الفاعل والمفعول بسيطة فى العربية ففاعل هى أصلية سامية كـ kāšidu فى الأكدية، و pō˂ēl فى العبرية، وpā˂ēl فى الآرامية. ومفعول أصلها فعول زيدت فيها الميم الكثيرة الاستعمال فى هذه الأسماء، وفعول نفسها توجد فى العربية فى معنى المجهول فاعله، نحو : رَسول أى المرسل، وهى اسم المفعول فى العبرية، نحو : ḳabūr أى مقبور، وينوب عنها فى الآرامية فعل نحو : ḳtīl أى مقتول، وذلك من تبادل الضمة والكسرة الممدوتين، والميم فى سائر أسماء الفاعل والمفعول سامية فى الأصل فى كل اللغات السامية»[1] .

والمقابلة التالية بين اسمى الفاعل والمفعول ناجعة لإظهار المورفيمات أو الوحدات الصرفية فى كل منهما، وتتم المقابلة بهذه الكيفية كما يتضح فى الأمثلة الآتية :

بنية الفعل	اسم الفاعل	المورفيم الزائد	اسم المفعول	المورفيم الزائد
ثلاثى	عابد شاكر عالم	الألف	معبود مشكور معلوم	الميم + الواو
غير ثلاثى	مُدَحْرِج مُعاتِب مُكرِم مُرتجِل مستعِد	الميم المضمومة + الكسرة قبل آخره	مُدَحْرَج مُعَاتَب مكرَم مرتجَل مستعَد له	الميم المضمومة + الفتحة قبل آخره

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٧ .

تظهـر المقابلـة بين المشتـقين أن فونيـم الألف الزائد حـشواً والكسـر لعين الكلمة، مورفيمان يدلان على صيغة اسم الفاعل، وفونيم الميم الزائدة المفتوحة والواو الزائدة قـبل لام الكلمة المضـموم ما قبلهـا مورفيمان يدلان علـى صيغة اسم المفعول من الثلاثى .

كما تظهـر المقابلة أيضاً أن فونيم «المـيم» الزائدة المضمومة مورفـيم مشترك بين الصيغتين، ومـن ثم يعد فونيم الكسر فى الأول، والفتح فـى الثانى لما قبل الحرف الأخير مـورفيماً فاعلاً فـى التمييز بـين اسم الفاعل واسم المـفعول. مما يدعو إلـى القول بأن الحركـة مورفيم أشد حـسماً وفاعلـية من مورفيـم الميم، وذلك ليس على مستوى الدلالة الصرفية، بل فى أداء الوظيفة النحوية والسياق النحوى، إذ ترتب على الكسرة إعراب ما بـعد اسم الفاعل فاعلاً، وترتب على الفتحة إعـراب ما بعد اسم المفعول نائـب فاعل، والفاعل ونائب الـفاعل بابان هامان من أبواب النحو .

أما أبنية المبالغة فهى تدل على الكـثرة والزيادة فى الوصف، وأبنيتها كثيرة، تتعلق بالكمية، وتتفاوت فيما بينها فى كثرة الاستعمال وقلته، وأغلب الظن فيها أن دلالتها علـى المبالغة طارئة، وليسـت أصيلة، إذ يبدو أن معظـم هذه الصيغ كانت تستخدم لدلالات أخرى فى الأصل، ثم نقلت عن طريق المجاز إلى معنى المبـالغة، مثـال ذلك صيغـة فعَّال، وفعيـل، ومفعـال، التى أثرت فـيها اللـغة الآرامية. قـال برجشتراسـر : «من أبنية الاسـم الفصيحـة ما أثرت فيه الـلغة الآرامية، كـ «فعَّال» فى أسماء الصناع، نحو : نجَّار وطبَّاخ، فأقدمها معرب من الآرامية، ومـنه النجار، وهو فـى الآرامية naggārā ثم قيـس باقيها عـلى هذا القياس. وما بين حروفه حرف علة له خصائص فى بناء الأسماء كما هى الحالة فى الأفعال، مـنها أن «فعيل» كـثيراً ما ينوب عـنها فى المواد الجوفـاء فَعِّل نحو

مَيِّت وبَيِّن، وهذه هى الصيغة العتيقة، وطويل وأشباهها حديثة»[١] . . وصيغة مفعال ليست خالصة للمبالغة، فهى لأسماء الآلة، وهى سامية الأصل[٢] .

ومع كثرة الأبنـية الدالة على المبالغـة فى العربية، فقد كثـر فى الاستخدام الصيغ الآتـية : فعَّال، فعول، مفعال، مِفْصِل، مِفْعَل، فـعِيل، فِعْيل، فُعَلة، فَعِل .

وتكون هـذه الصيغ غيـر قاصرة فى استـخدامها علـى المبالغة، ولـذا فمن العسير القول بأن المورفيمات التى زيـدت فيها ذات أثر بارز فى دلالتها الصرفية، مما يعنى اعتماد هـذه الدلالة على السياق، ومن ثم الوظيفة الـنحوية، إذ تعمل الصيغ الـدالة على المبالغـة عمل اسم الفاعـل، أى تعمل عمل الفـعل المضارع المبنى للمعلوم، فإذا لم تكن للمبالغة كانت عديمة الأثر فى التركيب النحوى .

وثمة مـورفيم يأتى «لـلمبالغة فـى الصفة، وهو الـتاء، وهذه التاء لـيست للتأنيث، أى لا تفيـد تأنيث الأسماء التى تلحقها، بل تفـيد الكثرة والزيادة فى الصفة، مثـل : علاَّمة ونَّسابة للكثير الـعلم والعالم بالأنساب، وراوية لـلكثير الرواية لـلشعر ونحوه، وبـعير راوية أى يكـثر الاستقاء عـليه، وفَرُوقه للكـثير الفرق وهو الخوف، ومَلُولة لـلكثر الملل»[٣] . ويلاحظ من خلال هـذه الأمثلة أنها تلـحق بصيغ : فعـال وفاعـل وفعـــول، وهى صيغ منهـا ما يفيد المبـالغة ومعانـى أخرى، مثل : فـعَّال، وفعول، ومنهـا ما لا يفيد المـبالغة قـبل إلحاق مورفيم «التـاء» به، مثل : فاعل، وهى صيـغة اسم الفاعل المشتـق من الفعل الثلاثى .

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ٦٤ .

(٣) ابن يعيش - شرح المفصل ٥/٩٨ .

- **الصفة المشبهة**

الصفات على ثلاث مراتب : صفة بالجارى - يقصدها يجرى مجرى الفعل فى العمل - مثل : اسم الفاعل، واسم المفعول، وهى أقوى الصفات فى العمل لقربها من الفعل. وصفة مشبهة باسم الفاعل، فهى دونها فى المنزلة، لأن المشبه بالشئ أضعف منه فى ذلك الباب الذى وقع فيه الشبه، ثم الصفة الواقعة فى باب التوابع .

وتأتى الصفة المشبهة فى المرتبة الثانية، وهى فروع على أسماء الفاعلين، فإن كانت - أى الصفة - تشبهها - أى أسماء الفاعلين - فى أنها تذكر وتؤنث وتدخلها الألف واللام وتثنى وتجمع بالواو والنون، فإنها انحطت عنها ونقص تصرفها عن تصرف أسماء الفاعلين، كما انحطت أسماء الفاعلين عن الأفعال، فلا يجوز فى الصفة المشبهة ما يأتى :

أ - لا يجوز تقديم معمولها عليها، كما جاز ذلك فى اسم الفاعل، فلا تقول هذا الوجه حسن كما تقول هذا زيداً ضارب .

ب- لا يجوز أن تضمره فلا تقول هذا حسن الوجه والعين فتنصب العين على تقدير وحسن العين .

جـ - لا يحسن أن تفصل بين حسن وما يعمل فيه، فلا تقول هو حسن فى الدار الوجه، وكريم فيها الأب[(١)] .

وتدل الصفة المشبهة على واحدة من الصفات الآتية :

أ - صفة خلقية جسدية ثابتة فى صاحبها، مثل : طويل، قصير، أحور، جميل، قبيح .

ب- صفة جُبل عليها الشخص حتى صارت راسخة فيه، مثل : شجاع، كرم،

---

(١) راجع : شرح المفصل ٦/ ٨١-٩١ مع تصرف يسير .

جبان، وقور، شهم، مع ملاحظة أنها قابلة للتغير بفعل الزمن .

جـ- صفة عارضة لا تثبت فى صاحبها لكونها ليست بخلقة، ولا هى طبع، مثل : جوعان، عطشان، سكران، مريض .

وأوزانها الصرفية كثيرة ومتعددة[1] ، والتأمل فيها لمحاولة التعرف على المورفيمات المؤثرة فى الدلالة الصرفية ثم الوظيفة النحوية - على اعتبار أن الصفة المشبهة تعمل عمل اسم الفاعل - يجد صعوبة فى الجزم برأى قاطع؛ وذلك لأن دلالة بعض الصفات لا تثبت ثباتاً مطلقاً، وتحتمل التأويل لأكثر من معنى، فعليم مثلاً إذا كانت تعنى كثرة العلم بأمر ما، كانت للمبالغة، وإن كانت تعنى أن العلم شيمة أصيلة أو خلقة فى صاحبها، صارت صفة مشبهة، ووزن فاعل يحتمل الوصف على الفاعلية أو الوصف على الصفة المشبهة، ووزن فَعِل يحتمل الأمرين كذلك، ووزن فُعال للمبالغة أكثر من فعيل، قال ابن جنى : «من ذلك أيضاً قولهم : رجل جميل، ووضئ، فإذا أرادوا المبالغة فى ذلك قالوا : وُضّاء، وحُمَّال . . . ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله، وذلك فُعَال فى معنى فعيل، نحو : طُوال : فهو أبلغ معنى من طويل، وعُراض؛ فإنه أبلغ معنى من عريض، وكذلك خفاف من خفيف، وقلال من قليل، وسُراع من سريع، ففُعال - لعمرى - وإن كانت أخت فعيل فى باب الصفة، فإن فعيلاً أخص بالباب من فُعال . . . فلما كانت فعيل هى

(١) أنظر : سيبويه - الكتاب ٤/ ١٧، ابن قتبة - أدب الكاتب ٤٤٠-٤٤١، ابن جنى - الخصائص ٣/ ٢٦٦-٢٦٨، ابن خالويه : ليس فى كلام العرب ١٣٠، السيوطى - الأشباه والظائر ٢/ ٢٠٦، د. عبد الصبور شاهين - المنهج الصوتى ١١٧-١١٨ . وهذه الأوزان هى : أَفْعَلُ : احمر، فَعْلان : جوعان، فَعَل : حسن، فُعُل : جُنُب، أُنُف، فُعَال : شُجاع، فَعَّال : جبان، فَعْل : صَعْب، سَهْل، فِعْل : نِكس، رِخو، مِلح، فُعْل : صُلْب، فَعِل : فَرِح، طَرِب، فاعل : صاحب، طاهر، صارم، فعيل : بخيل، كريم، فَعُول : رَسُول، وقُور، فَيْعَل : سيِّد، طيِّب، فَيْعَل : فَيْصَل، عَيْثَم (الضخم الطويل) .

الباب المطرَّد وأريدت المبالغة، عُدِلت إلى فُعال»[1] .

هذا كله يعنى صعوبة التمييز لدلالة البنية بمعزل عن السياق، مما يشير إلى أن المورفيمات فى هذه الأبنية ليست بقادرة على تحديد الدلالة الصرفية، للأوزان والكلمات تحديداً قاطعاً، لكون الوزن الواحد أو الصيغة الواحدة تجمع بين دلالات مختلفة، ولكون الكثير من المعانى يؤدى بأوزان متعددة. فالمورفيمات لا تحسم الدلالة الصرفية للصفة المشبهة، أو للمبالغة، والأمر مرده للسياق الذى يفصل بين التداخل فى الدلالة .

- **التفضيل**

يعد التفضيل أحد الصفات الصرفية الدالة على الوصف، إذ يدل على أن اثنين اشتركا فى صفة وزاد أحدهما على الآخر فى هذه الصفة، فهو يفيد المفاضلة بين أمرين، مدحاً وذماً، إيجاباً أو سلباً .

والصيغة التى يُعوَّل عليها فى هذه الدلالة، هى صيغة «أفْعَل» للمذكر «وفُعْلى» للمؤنث، ولهاتين الصيغتين شروط يجب توافرها فى الفعل الذى يصاغ منه أى صيغة منهما، وهى شروط لا يغفلها دارس اللغة .

وصيغة «أفْعَل» مزيدة بالهمزة، ولا يظن أنها صيغة خالصة لدلالة التفضيل، فهناك من الأعلام ما يكون بوزن «أَفْعَلُ» مثل : أحمد، أمجد، أشرف، وهناك من الصفات التى مؤنثها على وزن «فعلاء» مثل : أرعن، أحمق، أحمر، وما يكون على هذا الوزن من الصفات والأسماء يمنع من التنوين. وقد تستخدم صيغة «أفْعَلُ» للدلالة على الفعل المفتوح العين فى المضارع، مع المتكلم المفرد، مذكراً أو مؤنثاً، مثل : أَذْهَبُ، أَنْهَلُ، أَجْعَلُ، أَنْفَعُ، أخضع، أعلم، أمنع، أفتح، أفرح، أسمع، أسعد، فالصيغة هى هى

---

(١) ابن جنى - الخصائص ٣/٢٦٧-٢٦٨ .

فى قولنا : هو أنفع من غيره، وهو أسعد من أخيه، وهو أعلم القوم .

وهكذا نجد أن وزن «أفعل» ليس خالصاً لدلالة التفضيل، فقد يكون لدلالات أخرى كما رأينا، وهو «لا يوجد فى أية لغة من اللغات السامية حتى الحبشية، فهو مرتجل فى العربية جديد، فأفعل إذا كان للتفضيل هو أكثر تخصيصاً وتحديداً من بين سائر أبنية الاسم، فاختراع العربية له من علامات ميلها إلى التخصيص والتعيين، وأفعل مع ذلك مما يسهل تركيب الجملة والتعبير عن الأفكار المُشكَّلة بالتركيبات المشتبكة، مثل ذلك : هذا أكثر من أن يحصى، وأنتم أحوج إلى هذا منكم إلى ذلك، ولا يوجد مثلهما فى سائر اللغات السامية»[1] .

وتنماز «أفعل» التى للتفضيل من «أفعل» التى تأتى للأعلام، والتى تكون صفة مشبهة، والتى تكون للفعل المضارع المفتوح العين، بصور تركيبية خاصة، كأن يكون مجرداً من (أل)، أو معرفاً بـ «أل»، أو مضافاً إلى نكرة، أو مضافاً إلى معرفة. كما أن الصيغة على هذا التركيب تؤدى وظيفة نحوية باعتبار اسم التفضيل من المشتقات العاملة، وهو بهذا يكون إلى النحو أقرب منه إلى الصرف .

والخلاصة أن صيغة أفعل الصرفية بمفردها لا تكون ذات دلالة خاصة لكونها تحتمل أكثر من معنى، والاحتكام إلى التراكيب النحوية والسياق هو الوسيلة للتوصل إلى دلالتها، وإذا كانت زيادة مورفيم الهمزة قد هيأت للوزن اكتساب كل هذه الدلالات، فلا يمكن القول بأن هذا المورفيم ذو دلالة محددة، بل ذو دلالات متعددة .

- اسما الزمان والمكان

هذان اسمان مشتقان صيغا للدلالة على زمان ومكان وقوع الحدث، وهما

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٧ .

من الصفات الصرفية غير العاملة، ويصاغان من الثلاثى على وزن «مَفْعَل» من المضارع المفتوح العين أو المضمومه، وعلى وزن «مَفْعِل» من المضارع المكسور العين. ومن غير الثلاثى على وزن مضارعه، مع إبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر .

ويلاحظ أن الميم مورفيم زيد فى الثلاثى مع الفتح، وفى غير الثلاثى مع الضم، كما يلاحظ أن الحركة مورفيم ذو عنصر صوتى فعال فى التمييز بين بنية الفعل الثلاثى المفتوح العين أو المضمومها والفعل الثلاثى المكسور العين، ثم بين الثلاثى وغير الثلاثى. ومما يلاحظ أيضاً أن ما طرأ من زيادة ليس وسيلة للتمييز فى دلالة الصيغ الصرفية، إذا تأتى صيغة مَفْعَل ومَفْعِل للدلالة على المصدر الميمى واسمى الزمان والمكان، مما يعنى أن أى صيغة من هذه الصيغ لا تشير إلى دلالة صرفية بعينها، بل إنها تحتمل واحدة مما ذكرنا، ولابد من اعتماد السياق النحوى لتحديد الدلالة المقصودة .

- اسم الآلة

ونأتى إلى آخر المشتقات، وهو اسم الآلة، ويدل على ما يستعان به فى إتمام عمل أو إصلاح ما فسد، وله أوزانه القياسية التى تتمثل فى : مِفْعَال، مِفْعَل، مِفْعَلة، وأوزانه التى أضافها مجمع اللغة العربية، تتمثل فى : فَعَّالة، فِعَال، فاعلة، فاعول، بالإضافة إلى أوزان أخرى، مثل مُفْعُل، ومُفْعُلة، ولا ننسى أسماء الآلات غير القياسية، مثل : شوكة، فأس، سكين .

ولعل أولى الملاحظات التى تبدو لنا تتمثل فى دلالة هذه الصيغ على أشياء مادية، وتلك ملاحظة أشار إليها برجشتراسر فى قوله : «ومن أسماء الأشياء المادية ماهو مشتق من الأفعال اشتقاقاً بيناً لاشك فيه، على أوزان معروفة ظاهرة، مثال ذلك : أسماء الآلة والمكان نحو : مفتاح ومسكن، فإنها وإن

كانت حديثة فهى سامية الأصل أيضاً، فنجد المفتاح مثلاً بالعبرية mapteyaḥ وفى الأكدية : nipū أصلها miptāḥu فنرى من ذلك أن وزن أسماء الآلة كان موجوداً فى اللغة السامية الأم، غير أنه لم يكن ثابتاً بعد، فحركة الميم فى بعض اللغات السامية كسرة، وفى بعضها فتحة. والمسكن يقابله فى الأكدية maškānu وفى العبرية miškān وفى الآرامية maškna . ووزن مفعال فى مفتاح أصله فعال ألحقت بها الميم وفعال أقدم وزن لأسماء الآلة»[1] .

وأما ثانى هذه الملاحظات فتبدو فى اختلاف مواضع الزيادات التى طرأت على أبنية المشتقات، فبعضها جاء سابقة، مثل : الميم، وبعضها جاء حشواً مثل الألف فى مفعال، وتضعيف العين وزيادة الألف فى فعالة، وزيادة الألف فقط فى فاعلة، وفاعول، وبعضها جاء ملحقاً بآخر الكلمة، مثل : التاء المربوطة، فى : مفعلة، وفعّالة، وفاعلة .

وآخر هذه الملاحظات احتمال بعض الصيغ لأكثر من دلالة، مثل : مِفْعال التى للمبالغة، وفاعلة مؤنث فاعل. وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أن الوزن الواحد يحتمل أكثر من معنى، وذكر الأبنية يزيل اللبس، ويحدد المعنى المقصود.

٢ - الجنس (او النوع (التذكير والتأنيث)

تعد قضية النوع أو الجنس فى اللغة من القضايا التى تثير كثيراً من الجدل، إذ التطابق بين الجنس البيولوجى والجنس اللغوى لا يقع دائماً، كما أن الاضطراب يسود كثيراً من الأمور التى ترتبط بعنصر التذكير والتأنيث للبنية اللغوية، ولذا فالمورفيم الدال على التأنيث فى اللغة يشير إلى عدد من النقاط التى نبرزها فيما يلى :

- رغبة اللغة فى التمييز بين النوعين، فألحقت بالاسم المؤنث علامات معينة وأعفت الاسم المذكر منها. هذه العلامات التى أضيفت إلى آخر الاسم

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٤ .

ليتضح من المذكر، وأضيفت إلى آخر الفعل دلالة على تأنيث الفاعل تعكس قضية لا تنكر، هى أن العلاقة بين مفهوم الجنس فى الواقع وعلم الصرف ليست مطردة، فقد يتفق المفهوم الصرفى مع المفهوم النوعى، وقد لا يتفق؛ إذ ربما يكون مؤنثاً فى الواقع ويخلو من علامات التأنيث، وربما يكون مذكراً وتلحقه هذه العلامات، مثل : سعاد، وحمزة . . .الخ .

- التباين بين وجهتى النظر الصرفية والمنطقية يكشف عن الغموض والاضطراب الذى يقع بينهما، فتارة تذكر المؤنث، مثل قوله تعالى : «فمن جاءه موعظة من ربه، وقولهم : ذهبت بعض أصابعه»[1] ، وتارة تتأرجح بين حدى التذكير والتأنيث، وتستعمل مؤنثة أو مذكرة، مثل : حال، طريق، روح، بالإضافة إلى الصفات التى تستعمل للمذكر والمؤنث على السواء، مثل : فعول، فعيل، مفعال، مفعل مع إيثار التذكير على التأنيث. كما نضيف إلى ذلك ما يحدث فى قضية العدد من تذكيره مع المؤنث، وتأنيثه مع المذكر .

- كما أن أكثر الأسماء والضمائر المذكرة مع بعضها، وكل الأسماء والضمائر المؤنثة مع بعضها أيضاً، ويدل على أن الكل جنسان لا أكثر ولا أقل متفارقان متخالفان هو الاتباع. والاتباع هو القاعدة التى بمقتضاها لا يتبع الاسم المذكر إلا مذكر، صفة أو خبراً أو فعلاً، وكذلك فى المؤنث فكان من المنتظر أن يكون لكلا الجنسين أو لأحدهما علامة مميزة خاصة به، يشترك كل الأسماء المنسوبة إليه، وأن يكون لعد كل واحد من الأسماء بين أسماء الجنس الواحد دون الآخر سبب مفهوم ظاهر، والأمر فى الحقيقة على ضد ذلك من كلتا الجهتين[2] .

---

(١) ابن جنى - الخصائص ٢/ ٤١١-٤١٥ .

(٢) برجشتراسر - التطور النحوى ٧٣ .

- المورفيمات الدالة على التأنيث تختلف شكلاً، ولكنها من طبيعة صوتية واحدة، وتشمل : التاء، والألف المقصورة، والألف الممدودة، والياء، وهي زوائد لا تكون في أول الاسم أو حشواً بل تكون ملحقة في نهايته، ويستثنى من هذه العلامات التي تأتي في أول الفعل المضارع مع مفرد المؤنث الغائب. وهذه المورفيمات الدالة على التأنيث لازمة للاسم المؤنث، ولازمة للفعل دلالة على تأنيث الفاعل، فالفعل لا يؤنث، ولكون التأنيث معنى لازماً لايصح انتقاله عنه إلى غيره، لزمته العلامة ولا تفصل عنه، مثل : مسلمة، ليلى، صراء، عذراء .

وتعد تاء التأنيث دون غيرها من العلامات كثيرة الاضطراب والتخالف في معناها، فنراها لا تدل على الأنوثة في الأصل البتة، وذلك أنا نجد اللغة لم تستخدم لتمييز الذكروالأنثى في الزمان القديم، بل فرقت بينهما بمادة الاسم نفسها، مثل : الرجل والمرأة والحمار والأتان وغير ذلك . . والتاء مع الفتحة قبلها سامية الأصل، ويدل على قدمها وجودها في ماضي الفعل، نحو : فعلَتْ . . . والألف الممدودة لا يقابلها في اللغات السامية إلا القليل، والألف المقصورة توجد في العبرية والارامية[1] .

وقد أدى الإقرار بوجود علامة للتأنيث إلى التقيد بأحكام خاصة مثل : تأنيث الأسماء والصفات بالتاء المربوطة في حالة المفرد، نحو : فاطمة، حمزة، طلحة، قائمة مجتهدة، عظيمة، طويلة، قصيرة، وظريفة، وبالألف الممدودة، مثل : صحراء، عذراء، والمقصورة مثل : سلوى، ليلى، مستشفىً، وبالألف والتاء المبسوطة في حالة الجمع، مثل : مسلمات، مجتهدات، قائمات، جالسات، وتأنيث وزن فَعْلان على فَعْلى، مثل : سكران وسكرى، غضبان وغضبى، أو فعلان على فعلانة، مثل : سيفان وسيفانة، وأفعل التفضيل على

(١) راجع برجشتراسر - التطور النحوى ٧٤، ٧٥ مع تصرف يسير .

فُعْلى مثـل : صُغْرى، كُبْرى، عُظْمى، والصفـة المشبهـة «أفْعل» على فـعلاء، مثل : حمراء، صفراء، كلاء، أو على أَفْعَلَة مثل أرملة .

وهكذا نجـد أن مورفيم الـتأنيث لـه صوره المختلـفة (ة، ت، ى، ر، اء، ات) فهناك الصوت الذى يميز المؤنث من المذكر، وهو الكسر، مثل قولنا : إنكِ فعلت شيئـاً عظيماً، فالكسرة على آخـر الكاف والتاء تمييز للمؤنـث من الفتحة التى للمذكر، مثل قولنا : إنكَ فعلتَ شيئاً عظيماً. وأخيراً نخلص من هذا كله إلى أن اختلاف المـذكر عن المؤنث هو اختلاف بـين كلمة غير مميزة ولـيست فى حاجة إلى مميز، وكلمة مميزة بعلامـة خاصة، فالمذكر لا يحمل علامة أو إشارة، بينما المؤنث يحمل علامة حسية تدل عليه .

٣ - العدد (المفرد والمثنى والجمع)

ومن المورفيمات الـفاعلة أيضاً مورفيم العدد. والعـدد مصدر عددت الشئ أعده إذا أحـصيتـه، والعدد الاسـم ، وقصد به فـى العربـية الإفراد والـتثنـية والجمع. ولكل لغـة وسائلها الخاصة التى تلجـأ إليها للتعبير عـن مفهوم العدد الصرفى، ولذا فـالاختلاف بين اللغات قائم فـى اتباع الأنظمة المختلـفة للعدد، والعرف المتبع لدى كل جماعة .

فالعدد لـيس إلا وسيلة نحـوية وصرفية من وسائـل اللغة لتحـديد الكم، ويصعب عقـد الصلة بين مفهوم العـدد الصرفى والأعداد الحسابيـة وقد اتبعت العربية النظام الـثلاثى، وحددته بالمفرد والمثنى والجمع، وهذا الـتقسيم الثلاثى فكرة لـغوية غير مـعللة بعـيدة عن المنـطق، إذ جعل فئـة صرفية لكـل ما كان واحدا، وفئـة أخرى للاثنين، وفـئة ثالثة لما جـاوز الاثنين، وهى فئـة الجمع، وأخذت مورفيمات معيـنة تلحق فئة المثنى وفئة الجمع تمـيز بينهما[١] ، وخليت فئة المفرد من هذه العلامات، فليس فى الإفراد مشكلة .

---

(١) راجع مفصلا: د تمام سان - مناهج البحث ٢٥٢-٢٥٤، وريمون طحان- الألسنية العربية ١/ ١٣٢-١٣٣

وتبقى أمامنا حالتا التثنية والجمع، وللعربية تعبيرات شكلية خاصة للمفرد والمثنى والجمع، فى الاسم والضمير والفعل، ويقسم الجمع إلى أنواع مختلفة، وسوف نتناول فئتى التثنية والجمع بشئ من التفصيل، إذ لا يلحق المفرد شئ .

١ - التثنية

التثنية كثيرة الاستعمال فى اللغة، اتسع فيها حيزها الأصلى فهى فى اللغة السامية الأم، وكذلك فى أكثر اللغات التى توجد فيها كالهندية والإيرانية، وكانت تشير إلى شئ مع شئ آخر شبيه به رافقه. ثم فقدت هذه الظاهرة فى معظم اللغات، إذ الحاجة إلى تحقيق هذه الظاهرة لم تعد ملحة، واللغة العربية من اللغات القليلة التى احتفظت بالمثنى فى تطريزها النحوى(١) .

والتثنية والجمع شريكان من جهة الجمع والضم، وإنما يفترقان فى المقدار والكمية. والغرض من التثنية الإيجاز والاختصار، وهى ضم اسم إلى اسم آخر مثله، وحتى يدل الاسم المراد تثنيته زادوا عليه زيادة تدل على التثنية، فصارا فى اللفظ اسماً واحداً، وإن كانا فى الحكم والتقدير اسمين، وكان ذلك أوجز من أن يذكر الاسمين ويعطفوا أحدهما على الآخر. وكان الزائد الأول هو الألف فى حالة الرفع، والياء فى حالتى النصب والجر. وأما الزائد الثانى هو النون وهى عوض من الحركة والتنوين الذى كان فى المفرد. وقد اختيرت هذه الأحرف دون غيرها لخفتها(٢) .

وحتى يفهم الفرق بين المفرد والمثنى يجب الرجوع إلى الوصف الذى يوضح أن معنى التثنية يتحقق بإضافة مورفيمين إلى آخر الاسم المفرد المؤنث

(١) راجع برجشتراسر - التطور النحوى ٧٣ ، وريمون طحان - الألسنية ١/ ١٣٢ .

(٢) انظر ابن يعيش - شرح المفصل ٤/ ١٣٧ - ١٥٧، ٥/ ٢، ود. تمام سان - مناهج البحث ٢٥٣ .

والمذكر على السواء[1] ، وهذان المورفيمان، هما : الألف + النون، والياء + النون مع فتح ما قبل الياء، كما في قولنا : مُعلمَ + ا + ن، ومُعلمَ + يْـ + ن. فكل كلمة تتكون من ثلاثة مورفيمات، مورفيم حر، هو : معلم، واثنان مقيدان، لا يأتيان إلا متصلين، ولاحظ أن كلاً من الألف والياء، وإن كانتا علامتين للرفع والنصب والجر، فهما يدلان على معنى آخر هو العدد أو الكمية أو المقدار، وبهما يتحقق معنى التثنية .

وأما النون فهى مورفيم له ثلاثة أحوال فى التثنية وجمع المذكر السالم[2] : فقد تكون مورفيماً عوضاً من الحركة والتنوين الموجودين فى المفرد فى كل موضع لا يكون الاسم المتمكن فيه مضافاً ولا معرفاً بالألف واللام، مثل : رجلان، فرسان، غلامان. وقد تكون مورفيماً عوضاً من الحركة وحدها مع لام المعرفة، مثل الغلامان، الرجلان، ومع النداء، مثل : يارجلان، ياغلامان، وقد تكون مورفيماً عوضاً من التنوين وحده مع الإضافة، مثل : جاء غلاما رجل، مررت بصاحبى البيت .

ولا يعد مورفيم التثنية وسيلة تمييز المذكر من المؤنث أو العاقل من غير العاقل، فالتثنية يستوى فيها ما يعقل وما لا يعقل . . . والمذكر والمؤنث فيها سواء. وفى الجمع مختلف . . . ولذا فهى أوسع من الجمع، ولاتساعها عن الجمع جعلوا الألف الخفيفة فى التثنية الكثيرة، وجعلوا الواو الثقيلة فى الجمع القليل، ليقل فى كلامهم ما يستثقلون، ويكثر ما يستخفون[3] .

---

(١) لا يصلح مورفيم التثنية لأن يلحق كل اسم على الإطلاق، إذ ليس كل اسم قابلاً للتثنية، وإنما يلحق هذا المورفيم ما توافرت فيه الشروط الآتية : الإفراد، والإعراب، وعدم التركيب والتنكير، والاتفاق فى لفظ الاسمين، وألا يستغنى عن تثنيته وجمعه (شرح المفصل ٤/١٤٣) .

(٢) راجع بالتفصيل : ابن جنى – علل التثنية ٨٠-٨٤ .

(٣) ابن السراج – الأصول ١/٤٩، ابن جنى – علل التثنية ٨٠-٨٢ .

ب - الجمع

لا يعرف المورفيم الدال على الجمع فى العربية نوعاً من التوحّد، إذ هناك أنواع متعددة للجموع، ومنها ما لزم صفة الثبات، مثل : جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم، أو الجمع الصحيح بنوعيه، وفى هذين النوعين يلاحظ أن المورفيم الدال على الجمع فيهما يلحق بالاسم المراد جمعه بشروط معينة وضعها النحاة العرب[1] .

ويتخذ الجمع فى العربية صوراً متعددة بصيغ مختلفة وأوزان متنوعة، ومن ثم يختلف المورفيم الدال على الجمع فى كل نوع، بل ويختلف فى إطار النوع الواحد، فهناك جمع التكسير المتنوع بين القلة والكثرة، ومنتهى الجموع، وجمع الجمع، ويكون الجمع على أسماء تكون مفردة فى شكلها، وتحمل معنى الجمع، مثل أسماء الجموع، وأسماء الجنس، وأسماء مجموعة لا واحد من لفظها وفى ذلك دليل على أن المورفيم الدال على الجمع فى العربية ليس موحداً، ولا يعرف شكلاً ثابتاً .

فإذا بدأنا بالجمع الصحيح للمذكر وجدنا أن مفرده يسلم من التغيير، وتتحقق فيه سمة الجمع بإضافة مورفيمى الواو والنون فى حالة الرفع، وياء ونون فى حالة النصب والجر. وكل من الواو والياء حرف إعراب ويدل على الكمية والمقدار أى يدل على الجمع. وأما النون فهى تأتى لمعان مختلفة، إنها المعانى نفسها التى أشرنا إليها فى الحديث عن نون التثنية[2] .

لقد أشبه جمع المذكر السالم المثنى فى حالتين من حالات الإعراب، حين لحق المفرد مورفيما الياء والنون، وهو تشابه ليس تاماً، إذ أدى الاختلاف الصوتى بفتح ما قبل الياء فى التثنية، وكسر ما قبلها فى الجمع، وحركة نون

(١) راجع هذه الشروط على سبيل المثال فى شرح المفصل ٥/٣ .

(٢) راجع : ابن جنى - علل التثنية ٨٠-٨٤ .

التثنية كسرة، وحركـة نون الجمع الذى على حد التثنية فتحة وكـلتاهما متحركة بالتقاء الساكنين، هذا العنصر الصوتى يعد مورفيماً مميزاً دقيقاً لعدد كل من المثنى والجمع .

واختـلف عنه فـى حالة الـرفع، إذ لحق مورفـيما الألـف والنون المثـنى، ومورفيـما الواو والنون جـمع المذكر، والتعـليلات شتى لجـعل الألف للمـثنى والواو للجمـع، منها أنه ليس كل ما يجـوز تثنيته يجوز جمعـه بالواو والنون، مثل : مسجـد، مسجدان، مساجد، حجـر، حجران، أحجار، كما أن التـثنية تلحق المؤنث، وما يعقل، وما لا يعقـل «فالتثنية إذن أصح من الجمع، لأنها لا تخطئ لفظ الواحـد أبداً، فلما شاع فيمن عقل، وفيمـا لا يعقل، وفى المذكر، والمؤنث، وكان الجمع الصحيح إنما هو لضرب واحد من الأسماء، كانت التثنية أوسع من الجمـع، فجعلوا الألف الخفـيفة فى التثـنية الكثيرة، وجـعلوا الواو الثقيلة فى الجمع القليل - لعله يـقصد الذى يقتصر على نوع معين من الأسماء بشروط معينة - ليقل فى كلامهم ما يستـثقلون، ويكثرها ما يستخفون. واعتمد البعـض فى تعليلـه لجعل الألف للمـثنى، والواو للـجمع على العـدد والكم، فذهب إلى أنه لمـا كان الجمع أقوى من التثنـية، لأنه يقع على أعداد مـختلفة، وكان ذلك أعم تصرفـاً من التثنية التى تقع لضـرب واحد من العدد، لا تجاوزه وهو اثنان، جعلوا الواو التى هـى أقوى من الألف فى الجمع، الذى هو أقوى من التثنية»[1] .

فإذا أردنا استخلاص المورفيمات فى المثنى وجمع المذكر كانت كما يلى :

- نجح المجتهدَ + ا + نِ (الألف مع كسر النون)
- نجح المجتهد + و + نَ (الواو مع فتح النون)
- رأيت المجتهدَ + يـْ + نِ (فتح الدال مع كسر النون)

---

(١) ابن جنى - علل التثنية ٧١-٧٢ .

- رأيت المجتهدِ + يـ + نَ (كسر الدال مع فتح النون)
- مررت بالمجتهدَ + يـْ + نِ (فتح الدال مع كسر النون)
- مررت بالمجتهدِ + يـ + نَ (كسر الدال مع فتح النون)

على هـذا الحال كان العـنصر الصـوتى مورفيـماً أدى إلى تميـيز المثنـى من الجمع، بينما الألف والواو والياء مورفيما إعراب .

- أما جمـع المؤنث السالـم فهو وإن كان يشبـه جمع المذكر فـى سلامة مفرده من التغيير فهو يختلف عنه، لـكونه للعاقل وغير العاقل، ولكونه موحَّداً فى المورفيم الدال عـلى الجمع، وثباته فى الرفع والنـصب والجر، إذ يزاد على المفرد مورفيمات الألف والتاء، و«هى علامة سامية الأصل»[1] ، وقد «اختلفوا فى هذه الألف والتاء، فقـيل التاء للجمع والتأنيث، ودخـلت الألف فارقة بين الجمع والواحـد، وقيل التاء للـتأنيث والألف للـجمع، والذى عليـه الأكثر أن الألف والتاء للجـمع والتأنيث من غير تفصيـل. والذى يدل عل ذلك أمران : أحدهما : إسقاط التاء الأولى التى كانت فى الواحد فى قولك مسلمات، فلولا دلالة الثانية على التأنيث كدلالتها على الجمع لم تسقط التاء الأولى، لئلا يجمع فى كلمة واحدة بين عـلامتى تأنيث. والأمر الثانى : أنك لو أسـقطت أحدهما لم يفهم من الحرف الثانى ما يفهم من مجموعهما من الجمع والتأنيث»[2] .

وحذف تاء التأنـيث التى فى المفرد عند الجـمع دليل على ميل الـعربية إلى التيسـير والخفة، إذ لو أضيـف مورفيما الجمـع والتأنيث (ات) إلى المـفرد على غرار جمع المـذكر السالم لصارت الصـيغة الجديدة، هكذا : مـسلمة + ات ← مسلـمتان، وحينـئذ يصبح فـى الصيغـة الجديدة علامتـان للتأنيـث، ولا يؤتى بعلامـتى تأنيـث فى كلمـة واحدة، فحذفـت ما كانت فـى المفرد، وهى الـتاء

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٧٢ .

(٢) ابن يعيش - شرح المفصل ٦/٥ .

المربوطة، اكتفاء بالتاء المبسوطة التى أضيفت متأخرة بعد الألف .

وستكـون الصيغة بـالغة الصعـوبة، إذا أضيف مورفـيما جمع المـذكر إلى الصيغة المفردة المؤنثة، إذ ستصبح : مسلمة + ون ← مسلمتون، مسلمة + ين ← مسلمتين، ولـكن اللغة لجأت إلى مد صوتى من نـوع آخر، وصاغت جمع المؤنث السالم بزيادة الألف والتاء وهما زيادتان، إذ كان جمع المؤنث فرعاً على جمع المذكر الذى لحقت به زيادتان أيضاً .

وقد أختيرت الألف دون الواو والياء لخفتهـا، وثقل الجمع مع التأنيث كما رأينا فى الأمـثلة السابقة، كمـا اختيرت التاء لدلالـتها على الجمع والتـأنيث مع الألف من ناحية، وإبدالها من الواو فى كلمات، مثل : تكأة وتخمة من ناحية ثانية. وهذه التاء حرف إعراب فى هذا الجمع، لأنها حرف صيغت الكلمة عليه لمعنى الجمع، فكانت كالواو والياء فى جمع المـذكر السالم، فالتاء والضمة عليها بمنزلة الواو والتاء، والكسرة بمنزلة الياء .

ومع تنـوع هذه الفئات الخاصـة بالعدد واختلافـها من حيث الكـم والنوع فهناك عدد من الملاحظات التى يمكن رصدها بعد عرض الجدول الآتى :

الفئة العددية / الحالات الإعرابية	المثنى	جمع المذكر	جمع المؤنث
الزيادة فى الرفع	ا + ن (انِ)	و + ن (ونَ)	ا + ت (انِ)
الزيادة فى الصب	يـ + ن (ينِ)	يـ + ن (ينَ)	يـ + ت(اتِ)
الزيادة فى الجر	يـ + ن (ينِ)	يـ + ن (يَ)	يـ + ت (اتِ)

الجدول السابق يكشف لمتأمله ما يأتى :

- كل فئة عددية لحقتها زيادتان (مورفيمان)، وهاتان الزيادتانَ قد تتشابه فيهما

فئة مع أخرى كتابة وشكلاً، ويختلفان صوتاً، كما فى المثنى وجمع المذكر السالم فى حالتى النصب والجر، وقد يتشابهان فى الزيادة الأخيرة كتابة ويختلفان صوتاً أيضاً كما فى الفئتين السابقتين فى حالة الرفع، فنون المثنى مكسورة، ونون الجمع مفتوحة، مع ملاحظة أنهما يتفقان تماماً فى كون الزيادة الأولى حرف إعراب فرعى، والزيادة الثانية تأتى عوضاً عن حركة التنوين فى المفرد .

- تختلف فئة جمع المؤنث السالم عن الفئتين الأخريين فى الزيادتين اللتين لحقتا بالاسم المفرد (ات)، وقد لوحظ أن المورفيمين معاً يؤديان وظيفة الجمع والتأنيث، وإن كانت التاء حرف إعراب تجرى عليه حركات الإعراب.
- تتفق الفئات الثلاث فى سلامة المفرد من التغيير، إذ لا يطرأ أى تغيير عند إضافة الزيادة على العدد .
- تتفاوت فئة المثنى عن فئتى الجمع بنوعيها فى سعتها ووقوعها للمذكر والمؤنث، والعاقل وغير العاقل بصورة واحدة، وهى تتفق مع فئة المؤنث فى وقوعها للعاقل وغير العاقل على السواء .
- تتفق هذه الفئات الثلاث فى اضواتها تحت ما يسمى بجمع القلة لكون الفئتين الثانية والثالثة (جمع المذكر والمؤنث) على منهاج التثنية، والتثنية قليل .
- فى كل من المثنى وجمع المذكر حُمل المنصوب على مجروره؛ وفى جمع المؤنث حمل المنصوب علي مجروره أيضاً، وكان للرفع علامة واحدة، وللجر والنصب علامة واحدة .
- يتفق كل من المثنى وجمع المذكر فى حذف نونهما عند الإضافة، مع ثبات نهاية جمع المؤنث، وعدم حذفها عند الإضافة .

- تتفق المورفيمات التى لحقت بكل فئة فى دلالتها على الإيجاز والاختصار، فالألف تدل على عدد الاثنين، وشموليتها للمعدود، والواو تدل على العدد والنوع، أى الجمع والتذكير، والألف والتاء تدل على العدد والنوع أيضاً، أى الجمع والتأنيث .
- العنصر الصوتى يعد مورفيماً مميزاً بين فئة المثنى، وفئة جمع المذكر السالم، فقبل الياء فى المثنى مفتوح، وقبل الياء فى الجمع مكسور .

أما جمع التكسير فهو جمع عام يشمل من يعقل وما لا يعقل، والمذكر والمؤنث وقيل له تكسيرا أو مكسر لتغير بنيته عما كان عليها مفرده، وهذا التغيير يكون تارة بالزيادة، مثل : رجل : رجال، وفرس : أفراس، وتارة يكون بالنقص، مثل : إزار : أزر مع تغيير حركة الهمزة والزاى، وخمار : خُمر، وتارة يكو تغيير بنية الواحد من غير زيادة ولا نقص فى الحروف، وهو تغيير راجع إلى الحركات، مثل : أُسَدٌ : أَسْدٌ، وَثَنٌ : وُثْنٌ .

وهذا الضرب من الجمع يعرب بالحركات بخلاف جمع الصحة، وإنما كان إعرابه بالحركات لأنه أشبه المفرد، لأن الصيغة تستأنف له، كما تستأنف للمفرد، وليس كذلك جمع السلامة، فإن الصيغة فيه هى صيغة المفرد، وإنما زيد عليه لتدل على الجمع[1] .

ولا يوجد جمع التكسير فى اللغات السامية الشمالية إلا بعض الأصول له، و«أصل جمع التكسير أسماء الجملة (يقصد أسماء الجموع) . . . وهى الأسماء التى تدل على جنس مركب من الأفراد، وهى كثيرة فى اللغات السامية وغيرها، منها : القوم، والحى، والأهل، والركب والقطيع والغنم والضأن والطير إلى غير ذلك، ومعناها بين معنى الجمع، ومعنى المفرد، فهى تشبه الجمع فى أنه يعبر بها عن غير واحد من الأفراد، وتشبه المفرد فى أن القوم

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٦/٥ .

مثلاً وإن احتوى علـى عدد كثير من الناس، فهو فرد عن غـيره، ولذلك يمكن جمعه على أقوام»[1] .

وجمع التكسير كثير الأوزان والأبنية، ذكر النحاة أنها سبعة وعشرون وزناً، منها أربعـة موضوعة للعدد القليـل (جمع القلة) وهو من الثلاثـة إلى العشرة، وثلاثة وعـشرون للعدد الكـثير[2] . ودلالتـها عـلى الجمـع لا تتقـق بإضـافة مورفـيمات أو لواحـق فى آخر المفـرد كما فى جـمع المذكر والمـؤنث، ولكنـها تتحقق بالاعتماد على تبادل الحركات أو العنـاصر الصائتة فى البنية الداخلية مع ثبـات صوامتـها، مما يـدعونا إلـى القول بأن الـعناصـر الصائـتة وترتـيبهـا هى المورفيمات التى تـؤدى معنى الجمع، مما يوحى بأن العناصـر الصوتية قد تؤدى دلالة عددية[3] .

- المورفيم الدال على التعريف والتنكير

النكرة هى الأصل، والتعريف حادث، لأن الاسم نكرة فى أول أمره مبهم فى جنسه، ثم يدخل عليه ما يفرد بالتعريف حتى يكون اللفظ لواحد دون سائر جنـسه . . . فالـنكرة سـابقة لأنـها اسم الجـنس الذى لـكل واحد مـنه . . . والتعـريف ثان أتى به لـلحاجة إلى الحديـث عن كل واحد من أشـخاص ذلك الجنس[4] .

وقد حاول عـلماء العربـية أن يميزوا المعـرفة من النكـرة، فعددوا للمـعرفة أنواعاً متعددة، مثل : العلم، والـضمير، والاسم الموصول، وأسماء الإشارة،

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٦٨ .

(٢) ابن هشام - أوضح المسالك ٣٠٧/٤-٣٢٥ .

(٣) يرجى مراجعة الأبنية فى المصدر السابق، وللمزيـد من التفاصيل يرجى مراجعة د. محمود السعران - علم اللغة ٢٤١، ود. عبد الصبور شاهين - المنهج الصوتى ١٣٣-١٤٢ .

(٤) ابن يعيش - شرح المفصل ٢٩/٩ .

والمضاف إلى معرفة، والمعرف بالألف واللام، والمنادى. ويلاحظ أن هذه الأنواع منها ما يعتمد فى معرفته على اللفظ ذاته، مثل : العلم، واسم الإشارة، ومنها ما يعتمد فى معرفته على اللواحق التى قد تكون سابقة، مثل (ال) أو لاحقة مثل تاء الضمير .

لعل (ال) أبرز السوابق التى تلحق الأسماء المعربة، بل تكاد تكون السابقة الوحيدة التى لا يشركها غيرها فى دخولها على الاسم للدلالة على التعريف، ولذا تعد مورفيماً خاصاً بالتعريف، ووحدة يستعان بها على التفرقة بين النكرة والمعرفة، فالنحاة يعدون الاسم الخالى من (ال) مالم يكن علماً نكرة، وما يعرف بها يكون مخصوصاً دون غيره .

ويذكر النحاة أنواعاً مختلفة لهذا المورفيم، معتمدين عل السياق حينًا، وعلى التى تأتى سابقة فيها حينًا آخر، لقد ذكروا أنها تكون عهدية ذهنية، وذلك إذا جاءت سابقة على اسم كان للمتكلم والمستمع عهد به، وعهدية حضورية، وعهدية ذكرية، وهى التى سبق لمصحوبها ذكر من قبل، وجنسية تفيد استغراق الجنس، وهى التى يصلح وضع لفظ «كل» مكانها، وجنسية لبيان الحقيقة .

وتكون (ال) زائدة لازمة كالموجودة فى الأسماء الموصولة، مثل : الذى، والتى ونحوهما، والموجودة فى اللات والعزى، والسموأل، وزائدة غير لازمة كالأعلام المنقولة عن أصل، مثل : النعمان والحارث والفضل ونحو ذلك .

كما تكون موصولية كالموجودة فى اسم الفاعل والمفعول من المشتقات بشرط ألا يراد بها العهد أو الجنس، مثل : أكرمت المكرم ضيفه .

وهكذا نجد أن السابقة (ال) مورفيم خاص بتعريف الأسماء، ولكن يلاحظ أن هناك نمطاً من الكلمات لا يقبل (ال) ويعد من المعارف، مثل (ذو) الموصولية ومن وما، وفى هذا ما يوحى بأن هذا المورفيم خاص بالأسماء غير المبهمة، إذ لا يلحق الأسماء المبهمة مثل التى سبق ذكرها .

ويتصل بقضية التعريف والتنكير مورفيم التنوين[1] ، وهو نون ساكنة تلحق آخر الأسماء المتمكنة لفظاً لاخطاً، فإذا كانت (ال) مورفيم يزاد في صدر الأسماء فإن التنوين يزاد في عجزها، وله دلالات مختلفة أتى لها كما تأتى (ال)، فقد يكون للتمكن أو العوض، أو المقابلة، أو للتنكير، والدلالة الأخيرة تثير انتباه الدارس لهذا المورفيم، إذ في ذلك ما يشير إلى أدائه لدلالة التعريف والتنكير، فالتنوين لا يجمع مع (ال) في آن واحد، فوجود أحدهما يعنى عدم وجود الآخر .

وللغة تفسير يدعو إلى التأمل في تنوين التنكير الذى يلحق الأعلام الممنوعة من الصرف فينكرها، فإذا قيل : لقيت أحمداً بدون تنوين فهذا يدل على معرفته والعلم به، وإذا قيل : لقيت أحمد فقد دل على أنه نكرة، وأنه دل على شخص غير معروف يسمى بهذا الاسم، وكذا إذا لحق بالأعلام المبنية، مثل : سيبويه، فإذا لم ينون علم أنه العالم النحوى المعروف، وإذا نون دلّ على شخص آخر غير المعروف .

ويبلغ التفسير اللغوى مداه لهذا النوع من التنكير حين يُنَصُّ على أنه لا يكون في معرفة البتة، ولا يكون إلا تابعاً لحركات البناء دون حركات الإعراب، وذلك، نحو : صه ومه وإيه، فالنحاة يرون أنه إذا قلت صه منوناً فكأنك قلت سكوتاً، وإذا قلت صه بغير تنوين فكأنك قلت السكوت، وإذا قلت : مه بالتنوين، فمعناه كفا، وإذا قلت : مه، فكأنك قلت : الكف، وكذلك إذا قلت إيهٍ معناه : استزادة، وإذا قلت إيه، فكأنك قلت : الاستزادة، فالتنوين علم التنكير، وتركه علم التعريف[2] .

وهكذا نرى أن التنوين عند النحاة إذا كان علامة على تمكين الاسم في

(١) راجع : ابن يعيش - شرح المفصل ٩/ ٢٩-٣٧ .

(٢) المصدر السابق ٩/ ٢٩-٣٠ .

المعرفة حيناً، فقد اعتبروا وجوده دلالة على التنكير، وتركه دلالة على التعريف حيناً آخر. وإنْ كنت أظن أن هذا النوع من التنوين حين يظهر فى فئة من الأسماء لم يكن مقترناً بها من قبل، فليس ذلك علامة على التنكير، بل أراه علامة على تأكيد اسمية الكلمة التى اقترن بها، إذ لا يقترن بالأفعال والحروف، وكونه دل على نكرة بوجوده ومعرفة فى عدم وجوده، فذلك يرجع إلى الدلالة العرفية لدى القائل والمستمع .

وخلاصة القول أن (ال) والتنوين مورفيمان خاصان بالاسم، أولهما يلحق به فى أوله، ولا يشركه فى ذلك مورفيم آخر، وثانيهما لحق به فى آخره، ويشترك معه مورفيمات أخرى تأتى فى عجز الأسماء، وكلاهما وحدة صرفية، تميز الاسم المعرفة من النكرة، وإن كان مورفيم التنوين قد زاده النحاة دلالة على التنكير أيضاً .

- المورفيم الدال على الشخص

تبنت اللغة العربية نظاماً مورفيميًا خاصاً بالشخص، وهو ما يعرف بالضمائر، وجعلته يتوزع توزيعاً ثلاثياً تارة، وتوزيعاً ثنائياً تارة أخرى. فهو يكون ثنائياً من حيث النوع، إذ ينحصر بين المذكر والمؤنث، ويكون ثلاثياً من حيث صاحب الضمير، إذ يكون للمتكلم والمخاطب والغائب، كما يكون ثلاثياً من حيث موقعه فى الإعراب، إذ يكون للرفع أو النصب أو الجر، أو لحالتين دون الثالثة، أو للحالات الثلاث معاً .

ويتنوع المورفيم الخاص بالشخص (الضمير) بين البروز والاستتار، والاتصال والانفصال، وقد استعانت اللغة لتمييز كل مورفيم عن الآخر فى ضوء التوزيع السالف ذكره بمجموعة من العلامات والحروف المختلفة لتؤدى دلالتها بها، وسوف يبدى التحليل والوصف لهذه المورفيمات شيئاً من ذلك .

١ - المورفيم الدال على المتكلم

ينحصر المورفيم الدال على المتكلم من حيث العدد فى دلالته على المفرد والجمع، إذ لا يوجد ضمير للمتكلم خاص بالمثنى، وقد استعاضت اللغة بضمير المتكلم لأكثر من شخص واحد، ليشمل المثنى والجمع، وحينئذ يعتمد على السياق فى تميز دلالة المثنى من دلالة الجمع، وهو أمر يشعر بتخلى اللغة عن التوزيع الثلاثى، واكتفائها بما يدل على المفرد فقط، وبما يدل على المثنى والجمع معاً، ولذا لا يظهر للمثنى فى حدود ضمائر المتكلم قيمة خلافية، على حدود التقسيم الثلاثى المعتاد للعدد المفرد والمثنى والجمع. ولذا نرى أن اللغة قد اكتفت بقيمة خلافية واحدة بين المفرد والجمع فقط .

ولا يخفى على المتأمل فى الضمائر تنوعها بين المنفصل والمتصل، ويرى النحاة العرب أن «القياس فيها أن تكون كلها متصلة، لأنها أوجز لفظاً وأبلغ فى التعريف، وإنما أتى بالمنفصل لاختلاف مواقع الأسماء التى تضمر، فبعضها يكون مبتدأ، نحو : زيد قائم، فإذا كنيت عنه قلت : هو قائم، أو أنت قائم إن كان مخاطباً، لأن الابتداء ليس له لفظ، يتصل به الضمير، فلذلك وجب أن يكون ضميره منفصلاً»[1] .

ويعد الضمير المتصل مورفيماً مقيداً لكونه لا يستقل بنفسه، ولا يملك حرية التقديم على ما يتصل به، أو يمكن فصله عنه، بينما يعد الضمير المنفصل مورفيماً حراً مقيداً لكونه يجرى مجرى الأسماء الظاهرة فى استقلاله بنفسه وعدم افتقاره إلى ما يتصل به، وإن كان معناه لا يتم إلا فى إطار تركيبى معين.

وتتنوع هذه الضمائر بين المتكلم والمخاطب والغائب، وتختلف ألفاظها بسبب اختلاف محلها من الإعراب، كما تختلف صيغها، فكل واحد من المضمرات له ضميران متصل ومنفصل، ماعدا حال الجر، فإنه لا منفصل له، فلا يكون إلا متصلاً .

(١) برجشتراسر – التطور النحوى ٤٨ .

وإن عدنا إلى صيغ هـذه الضمائر لوجدنا أن التمييـز بين المذكر والمؤنث أو المفرد والمثـنى والجمع، ونحو ذلك يتـم من خلال مورفيمات قد تـكون حروفاً صامتة أو علامات، ويتضح ذلك مما يأتى :

ب - المخاطب المرفوع

حالة الضمير	جنس الضمير	العدد		
		المفرد	المثنى	الجمع
منفصل	مذكر	أنْ + تَ	أنْ+تُ+م+ا	أنْ + تُ + م
	مؤنث	أ + تِ	أنْ+تُ+م+ا	أ + تُ + نَّ
متصل	مذكر	أحسن + تَ	أحسن +تُ+م+ا	أحسن + تُ + م
	مؤنث	أحسن + تِ	أحسن +تُ+م+ا	أحسن + تُ + نَّ

لعل تحليل هذه الضمائر ووصفها فى الجدول السابق يوضح لنا ما يأتى :

- السابقة «أنْ» مورفيم مشترك بين المفرد والمـثنى والجمع بنوعية مع انفصال الضمير، هـذه السابقة «يحتمـل أن تكون من أدوات الإشارة»[1] ، وهى تتلاشى ويزول وجودها مع اتصال الضمير .
- تحمل التاء مع الضمـير المنفصل والمتصل عنصراً صوتياً يـعمل كمورفيم له قيمة خـلافية تميز المذكر مـن المؤنث المفردين، وهـى (تَ عكس تِ). ثم تزول قيمة العنـصر الملازم للتاء، ويهمل تمييز الجنـس أو النوع فى المثنى، ويستخدم لـلاثنين معاً ضمير واحد، كـما لا يؤدى هذا العنصر قـيمته مع الجمع، إذ يتوحد فى النوعين أيضاً، ويقع الـتمييز بين الجنسين على عاتق عنصر آخر .

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٤٨ .

- أما زيادة الميم مع المثنى والجمع فى الاتصال والانفصال، فقد جاءت بصورةٍ واحدة للدلالة على مجاوزة الواحد .

- الألف بعد الميم مورفيم دال على عدد التثنية، وتشمل المؤنث والمذكر، كما أن الواو المحذوفة بعد الميم مورفيم يدل على عدد الجمع المذكر دون المؤنث، «وقد تحذف الواو من الجمع لأمْن اللبس، إذ الواحد لا ميم فيه، والتثنية يلزمها الميم والألف، فلا يلبس بواحد ولا تثنية، لأن الواحد لا ميم فيه، والتثنية يلزم فيها الألف، وإذا حذفت الواو سكنت الميم»[1].

- النون فى جمع المؤنث مشددة، فهى نونان، لتكون بإزاء الميم والواو فى المذكر، ذلك أن ضمير المؤنث على حسب ضمير المذكر، فإن كانت علامة المذكر حرفاً واحداً، فعلامة المؤنث حرف واحد، وإن كانت علامة المذكر حرفين، كانت علامة المؤنث حرفين كذلك .

جـ - الغائب المرفوع

تمثل ضمائر الغائب النوع الثالث من الضمائر، ويعدها برجشتراسر نوعاً بنفسه بين الضمائر وبين أسماء الإشارة، فهى تشارك الضمائر فى الانقسام إلى منفصلة ومتصلة، مرفوعة ومجرورة ومنصوبة، وتشارك أسماء الإشارة. أمثال ذلك : أنى إذا سئلت : أين زيد ؟ أمكننى أن أجيب هو فى البيت، بدل زيد فى البيت، فأكنى بالضمير عن الاسم، والكناية قريبة من الإشارة، ومشتقة منها، ومما يدل على ذلك أن hu العبرية المطابقة (لهو) العربية معناها كذلك فى كثير من الحالات. وضمائر المتكلم والمخاطب تفيد معانى خاصة بها مستقلة، لا يكنى بها عن شئ آخر»[2] . وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن كلاً من المخاطب

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٨٧ .

(٢) برجشتراسر - التطور النحوى ٥٠-٥١ .

والمتكلم يقتضى حضوراً فعلياً، ومن ثم لا يحتاج إلى ما يكنى به عن كل منهما

وضمائر الغائب تفرد وتثنى وتجمع، وتبين بعلامة المؤنث، وهى أولى بذلك لكونها ظاهرة، والظاهر يثنى ويجمع ويؤنث، والخلاف حول الاسمية فى الضمير يدور حول سؤال : هل الاسمية فى الضمير كله أم فى جزء منه ؟ فالبصريون يرون أن الاسمية تتحقق فى الضمير بكماله، والكوفيون يرون أن الاسم الهاء وحدها، وما بعدها مزيد، والصواب مذهب البصريين، لأنه ضمير منفصل مستقل بنفسه، يجرى مجرى الظاهر، فلا يكون على حرف واحد، ولأن المضمر إنما أتى به للإيجاز والاختصار فلا يليق به الزيادة، ولا سيما الواو وثقلها»[1] . وتحليل الجدول الآتى يوضح لنا عدداً من الأمور نوضحها بعد هذا الجدول .

حالة الضمير	المفرد		المثنى	الجمع	
	مذكر	مؤنث	مذكر ومؤنث	مذكر	مؤنث
منفصل	هُو	هِي	هُما	هُم	هنَّ

من الجدول السابق يتبين ما يأتى :

- تعد حركة الهاء عنصراً صوتياً ومورفيماً يظهر القيمة الخلافية بين المذكر والمؤنث المفردين (هـُ عكس هـِ) على حين يهمل عنصر التمييز للجنس أو النوع فى المثنى، ويعبر عنه بمورفيم موحد هو الضمير «هما» (عوضاً عن هُما فى المثنى المذكر، وهِما فى المثنى المؤنث) إذ «قيل إنَّ أصل هما (هو ما) فحذفت الواو، قالوا لأنها لو بقيت لوجب ضمها؛ لأن هذه الميم يضم ما قبلها، والضمة تستثقل على الواو المضموم ما قبلها، فحذفت

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/٩٦ .

الضمة للثقل، ولما سكنت الواو تطرق إليها الحذف لضعفها، وذلك لئلا يتوهم أنهما كلمتان منفصلتان، أعنى ما وهو، وثبتت فى هما كما ثبتت فى أنتما» [1] .

- تتوحد حركة الهاء فى الجمع، وتبرز القيمة الخلافية بين جمع المذكر وجمع المؤنث من الضمير ككل، وقد جاء الضمير الدال على جمع المؤنث بتشديد النون ليكون حرفين فى مقابل الميم والواو فى جمع المذكر، نحو : هموفعلوا، ولذا يمكن القول إن (هم) مورفيم يقابل المورفيم (هُنَّ) فى الدلالة على النوع .

- **ضمائر النصب المنفصلة**

هذا الضرب من الضمائر فيه إشكال، ولذلك كثر اختلاف العلماء فيه، فمنهم من ذهب إلى أن إيا اسم مضمر، وما بعده من الياء فى إياى، والكاف فى إياك، والهاء فى إياه حروف مجرده من الاسمية للدلالة على أعداد المضمرين وأحوالهم، لاحظ لها فى الإعراب. ومنهم من ذهب إلى أن إيا اسم ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات، ومنهم من ذهب إلى أن إيا وما يليها بكمالها اسم، ومنهم من ذهب إلى أن الياء والكاف وأشباههما أسماء، وإيا عماد لها، وذهب سيبويه إلى أن إيا اسم لا ظاهر ولا مضمر، بل هو مبهم كنى به عن المنصوب وجعلت الكاف والياء والهاء بياناً عن المقصود، وليُعلم المخاطب من الغائب، ولا موضع لها من الإعراب .

والرأى عندى أن كل ضمير من هذه الضمائر يعد بكماله اسما أو بمعنى آخر يعد مورفيماً حراً، يتكون من مورفيمات مقيدة يمكن تفسيرها كما يلى :

اي : مورفيم كناية أو سلَّم لما يليه من مورفيمات .

ى، ك، ه : هذه المورفيمات ونحوها دلالات أو علامات يتميز بها المتكلم من المخاطب من الغائب، بالاعتماد على عناصر أخرى تتضح مما يأتى :

---

(١) شرح المفصل ٣/ ٩٦ .

الشخص ونوعه وعدده	مكونات الضمير المستخدم
المتكلم المفرد المذكر والمؤنث	إى + ا + ى
المتكلم لغير الواحد	إى + ا + نا
المخاطب المفرد المذكر	إى + ا + كَ
المخاطب المفرد المؤنث	إى + ا + ك
المخاطب المثنى بنوعيه	إى + ا + كُ + م + ا
المخاطب الجمع المذكر	اى + ا + ك + م + (و)
المخاطب الجمع المؤنث	اى + ا + ك + ن + ن
الغائب المفرد المذكر	إى + ا + ه
الغائب المفرد المؤنث	اى + ا + ها
الغائب المثنى بنوعيه	اى + ا + هـُ + م + ا
الغائب الجمع المذكر	اى + ا + هـُ + م + (و)
الغائب الجمع المؤنث	اى + ا + هـ + ن + ن

من الجدول السابق يتضح ما يأتى :

- ثبات المورفيم الأول والثانى وتوحدهما مع كل الضمائر على اختلاف نوعها وعددها .
- إهمال القيمة الخلافية لجنس أو نوع المذكر والمؤنث المتكلم المفرد، كما أهملت القيمة الخلافية لعنصر الجنس والعدد مع المتكلم لغير الواحد، إذ يستخدم للمذكر والمؤنث والمثنى والجمع .
- حركة الكاف مورفيم مميز بين المذكر والمؤنث، فالفتح للمذكر، والكسر للمؤنث .
- ثمة توحد بين المورفيم الدال على المثنى المخاطب والغائب فى إهمال عنصر

الجنس، ويعد كل من فونيم الكاف والهاء مورفيماً مميزاً للحضور والغيبة، كما يعد فونـيم الألف مورفيماً دالاً على العدد الـذى جاوز الواحد ويقل عن الثلاثة .

- أدى مورفيم الحـركة إلى تمييز الغائـب المذكر من الغائب المؤنـث المفردين، فالتغير من الضم القصير للـهاء إلى الفتح الطويل (ها)، حول الدلالة من المذكر إلى المؤنث .

- وأخيـراً يتشـابه كل مـن المورفيم الـدال على الجـمع بنـوعيه، المخـاطب والغائب، فى الاكتفاء بالميم مع حذف الواو، وهى مورفيم يدل على النوع والعدد، لأمن الـلبس من جانب، والتـخفيف من جانب آخـر، واعتماد فونيـم الكاف والهاء مـورفيماً مميـزاً بين الغيبـة والحضور، وفونيـم النون مورفيماً مميزاً للجنس والنوع (جمع المؤنث) .

- **المورفيم الدال على الإشارة**

الإشارة الإيمـاء إلى حـاضر بجـارحة، أو مـا يقوم مـقام الجـارحة، أو أن تخصص للمخاطب شخصاً يعرفه بـحاسة البصر، وسائر المعارف هو أن تختص شخصاً يعرفه المخاطب بقلبه، ولـذلك قال النحويون إن أسماء الإشارة تتصرف بشئين : بالعين والقلب»[1] .

وتمثل أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والاستفهام والشرط مورفيمات تتلاصق فونيماتـها وتتراكب، فتصبح كيانات لها دلالاتها واسـتخداماتها الخاصة بها، ويلاحـظ أن كل فونيم يعد مـورفيماً ذا دلالة خاصة، ويـضاف إلى دلالة الإشارة دلالة الحيز المكانى المتنوع بين القريب والمتوسط والبعيد، ويوضح ذلك ما يأتى:

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ١٢٦-١٣٨، وشرح الرضى على الكافية ٢/ ٤٧٢ .

حيز الإشارة العدد والنوع	القريب	المتوسط	البعيد
المفرد المذكر	هـ + ذا	ذا + ك، ذى +ك	ذا + ل + ك
المفرد المؤنث	هـ + ذه، تا، تى	تا + ك، تى + ك	ت + ل + ك
المثنى المذكر	هـ + ذان، ذين	ذان + ك، ذين+ك	ذانّ + ك
المثنى المؤنث	هـ + تان، تين	تا + ك، تين+ ك	تانّ + ك
جمع المذكر	هـ + أولاء، أولا	أولاء + ك	أولالك
جمع المؤنث	هـ + أولاء	أولاء + ك	أولالك

من الجدول السابق يتبين ما يأتى :

- لوحظ أن فونيم الهاء يعد مورفيماً اقتصر وروده على الإشارة للقريب، ويفيد التنبيه، وإذا أريد تعظيم الأمر والمبالغة فى إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة، وقالوا : هذا، هـذه، هاته، هاتا، هاتى، ولايجمع بين فونيم الهاء وفونيم اللام، لأن الهاء للقريب واللام للبعيد، والبعد والقرب معنيان متقابلان .
- المورفيم ذو الدلالة الفاعلة فى الإشارة يتمثل فى «ذا» و «ذى» و «تا» و «تى»، وهذا المورفيم الإشارى يحمل دلالة النوع والعدد .
- فونيم اللام يعد مورفيماً ذا دلالة خاصة فى الإشارة للبعيد، فوجود اللام يخرج القريب والمتوسط من حيز الاستخدام الإشارى .
- فونيم الكاف يعد مورفيماً ذا ضربين، أحدهما : يفيد الخطاب والاسمية، والآخر يفيد الخطاب مجرداً من معنى الاسمية، فالأول نحو : الكاف فى أخيك وأبيك، ونحوها مما له موضع من الإعراب، والثانى نحو : الكاف

اللاحقة بأسماء الإشارة جميعها، فهى للخطاب مجرداً من معنى الاسمية، والذى يدل على تجردها من معنى الاسمية، أنها لو كانت باقية على اسميتها لكان لها موضع من الإعراب[1] . ولذا فهى تفيد مجرد الخطاب والحضور للمشار إليه عاقلاً أو غير عاقل .

- الأسماء الموصولة

الموصولات ضرب من المبهمات، لوقوعها على كل شئ من إنسان وحيوان وجماد، أى عاقل وغير عاقل، كوقوع هذا وهؤلاء ونحوهما من أسماء الإشارة على كل شئ، ومعنى الموصول لا يتم بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، يجوز أن يقع فاعلاً ومفعولاً ومضافاً ومبتدأ وخبراً .

ويعد الاسم الموصول مورفيماً حراً مقيداً، فهو حر لكونه منفرداً مستقلاً بنفسه، ومقيد لكونه يحتاج إلى ما بعده فى إتمام المعنى، إذ صار كالحرف الذى لا يدل على معنى فى نفسه، إنما معناه فى غيره، أى يتم معناه إذا اتصل بكلام غيره .

فإذا تأملنا الأسماء الموصولة لوجدنا أنها تتكون من أكثر من مورفيم والجدول الآتى يوضح ذلك :

العدد / الجنس	المفرد	المثنى	الجمع
المذكر	ال + ل + ذى	ال+ل+ذانِ، ذَينِ	ال+ل+ذينَ
المؤنث	ال + ل + تى	ال+ل+تان، تين	ال+لات، اللواتى، اللائى

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ١٣٤ .

يتبين لنا من الجدول السابق ما يأتى :

- اشتراك كافة أنواع الأسماء الموصولة فى العنصر الأول، والعنصر الثانى، فالعنصر الأول هو المورفيم (ال) الذى يفيد التعريف، وهو مورفيم زائد زيادة لازمة، لا تسقط عن الاسم الموصول، والعنصر الثانى فونيم اللام، وهو مورفيم يفيد التوكيد .
- اشتراك كل من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة فى مورفيمات واحدة، هى : ذى، تىِ، ذان، ذَين، تان، تين .
- اشتراك كل من المثنى المذكر والجمع المذكر فى صوامت الاسم الموصول، ويلاحظ أن العنصر الصوتى - الحركات - يقوم بدور المورفيم المميز بين كل منهما، وهو ما كان عليه أمر الياء وكسر النون فى المثنى، وكسر ما قبل الياء وفتح النون فى الجمع .

وأخيراً هناك أسماء موصولة مشتركة نجدها بدلالات أخرى فى مجال الشرط والاستفهام ونحو ذلك، وسوف تدرس مع المشترك من المورفيمات .

- المورفيم الدال على التصغير

التصغير لغة هو التقليل، وعند الصرفيين هو التقليل على نحو مخصوص، بضم أول الاسم المتمكن، وفتح ثانيه وزيادة ياء ثالثة ساكنة مع كسر ما قبل آخره فيما زاد على ثلاثة أحرف. ولا يقع التصغير فى غير الاسم المعرب المتمكن، إذ لا تصغر الحروف ولا الضمائر وأسماء الشرط والاستفهام والإشارة والأسماء الموصولة، والمركب تركيباً مزجياً، كما لا يقع التصغير فى الأفعال والأسماء المصغرة .

وللتصغير أوزان صرفية خاصة. وعددها ثلاثة، وكل وزن يختص بتصغير بنية معينة، على النحو التالى : فُعَيْل، فُعَيْعِل، فُعَيْعيل .

هذه الأبنية على تنوعها تشتمل على مورفيم زيد حشواً، للدلالة على معنى خاص ومحدد، وهو ما يعرف بياء التصغير وتكون ساكنة، وهى أبرز العناصر الدالة على التصغير، مع ملاحظة العناصر الصوتية التى هيأت لهذا المورفيم تأدية دلالته، هذه العناصر تتمثل فى : ضم الحرف الأول، وفتح الحرف الثانى، وزيادة الياء مع تسكينها، وكأن اللغة قد أدركت أن اللفظ وحده لا يكفى، فاستعانت بالحركات لتأدية معنى التصغير والصيغة على هذه الصورة الجديدة فيها معنى الاختصار والإيجاز، إذ تغنى عن وصف الشئ بعبارة هذا الشئ صغير أو قليل .

- **المورفيم الدال على النسب**

النسب أو النسبة أو الإضافة مصطلحات مترادفة للدلالة على عزو الشئ وإرجاعه إلى أصله. ويتحقق النسب عند الصرفيين بذكر المنسوب إليه وحده، ثم تزاد عليه زيادة تدل على النسب، وذلك أن يزاد فى آخر المنسوب إليه ياء مشددة ويكسر ما قبل الياء .

ويصير الاسم بعد إلحاق ياء النسب إليه قابلاً للتحليل، كما يعد المعنى المنوط به مركباً من دلالتين، دلالة عرفية، هى دلالة الاسم قبل دخول ياء النسب، والثانية صرفية، هى دلالة الياء المشددة فى آخره، فمثلاً : مصر ← ىّ ← مِصْرِىّ .

فهذه الياء أضيفت إلى الاسم المجرد عنها تعد مورفيماً ألحق بنهاية الاسم، وهو مورفيم يفيد الإيجاز والاختصار والوصف، كمورفيم التصغير، إذ صار

(١) بعد إلحاق الياء المشددة، فالتركيب يعمل الرفع، ولا يعمل النصب، لأنه بمعنى اللازم، وهو متنسب أو منسوب، وهو يعمل عمل اسم المفعول، ولا يعمل فى غير مخصصه، لعدم مشابهته للفعل فى اللفظ إلا فى ظرف أو حال، مثل : أنا عربى أبداً، وانا وطنى مخلصاً لأنه يكفيهما رائحة الفعل، وإنما لم يعامل المصغر معاملة الصفات مع أنه يدل على صفة لأنه يدل على ذات مخصوصة، موصوفة بصفة مخصوصة فلم تحتج إلى ما خصصها» . شافية ابن الحاجب ٢/ ١٣

الاسم بعد إلحاق هذا المورفيم به يشبه الصفات، ولذلك يعامل معاملة الصفات، فيحتاج إلى موصوف يخصص الذات، يجرى عليه، ويرفع ضميره أو ما يتعلق به، مثل: جاءنى رجل مصرى أصله، أو هذا رجل فلسفى فكره .

فإذا كان المورفيم الدال على التصغير ذا دلالة صرفية، فإن المورفيم الدال على النسب ذو دلالة صرفية، ووظيفة نحوية، فياء التصغير التى تزاد حشواً غير عاملة فيما بعدها، بينما تاء النسب التى تضاف فى نهاية الاسم تجعله عاملاً فيما بعده، وعمله الرفع، وهو ما يتعلق بالوظيفة النحوية .

ثانياً : الفعل

بعد الوقوف على المورفيمات الخاصة بالاسم، ننتقل إلى مجال الفعل لبيان أثر المورفيم فى بنيته من حيث الدلالة الصرفية والوظيفة النحوية، لاسيما الزيادات التى تطرأ على الجذور، وبمعنى آخر أثر المورفيمات المقيدة فى توجيه الدلالة الصرفية، والوظفة النحوية للمورفيمات الحرة .

«فاللغة العربية وإن قاربت اللغة السامية الأم فى أكثر حروفها وضمائرها فى بناء أفعالها وبعض أسمائها أبعد عن الأصل من اللغتين الأكدية والعبرية، وقريبة من اللغة الحبشية والآرامية. فالعربية مع الحبشة والآرامية أقل حفظاً للأبنية القديمة ومعانيها من بين سائر اللغات السامية»[1] .

وللعربية خصائصها فى أبنية الفعل، ويميزها عن سائر اللغات السامية تخصيص معانى أبنية الفعل وتنويعها بواسطتين : الأولى : اقترانها بالأدوات مثل : قد فعل، قد يفعل، سيفعل، ولا أفعل، ولن أفعل، والأخرى تقديم فعل كان على اختلاف صيغه، نحو : كان قد فعل، وكان يفعل، وسيكون قد فعل، إلى آخر ذلك : فكل هذا ينوع معانى الفعل تنويعًا أكثر بكثير مما يوجد

(١) برجشتراسر – التطور النحوى ٥٦ .

فى أية لغة كانت . . . وهذا من أكبر الأدلة على سجية اللغة العربية وطبيعتها، فهـى أبـداً تـؤثر المُعين المحـدود عل المـبهـم المطـلق، وتميـل إلى الـتفـريق والتخصيص . . . فاللغة العربية أكمل اللغات السامية وأتمها فى هذا الباب، أى باب معانى الفعل[1] .

ويمكن للمرء أن يميز صـيغ الفعل وأشكالها اللفظية، ويـتبين كل صيغة من الأخرى. وتشكل الصوامت (ف . ع . ل) جذوراً ثابتة فى كل صيغ الأفعال، وتعد مورفيـمات حرة تلحق بها زوائد مـختلفة، قد تكون سـابقة أو حشواً أو لاحقة فى نهايتها، وهى تعرف بالمورفيمات المقيدة .

وأبنية الفعل الماضى المجرد تنحصر فى ثـلاث صيغ مختلفة العين بين الفتح والكسر والضم، وتتمثل فى : فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ. وهى صيغ تتفاوت فيما بينها من حيث التعدى واللزوم، وربمـا تكون أبنـية الصيغة الواحدة متعدية ولازمة، كما تختلف حركة العين فى المضارع كما اختلفت فى الماضى .

والفعل مـادام مجرداً فله معنـاه الخاص فى الدلالة علـى الحدث والزمان، وإذا زيد فى صـيغته حـرف أو أكثر من حروف الـزيادة لغيـر الإلحاق، صار ذا معنى جديد أو معان متنوعة، وها نحن أولاء نعرض لما تكون عليه أبنية الأفعال بعد دخول مـورفيمات إضافية إلى الجـذور، وقد نلمح أثر هذه المورفـيمات فى الفعل المضارع .

يصاغ الـفعل المضـارع من لفظ المـاضى بزيادة سـابقة فى أولـه مع تغيـير حركات الجذور فـى الصيغة الجديدة، وهذه الـسابقة قد تكون إحـدى السوابق الأربعة المعروفـة بأحرف المضارعة، المتمـثلة فى «أنيت»، فكل سـابقة من هذه السوابق تعد مورفيماً له أكثر من دلالة ويبدو ذلك مما يأتى :

---

(١) برجشتراسر - التطور النحوى ٥٧، ٥٨ مع تصرف يسير .

أ + فعل ← أَفْعَلُ، نَ + فعل ← نَفْعَلُ، يـ + فعل ← يَفْعَلُ، ت + فعل ← تَفْعَلُ

وقـد سبقت الإشارة إلي أن ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) قد أدرك قيمة المورفيم الزائـد زيادة سابقـة فى الفعـل المضارع، كـما أدرك أثره فى الـدلالة الصرفـية والتركيب النحوى، فكل سابقة من هذه السوابق تعد مورفيماً دالاً على الزمن، يشير إلى من هو الفاعل ؟ ومـا نوعه ؟ وما عدده ؟ وما كان لهذه الدلالات أن توجد، ولا لهذه الأسئلة أن تطرح قبل زيادة هذه السوابق .

ويبـدو أثر زيادة المورفـيمات فى أبـنية الأفـعال الماضيـة من خلال المعـانى الفرعية التـى يكتسبها كل بناء فـى التركيب اللغوى والسيـاق الذى يوضع فيه، بالإضافة إلى المعنى العام الذى يكون للفـعل، وربما يكون الزائد فى بنية الفعل حرفًا، أو حرفين، أو ثلاثة، والجدول الآتى يوضحها كما يلى[1] :

١ - ما زيد فيه مورفيم

الصيغة	المورفيم الزائد	المعانى الفرعية التى صاحبت هذه الزيادة
أَفْعَلَ	الهمزة	التعدية والصيرورة والدخول في المكان أو الزمان، والمطاوعة، والجعل والإزالة، الإصابة، البلوغ، والمبالغة، الإغناء عن المجرد .. الخ
فَعَّلَ	تضعيف العين	التعدية، المبالغة والتكثير، الدعاء، السلب، والصيرورة . . . الخ
فاعل	الألف	المشاركة، المبالغة والتكثر، الاغناء عن الفعل المجرد، تكرار الفعل

(١) تراجع دلالات هذه الأبنية باختلاف أحوالها فـى المصادر الآتية : سيبويـه - الكتاب ٢/ ٢٢٣-٤٣٩، ابن جنـى - الخصائص ١/ ٢٢٣، ٢/ ٢١٥/ ٣/ ٢٦٦، ٣١٥، ابن يعيش - شـرح المفصل ٧/ ١٥٥ - ١٦٢، الرضى - شرح الشـافية ١/ ٨٦-١١٢، السـيوطى-جمع الـهوامع ١/ ٢٧٢، ٢/ ١٦١-١٦٢، محمد عبد الخالق عضيمة - المغنى فى تصريف الأفعال ١٠٨-١٣٧ .

٢ - ما زيد فيه مورفيمان

الصيغة	المورفيم الزائد	المعانى الفرعية التى صاحبت هذه الزيادة
انْفَعَلَ	الهمزة + النون	المطاوعة (أكثر المعانى التى اشتهرت بها) المبالغة، الإغناء عن المجرد
افتعل	الهمزة + التاء	المطاوعة، الاتخاذ، والمشاركة، المبالغة، الإغناء عن المجرد، الإظهار
تفعَّل	التاء + العين المضعفة	المطاوعة، الاتخاذ، التكلف والإظهار، التجنُّب، الصيرورة .. الخ
تفاعل	التاء + الألف	المشاركة، الإبهام، المطاوعة، الاغناء عن المجرد
افعلّ	الهمزة + اللام المضعفة	المبالغة

٣ - ما زيد فيه ثلاثة مورفيمات

استَفْعَل	الهمزة، السين، التاء	الطلب، السؤال، التحول، المطاوعة، المبالغ، الإصابة ... الخ
افعالّ	الهمزة، الألف، اللام	المبالغة
افعوعل	الهمزة، الواو، العين	المبالغة، الصيرورة، الإغاء عن المجرد

٤ - ما زيد فيه مورفيم واحد من الرباعى

تَفَعْلَلَ	التاء	المطاوعة، المبالغة، الانتساب، الإبهام .

٥ - ما زيد فيه مورفيمان

افعَنْلَلَ	الهمزة + النون	المطاوعة
افعللّ	الهمزة + اللام	المبالغة، الإغاء عن المجرد

مما سبق ندرك أثــر زيادة هذه المورفيمات وقيمــتها الصرفية والنــحوية، فهى تدل على الإيجاز فى المفردات والتراكيب، أمــا الإيجاز فى المفردات فيبدو جلياً فى معانى : التعدية والمشاركة والطلب، فالفعلان ذهب وخرج على سبيل المثال

لازمان، وبزيادة الهمزة يصيران متعديين، فيعبران عن معنى جديد، وهكذا فى كل صيغة من الصيغ الآنفة الذكر، إذ لولا وجود هذه المورفيمات لأدى إلى مزيد من التطويل فى الجمل والعبارات لأداء هذه المعانى .

وأما الإيجاز فى التراكيب فيبدو كذلك فى بقية المعانى، مثل : المطاوعة، والجعل، والصيرورة، ونحو ذلك من المعانى الأخرى، ذلك أن كل معنى من هذه المعانى يقتضى تركيباً من كلمتين أو أكثر، واستخدام هذه الصيغ بمعانيها المحددة، يكفى عن استخدام التراكيب المطولة حيناً، والغامضة حيناً آخر، ومن ثم يكون إيجازها فى التركيب .

وأخيراً فزيادة بعض هذه المورفيمات قد تجمع بين أمرين، هما المعنى الدلالى، ثم الوظيفة النحوية، وبعضها يكتفى بالدلالة دون الوظيفة النحوية .

- **المورفيم الدال على تحديد الفاعل ونائبه**

إذا كان للغة وسائلها الخاصة فى تحديد الزمن الذى يقع فيه الحدث، ويمكنها التفريق بين صيغة الماضى والمضارع والمستقبل بالحركات الصوتية، أو بزيادة المورفيمات الدالة على المضارع «أنيت» أو الدالة على المستقبل مثل السين وسوف، أو الدالة على الطلب كزيادة همزة الوصل على جذور الفعل أو تغيير حركات الفعل ذاتها، أو تركيب أداة نحوية مع المضارع فتفيد الدلالة على الماضى أو المستقبل أو الطلب، مثل : لم + فعل مضارع، ولن + فعل مضارع، ولام الأمر + فعل مضارع. إذا كان كل هذا فى مقدور اللغة، فإنها يمكن أن تميز ما يدل على حضور الفاعل أو وجوده فى الجملة من عدمه .

ولئن كان هذا التمييز أمراً يرتبط بالصيغة أو بمعنى آخر يتعلق بالدلالة الصرفية للفعل، فإنه فى نفس الوقت ذو علاقة قوية بالتركيب النحوى. وقد سلكت اللغة مسالك عدة في تمييز الماضى من المضارع، بل فى تمييز أبنية الماضى

المتنوعة بين الصحيح والمعتل، ثم التمييز بين المعتل بأحواله المختلفة، وكذلك التمييز بين أحوال المضارع، والمقابلة الآتية توضح ذلك :

المبنى للفاعل : ضَرَبَ، شَدَّ، وَعَدَ، قَالَ، سَعَى، دَحْرَجَ، أَخْرَجَ، تَعَلَّمَ، اسْتَغْفَرَ .

المبنى للمفعول : ضُرِبَ، شُدَّ، وُعِدَ، قِيلَ، سُعِىَ، دُرِجَ، أُخْرِجَ، تُعُلِّمَ، أُسْتُغْفِرَ .

على هذا الحال أدى مورفيم الحركة أو العنصر الصوتى إلى تغير فى الدلالة الصرفية والنحوية، فالأولى تتصل ببنية الفعل، والثانية تتصل بعناصر التركيب من حيث العلاقات والإعراب، فالتغييرات الصرفية تتمثل فى ضم أول الفعل وكسر ما قبل آخره، أو ضم أوله وثالثة وكسر ما قبل آخره، كما فى : اسْتُغْفِر، أو ضم أوله وثانية وكسر ما قبل آخره كما فى تُعُلِّم. وفى المضارع يضم أول الفعل وفتح ما قبل آخره، مثل : يُخْدَعُ، ويُبَاعُ، وقد «وجب تغيير الفعل إذا لم يسم فاعله، لأن المفعول يصح أن يكون فاعلاً للفعل، فلو لم يغير الفعل لم يعلم، هل هو فاعل حقيقى، أو مفعول أقيم مقام الفاعل . . . وكان التغيير إلى ضم الأول وكسر ما قبل الآخر، لأن الفعل لما حذف فاعله الذى لا يخلو منه، جعل لفظ الفعل على بناء لا يشركه فيه بناء آخر من أبنية الأسماء والأفعال التى قد سمى فاعلوها خوف الإشكال»[1] .

وأما التغييرات التركيبية فتتعلق بالوظائف النحوية التى جدت فى الجملة بتغير فَعَل إلى فُعِل، وتتمثل فى إقامة المفعول مقام الفاعل، وذلك لأن الفعل لا يبقى حديثاً عن غير محدث عنه، فإذا حذف الفاعل، صار المفعول يقوم مقام الفاعل .

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٧/ ٧١ .

- **المورفيم الدال على توكيد الفعل**

ثمة مورفيمان مقيدان يلحقان بآخر الفعل بقصد التأكيد، وهما لا يأتيان فى غير هذا الموضع، ويتمثلان فى نون التوكيد الثقيلة أو الشديدة (نَّ)، ونون التوكيد الخفيفة (نْ). وهذان المورفيمان لهما أثرهما فى بنية الفعل المضارع وفى معناه دون غيره .

فأما أثرهما فى بنية الفعل فيتمثل فى إخراج الفعل من الإعراب إلى البناء، أى يصير مبنياً بعد أن كان معرباً. وأما أثرهما فى المعنى فيبدو فى إخلاص الفعل للاستقبال بعد أن كان يصلح للحال والاستقبال. والنون المشددة أبلغ فى التأكيد من المخففة، لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد، فقولك : اضربَنْ خفيفة النون بمنزلة قولك : اضربوا كلكم، وقولك : اضربَنَّ مشددة النون، بمنزلة قولك : اضربوا كلكم أجمعون[1] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأثر الذى يتعلق ببنية الفعل وهو الإخراج من الإعراب إلى البناء، لا يتحقق إلا إذ اتصل الفعل المراد بالنون اتصالاً مباشراً، فإن فصل بينهما بفاصل، مثل ألف الإثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، ظل الفعل معرباً كما كان مع بقاء عنصر التأكيد. وتحذف كل من الواو، وياء المخاطبة، ويستعاض عنهما بالضمة والكسرة، ولا تحذف الألف، لأنها لو سقطت لأشبه فعل الواحد، وليس ذلك فى فعل الجماعة وفعل المؤنث، فيقال : لا تذهبُنَّ، لا تذهبِنَّ، لا تذهبانِّ، فالفعل فى كل هذه الحالات معرب لا مبنى، ومؤكد فى فعليته .

فإذا وجد هذا الفاصل فلا يكون مصاحباً له إلا مورفيم النون الشديدة أو الثقيلة، وما عدا ذلك فكل موضع تدخل فيه النون الشديدة، تدخل فيه النون الخفيفة. وما كان تراجع النون الخفيفة فى هذه المواضع إلا تخلصاً من اجتماع

(1) ابن يعيش - شرح المفصل ٩/ ٣٧ .

ساكنين فى الوصل على غير شرطه، لأن الساكن الثانى وهو النون الخفيفة غير مدغم، ولسبنا مضطرين إليها بحيث نصير إلى صورة تخرج بها عن كلام العرب.

- الأفعال الخمسة (الأمثلة الخمسة)

يطلق هذا المصطلح على مجموعة معينة من أبنية الأفعال الدالة على المضارع، وقد اصطلح عليها بهذه التسمية، لكونها تأتى على خمس صور : صورتان مع المثنى، يفعلان، تفعلان، وصورتان مع الجمع المذكر : يفعلون، تفعلون، وصورة واحدة مع ياء المخاطبة تفعلين .

ومن الملاحظ على هذه المجموعة من الأفعال أنها لا تسمى بهذه التسمية إلا إذا اقترنت بها مجموعة محددة من المورفيمات، هى (ان)، و (ون) و(ين)، وهى مورفيمات متساوية فى عددها، ولا تكون إلا ملحقة بنهاية أبنية أخرى لذا فهى مقيدة لكونها لا تأتى مستقلة بذاتها .

هذه المجموعة من المورفيمات موزعة فى اتصالها بين الأفعال والأسماء، ومن ثم فهى تختلف فى دلالتها الصرفية ووظيفتها النحوية، وخاصة الألف والنون، والواو والنون، إذ الياء والنون لا تتصل إلا بالفعل، ويوضح ذلك بما يلى :

المورفيم	دلالته	مع الفعل	مع الاسم
ا + ن	التثنية	يـَ+فْعَلَ+ان تـَ+فْعَلَ+ان	مـُ+سْلِمَ+ان
و + ن	الجمع	تـَ+فْعَلَ+ون تـَ+فْعَلَ+ون	مـُ+سْلِمُ+ون
يـ + ن	المخاطبة	تـَ+فْعَلِ+ين	———

لعل تحليل الجدول السابق يوضح لنا ما يأتى :

- كل من الاسم والفعل تساوى فى عدد الزوائد والأصول، وإن اختلفت الزوائد القبلية، ولم تختلف الزوائد البعدية، فهى مورفيمات مقيدة، وكل من الجذر الاسمى والفعلى مورفيم حر مقيد .
- توحدت دلالة مورفيم الألف من حيث الدلالة على العدد، بالإضافة إلى شمولية وعمومية هذا المورفيم فى وقوعه على المذكر والمؤنث، والعاقل وغير العاقل على السواء، كما توحدت دلالة الواو من حيث النوع والعدد، فهى تدل على الجمع المذكر .
- ثمة خلاف بين الزوائد القبلية والبعدية فى كل من الاسم والفعل، فالميم فى الاسم مورفيم يدل على الاشتقاق والوصف، والياء فى الفعل مورفيم يدل على الحال والوصف والشخص الغائب، والتاء مورفيم يدل على الحال والوصف والشخص المخاطب .
- كما تتفاوت كل من الألف والنون، والواو والنون فى الوظيفة النحوية، فكل من الألف والواو حين يتصلان بالاسم مورفيم إعراب، وعلامة على رفع ما يتصلان به، مثل : مسلمان، مسلمون .
- فإذا ما اتصلت كل من الألف والواو بالفعل فإنهما يشغلان وظيفة نحوية فى الجملة، إذ يصيران ضميراً للفاعل، ومعهما ياء المخاطبة، فكل ضمير منها يمثل ركناً أساسياً بعد الفعل الذى يتصل به .
- أما النون فى الأسماء فحرف جاء عوضاً عن التنوين فى المفرد، وفى الأفعال فهى حرف إعراب، إذ كان فى ثبوتها علامة للرفع، وفى حذفها وسقوطها علامة للنصب والجزم .
- تتنوع الألف والواو بين حالتين، هما : حالة الحرفية، وحالة الاسمية، أما الياء فلا تكون إلا اسماً أو ضميراً للفاعل، ويجب أن يلاحظ أن

الألف والواو مورفيمان لحقا بالفعل للدلالة على تثنية الفاعل وجمعه، فالفعل لا يثنى ولا يجمع، كما لا يؤنث ولا يذكر .

فى ختام دراسة المورفيمات المتعلقة بالأفعال يلاحظ ما يأتى :

- قلة المورفيمات التى تتصل بالأفعال عن التى تتصل بالأسماء .
- المورفيمات التى تتصل بالأفعال ذات دلالة صرفية ووظيفة نحوية، على حين أن التى تتصل بالأسماء ذات دلالة صرفية باستثناء ما يتعلق بالمشتقات العاملة عمل الفعل المضارع فتكون مؤدية للوظيفة النحوية بالإضافة إلى المعانى الصرفية .
- المورفيمات الاسمية يستعان على فهم دلالتها الصرفية فى معظم الأبنية بالسياق، كما فى اسم المفعول والمصدر الميمى واسم الزمان والمكان من غير الثلاثى، أما المورفيمات الفعلية فدلالتها الصرفية والنحوية تبدو واضحة فى دلالتها بوجودها مع الفعل .

ثالثا : المورفيمات الحرة المقيدة

لعل المقصود بقول المورفيمات الحرة المقيدة - إن جاز لنا استخدام ذلك - تلك المجموعة من الكلمات التى تكون منفصلة بذاتها أو ليست متصلة بغيرها، فتبدو حرة، ولكنها تعجز عن تحقيق دلالة معينة إلا بتركيبها مع غيرها من الأسماء والأفعال، فتبدو مقيدة. وهذا الضرب من المورفيمات يتنوع بين ماهو اسمى، وماهو حرفى، وبيان كل منهما كما يلى :

١ - المورفيمات الاسمية الحرة المقيدة

هذا النوع من المورفيمات ليس واحداً، بل يشمل أنواعاً مختلفة من الأسماء، مثل : أسماء الاستفهام، وأسماء الشرط، وكل منهما يكون من

مجموعة من الأسماء ذات الدلالات المختلفة، فمن أسماء الاستفهام : (مَنْ) للعاقل، (ما) لغير العاقل، (متى وأيا) للزمان، و (أين وأنىّ) للمكان، و (كيف) للحال، و (كم) للعدد، و (أى) يستفهم بها عن الحالات السابقة على حسب ما بعدها. ومثل هذه المورفيمات تشترك بين الأسماء والأفعال .

وتأتى معظم الأسماء السابقة لدلالة الشرط، غير أنها مع الشرط تعمل فى الفعلين، فعل الشرط وجوابه، وعملها الجزم. فإذا كانت تستخدم للاستفهام والشرط، فهى تستخدم للدلالة على الاسم الموصول أيضاً، مثل : (مَنْ) و (ما) و (أى). وحينئذ يتوقف تعيين دلالتها على السياق الذى ترد فيه .

ب - المورفيمات الحرفية

يمكن أن تنعت هذه المورفيمات بأنها وظيفية، لتأثيرها فيما تتصل به، وهذا التأثير قد يظهر فى الذى يليه مباشرة، أو يمتد إلى غيره فى التركيب، وليست هذه المورفيمات كلها تختص بالأسماء فقط، أو الأفعال فقط، بل منها، ما يختص بالاسم، ومنها ما يختص بالفعل، ومنها ما يشترك بين الاسم والفعل، كما أنها ليست ذات دلالة واحدة، بل تختلف دلالتها من مورفيم إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى - فمنها ما يكون للعطف، مثل : الواو، الفاء، ثم، أو، أم . . الخ، ومنها ما يكون للاستثناء، مثل : إلا، خلا، عدا، حاشا، وما يكون للنداء، مثل : يا، أيا، هيا، أى، الهمزة، وما يكون للنفى، مثل : لن، لم، لما، لا، ما، إنْ، وما يكون للتوكيد، مثل : إنَّ، أنَّ، النون بنوعيها، لام الابتداء، قد، وما يكون للنهى، مثل : لا، وما يكون للاستقبال، مثل : السين، سوف، لن، وما يكون للشرط، مثل : إنْ، إذ ما، لو، لولا، أما، وما يكون للتنبيه، مثل : ها، يا، ألا، وما يكون للتحضيض، مثل : هلا، لولا، ألا، أما، وما يكون للاستفهام، مثل : الهمزة، هل، وما يكون للجواب، مثل : نعم، بلى، لا، أجل، وما يكون للمصدرية، مثل : أنْ، أنَّ، ما، لو، كى .

كما تتنوع من حيث عملها وأثرها الإعرابى، كالتى للجر، مثل : مِنْ، إلى، على، فى، رب، الباء، الكاف، اللام، التاء، الواو، مذ، منذ، حتى، خلا، عدا، حاشا، وما يرفع المبتدأ وينصب الخبر، مثل : ما، لا، لات، إنْ، أو تنصب المبتدأ وترفع الخبر، مثل : إن وأخواتها، ولا النافية للجنس، وما ينصب المضارع، مثل : أنْ، لن، كى، إذن، لام التعليل، وما يجزم المضارع، مثل : لم، لما، لام الأمر، لا الناهية، إنْ، إذ ما، ومنها ما يستخدم بأكثر من دلالة فى أبواب متفرقة، مثل (إذا) شرطية وفجائية و (ألا، وأما) للتنبيه، والتحضيض، والعرض، والاستفهام، و (لا) نافية مهملة، ونافية عاملة عمل ليس، عاطفة، ناهية، نافية عاملة عمل إنَّ و (لو) شرطية ومصدرية، و (لولا) للتحضيض، العرض، الشرط، و (الواو) للقسم والجر والعطف والمعية قبل الاسم والفعل، للحال، للاستئناف، وعلامة رفع، وللجمع، و (الهمزة) للاستفهام والنداء والتسوية، و (إذ) لإفادة الزمان والتعليل وللمفاجأة، و (أى) للنداء والتفسير، و (حتى) للجر، ونصب المضارع، والعطف، وللابتداء، و (الفاء) للسببية، للعطف، وواقعة فى جواب الشرط، وخبر المبتدأ، وزائدة، و (النون) للتوكيد والوقاية وعلامة رفع للنسوة، و (يا) للنداء والتنبيه والتعجب، و (أنْ) مصدرية ومخففة من الثقيلة ومفسرة وزائدة، و (إنْ) شرطية ونافية عاملة عمل ليس ومهملة وزائدة، و (اللام) حرف جر وللأمر وللتعليل والجحود وموطئة للقسم وللابتداء وفارقة وواقعة فى جواب القسم أو جواب الشرط، و (ما) موصولة ومعرفة تامة مع نعم وبئس، ونكرة تامة مع التعجب وشرطية واستفهامية وهى فى كل هذه الحالات اسمية، وتكون حرفية نافية وزائدة ومصدرية. وغير ذلك من هذه المورفيمات التى تؤدى وظائف عدة بدلالات مختلفة وأثر إعرابى متفاوت. ولا يفوتنا أن تشير إلى أن هذه المورفيمات متنوعة كذلك من حيث تركيبها بين ما يكون على حرف واحد، أو على حرفين، أو ثلاثة أو أربعة أحرف .

الخاتمــة

حاولت هذه الدراسة - قدر استطاعتها وطاقتها - أن توضح بعض القضايا التى تتصل بالمورفيم من حيث الظروف التى أدت إلى ظهوره والاهتمام به والإفاضة فى الحديث عنه، مع وجود بعض الصعوبات التى تعترضه أثناء التطبيق أحياناً، فتتبعت المصطلح بتفسير معناه ومكوناته، ثم توضيح أنواع المورفيم والوسائل التى يعبر بها عن المعنى، ومدى صلاحية استخدامه فى مجال العربية كلغة لها مكانتها بين لغات البشر، وقد أمكن رصد هذه المجموعة من النتائج على النحو التالى :

- بدا من الصعب تحديد ماهية الكلمة، ووضع تعريف دقيق لها، للتفاوت بين كل لغة وأخرى، وصعوبة تحديد الحد الأدنى لوجود الكلمة، واستقلاليتها وتعبيريتها وترتيب عناصرها، وهى أمور قد لا تتفق فيها لغة مع لغة أخرى .

- ربما كانت صعوبة تعريف الكلمة، وعدم الاتفاق على أدنى حد لها من العوامل التى حملت على صرف النظر عن الاعتماد على الكلمة كوحدة للتحليل الصرفى، ودعت للبحث عن وحدة أخرى تكون أكثر قبولاً لتعريفها وتحديدها، كما تكون أكثر صلاحية وإفادة فى هذا التحليل، لقد كانت هذه الصعوبة حافزاً للمتهمين بالدرس اللغوى إلى محاولة العثور عن مفهوم آخر للدلالة على أقل العناصر اللغوية التى يتوسم فيها أن تكون وسيلة دقيقة للتحليل اللغوى، ويبدو أن جهودهم تكللت بالاتفاق على أن الوحدة التى يمكن أن تتخذ أساساً لهذا التحليل يمكن تسميتها بالمورفيم Morpheme .

- يعد مصطلح المورفيم واحداً من ملامح النظام الجديد لتقعيد القواعد،

وسيلة لتصنيف الأنواع النحوية التى ربما تشمل جميع اللغات، أو على الأقل تعطى نتائج مرضية فى وصف معظم اللغات .

- ليس استخدام المورفيم عنصراً للتحليل اللغوى يخلو من صعوبات، فالقول بأنه وحدة صغرى ذات معنى يواجه بصعوبة من الناحية العملية، وهى أن المورفيم يجب أن يكون عنصراً مادياً، أى يكون جزءاً من السلسلة الكلامية حاملاً للمعنى، ومن الناحية الأخرى فإن القدرة على تحليل العنصر الصوتى موضع شك مما يجعلها - أى الوحدة المورفيمية - فى الوقت نفسه توحى بمعان متباينة تبايناً واضحاً. ومع ذلك فلا يزال المورفيم أداة صالحة للاستخدام يمكن الاستفادة منها فى التحليل الصرفى، كما أنه أيسر قبولاً للتعريف المحدد .

- يتكون مصطلح المورفيم نفسه من مورفيمين : الأول : morph اليونانية الأصل، بمعنى شكل أو صورة أو صيغة، وتعنى Form الإنجليزية. والثانى : eme - وهو لاحقة تعد مورفيماً مقيداً، قد تفسر بأنها تفيد الاسمية، ويقابلها فى العربية (يَّة) وقد تفسر بأنها تدل على الوحدة من باب إطلاق الصفة على الموصوف، وربما تفسر بأنها تدل على الضآلة فى العنصر أو قلة المبنى .

- يستخدم الأمريكيون للدلالة على عناصر أو أجزاء الكلمة مصطلح ال : morpheme و Formant ، والأوربيون يستخدمون إما ال : Morpheme وإما ال : Formants ويفضل بعضهم استعمال مصطلح Formant للمورفيم الحر، مخصصين مصطلح مورفيم للنوع المتصل أو المقيد أو الذى يمكن أن يوصف بأنه يدل على فكرة إضافية .

- علم اللغة الوصفى يفضل مصطلح مورفيم Morpheme على المصطلحات

التقليدية، مثل : النهايات التصريفية، والجذر، والأصل، كما يفضل مصطلح Formant ويرجع ذلك إلى شمول المصطلحين للفكرة القديمة عن الجذر واللاحقة ولكن مصطلح المورفيم كتب له الشيوع فى الاستخدام .

- تنوعت وسائل نقل المصطلح إلى العربية بين التعريب والترجمة إلى الوحدة الصرفية، والترجمة الجزئية إلى : صَرْفيم أو صيغم. ويفضل البحث استخدام مصطلح المورفيم والإبقاء عليه، لأنه مع عجمته أكثر مرونة أو تصرفاً من دوال النسبة أو عامل الصيغة .

- يتحقق المورفيم فى ضوء ما يأتى : بساطة الصيغة، دقة التقسيم للصيغة حتى لا يقع التشابه بين صيغة وأخرى، وبين عنصر وآخر، ولو جزئياً فى الترتيب أو التتابع الصوتى أو الدلالة .

- يؤدى كل من عنصر الترتيب والتنغيم والاختيار أو الانتقاء دوراً هاماً فى إبراز المورفيم .

- الفونيم والمقطع هما العنصران الأساسيان فى التحليل الفونولوجى، والمورفيم والكلمة هما العنصران الأساسيان اللذان يدرسهما الصرف والنحو. وفى مقابل ما يسمى بالفون بالنسبة للفونيم توجد وحدة أساسية أو مادة خام هى المورف بالنسبة للمورفيم .

- تتقارب تعريفات اللغويين للمورفيم ويمكن إيجازها فيما يلى :

أ - المورفيم أصغر وحدة ذات معنى تربط بين الأفكار التى يتكون منها المعنى العام للجملة .

ب- هذه الوحدة قد تكون عنصراً صوتياً، وقد تكون كلمة أو جزءاً من كلمة يدل على معنى معين، ومحاولة تقسيم هذا الجزء إلى أقل من ذلك تفقده المعنى .

- ثمة مورفيمات يكون التقسيم فيها في ضوء الوحدة الأصغر أو الأقل التى تكون ذات معنى أمراً ممكناً، وهناك مورفيمات غير قابلة للتقسيم، والإصرار على تقسيمها يفقدها معناها، على سبيل المثال من الإنجليزية : Strange إذا قسمت إلى Str و ange ومن العربية أقلام إذا قسمت إلى : «أق» و «لام» فلا يكون لأى جزء معنى، فالكلمة كاملة مورفيم قائم بذاته .

- الشكل الصوتى للمورفيم غير حاسم فى معرفة المورفيم، إذ لا يتوقف عليه التفريق بين مورفيم وآخر، مثل : Z علامة للجمع فى boys و Z علامة الملكية فى men's room و Z يشير إلى ضمير المفرد الغائب فى He run's Fast ، فهى تتماثل صوتياً، ولكنها تمثل ثلاثة مورفيمات متنوعة، لاختلافها فى المعنى. وشبيه بهذا كلمات مثل : bear حيوان، و bear يحمل أو يقدم هدية، و bear عارٍ أو سافرٍ ووسيلة التغلب على ذلك هو السياق، فهو خير ما يزودنا بمعلومات عن مورفيم ما .

- هناك عدد من عناصر التعبير عن المعنى ذات صلة قوية بالمورفيم، فهى تحمل نوعاً ما من المعنى، أو على الأقل تؤدى وظيفة فى إطار الأبنية التى تتكون منها، وقد يتعدى تأثيرها حدود البنية إلى التركيب فى الجملة مما يؤدى بقيمة تلك العناصر وأهميتها فى النظام اللغوى، وهى نوعان : صوتية مثل : الفونيم والمقطع والموقع والنبر والتنغيم والفاصل، وصرفية مثل : الصيغة والاشتقاق والزوائد .

- إذا كان ينظر إلى المورفيم على أنه وحدة فى علم القواعد (صرفية ونحوية) فإن الفونيم ينظر إليه على أنه وحدة فى النظام الصوتى، ولا يجب النظر إليها على أنها مجرد صوت كلامى أو لغوى، بل يجب النظر إليها باعتبارها أصواتاً لغوية لها وظيفتها التى تؤديها، فالفونيمات ذات

علاقة وثيقة بالمورفيمات، وتعد مدخلاً هاماً لدراستها، ولا يستطيع أحد إنكار قيمتها وأثرها فى دلالة الكلمة، وليس لأى نظام لغوى أن يهملها .

- المقطع يؤثر فى نوعية الفونيم، فهناك فونيم مقطعى وهو الذى يكون مقطعاً بمفرده، وهناك فونيم غير مقطعى، هو الذى لا يكون مقطعاً بمفرده.

- لا يتطابق المورفيم أو يتماثل مع المقطع، فليس هو المقطع، ولكن ربما يكون المورفيم مقطعاً، وربما يكون عدة مقاطع .

- الأصوات ليست حرة فى توزيعها، بل توجد قيود عليها، فبعضها يكون فى أول الكلمة، وبعضها يكون فى وسطها، وبعضها يكون فى آخرها، والمورفيمات فى أية لغة توجد دائماً مصنفة فى مجموعات ذات خصائص توزيعية خاصة، وخاصية التوزيع تجعل المورفيم يتخذ مواضع ثابتة فى إطار بنية الكلمة، وكل معنى ناتج عن مورفيم ما يخضع لترتيب معين لهذا المورفيم .

- النبر يرتبط بالصوت، والصوت يكون مكوناً من مكونات الكلمة، فهو إذاً موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع فى الكلمة وفى المجموعة الكلامية .

- الصيغة عنصر صرفى فى مجال الدرس الصرفى، وهى تساعد فى الأعم الأغلب على تحديد الباب أيضاً، ذلك لأن معناها الوظيفى هو المورفيم، فالصيغة الصرفية تؤدى دوراً هاماً فى التعرف على معنى المورفيم..

- إذا كان المورفيم وحدة صرفية ذات وظيفة أو دلالة معينة، يقوم على دراسة ما يكون حراً من الوحدات، وما يكون مقيداً منها، وإذا كان الاشتقاق باعتماده على المادة الأصلية أو الجذر يميز الوحدة الصرفية الحرة، عن الوحدات الصرفية المقيدة، فإن العلاقة بينهما تبدو موحدة فى الهدف

من حيث التركيز على الجذور أو ما يمكن تسميتها بالمورفيمات الحرة، وينفرد المورفيم بالتركيز على الملحقات أو الزوائد الوظيفية ذات المعانى باعتبارها مورفيمات مقيدة .

- تقوم الزوائد أو الملحقات أو اللواصق بدور وظيفى لا علاقة له بالمعجم، وتتحدد معانيها الوظيفية فى إطار دراسة النحو والصرف، وهى تؤدى وظيفتها على محورين : صرفى يتعلق ببنية الكلمة، ونحوى باعتبار أنها تتأثر بالموقع والتركيب .
- ينقسم المورفيم من حيث الحرية فى الاستخدام إلى حر ومقيد، ومن حيث شكله والوظيفة التى يؤديها والمعنى الذى يأتى من أجله فهو متعدد ومتنوع، منه ما يكون للعدد والجنس والشخص والزمن . . . الخ (راجع الفصل الثالث) .
- تتمتع اللغة العربية باعتبارها واحدة من اللغات بخواص تحليلية ودمجية ولصقية عند استخدامها للمورفيمات، فلا توجد لغة معينة تتبع كلياً أحد الأنواع السابقة، بل قد تستخدم اللغة الواحدة كل الأنواع السابقة، ولكن تكثر فيها واحدة من هذه الخواص أو أكثر، ومن ثم تستحق أن تنسب إلى نوع أو أكثر .
- تبدو قيمة المورفيم كعنصر صوتى يمكن عن طريقه التمييز بين أبنية الأسماء المجردة وكذلك أبنية الفعل غير المزيدة، كما يكون وسيلة للتمييز بين الفعل الرباعى (أَفَعلَ) واسم التفضيل (أَفْعَلُ). وكذا المصادر خاصة الدال على المرة والدال على الهيئة مع التاء المربوطة فى كل منهما .
- مورفيم الألف عنصر مميز لاسم الفاعل من الثلاثى، والميم مع الواو عنصران مميزان لاسم المفعول من الثلاثى، كما يعد عنصر حركة الفتح والكسر لما قبل الحرف الأخير عنصراً مميزاً لاسم الفاعل من اسم المفعول

من غير الثلاثي. وفي بقية المشتقات يبدو أثر الحركة كعنصر صوتي فاعل في التمييز بين الأبنية .

- يؤدي المورفيم المقيد دوراً أساسياً في مجال الفصائل الصرفية، كفصيلة الجنس أو النوع والعدد والتعريف والتنكير، كما تؤدي دوراً هاماً في مجال الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة .

- ففي فصيلة الجنس أو النوع تتعدد المورفيمات الدالة على التأنيث، فتشمل التاء والألف المقصورة، والألف الممدودة والياء، وهي مورفيمات تختلف شكلاً ولكنها من طبيعة صوتية واحدة، ولا تكون في أول الاسم ولا تكون حشواً، بل تكون ملحقة في نهايته، باستثناء المورفيمات التي تأتي في أول الفعل المضارع مع مفرد المؤنث الغائب. وهذه المورفيمات الدالة على التأنيث لازمة للاسم المؤنث، ولازمة للفعل دلالة على تأنيث الفاعل، فالفعل لا يؤنث، ولكون التأنيث معنى لازماً لا يصح انتقاله عنه إلى غيره لزمه المورفيم الدال على التأنيث .

- من المورفيمات الدالة على التأنيث أيضاً الكسرة لكاف وتاء المخاطبة كِ، تِ، وهو مورفيم صوتي .

- وفي فصيلة العدد تتميز فئة المفرد بخلوها من أي مورفيم، مخالفة لفئة المثنى والجمع، إذ ليس في الإفراد مشكلة. وتتحقق التثنية بزيادة مورفيمين هما : (ان) و (ين)، فالألف والياء علامتان للمثنى بالإضافة إلى كونهما علامتي إعراب، ويؤدي مورفيم الحركة دوره في التفريق بين المثنى والجمع، إذ يفتح ما قبل الياء في المثنى، ويكسر ما قبل الياء في الجمع .

- لا يعد مورفم التثنية وسيلة تمييز المذكر من المؤنث، أو العاقل من غير

العاقل، فالتثنية يستوى فها ما يعقل ومالا يعقل . . . والمذكر والمؤنث فيها سواء، ولذا فهى أوسع من الجمع، ولاتساعها عن الجمع جعلوا الألف الخفيفة فى التثنية الكثيرة، وجعلوا الواو الثقيلة فى الجمع القليل، ليقل فى الكلام ما يستثقل، ويكثر ما يستخف .

- لا يعرف المورفيم الدال على الجمع نوعاً من التوحّد، إذ هناك أنواع متعددة للجموع، ومنها ما يلزم صفة الثبات، مثل : جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم، وهذان النوعان لاحظ أن المورفيم الدال على الجمع يلحق الاسم المراد جمعه بشروط معينة، مما يقلل من عدد الأبنية المجموعة، فما لا يتوافر أى شرط لا يجمع .

- فيما عدا هذين النوعين يتخذ الجمع فى العربية صوراً متعددة بصيغ مختلفة وأوزان متنوعة، ومن ثم يختلف المورفيم الدال على الجمع فى كل نوع، بل ويختلف فى إطار النوع الواحد، مثل جمع التكسير المتنوع بين القلة والكثرة، ومنتهى الجموع، وجمع الجمع، ويكون الجمع على أسماء تكون مفردة فى شكلها، وتحمل معنى الجمع، مثل : أسماء الجموع، وأسماء الجنس، وأسماء مجموعة لا واحد لها من لفظهما، وفى ذلك دليل على أن المورفيم الدال على الجمع لا يعرف شكلاً ثابتاً .

- فى جمع المذكر يزاد مورفيماً (ون) و (ين) ويلاحظ أن مورفيم الواو دل على العدد والنوع، بالإضافة إلى أنها حرف إعراب مع الياء، وجاء مورفيم النون فى المثنى والجمع عوضاً عن التنوين فى المفرد .

- مورفيم (ات) فى جمع المؤنث موحد، وهو مد صوتى من نوع آخر لجأت إليه اللغة، ومورفيم التاء مع دلالته على التأنيث هو حرف إعراب تتبادل عليه علامات الإعراب .

- السابقة (ال) مورفيم خاص بتعريف الأسماء، وقد يؤدى وجوده فى بعض الكلمات إلى وجود وظيفة نحوية، كما يحدث عند دخولها على اسم الفاعل والمفعول. كما أن مورفيم التنوين خاص بالاسم المتمكن فى الإعراب، وهو يلحق آخر الأسماء، وزيادته تكون لدلالة محددة، كالتمكن والعوض والمقابلة والتنكير .

- تبنت اللغة العربية نظاماً مورفيمياً خاصاً بالشخص، وهو ما يعرف بالضمائر، وجعلته يتوزع توزيعاً ثلاثياً من حيث المتكلم والمخاطب والغائب، ويتوزع توزيعاً ثنائياً من حيث المذكر والمؤنث والبروز والاستتار والاتصال والانفصال .

- لوحظ فى إطار الفعل قلة المورفيمات التى تتصل بالأفعال عن المورفيمات التى تتصل بالأسماء. فهناك مورفيمات تلحق الفعل للتوكيد، ومورفيمات تزاد للدلالة على تحديد الفاعل ونائبه، كما أن هناك مورفيمات تزاد للدلالة على معان صرفية محددة، وزيادتها تؤثر فى تركيب الجملة، مثل اللزوم والتعدى مع اختلاف درجات الأخير .

- المورفيمات التى تتصل بالأفعال ذات دلالة صرفية ووظيفة نحوية، على حين أن التى تتصل بالأسماء ذات دلالة صرفية باستثناء ما يتصل بالمشتقات الصرفية العاملة عمل الفعل المضارع فتكون مؤدية للوظيفة النحوية بالإضافة إلى المعانى الصرفية. وفى هذا الصدد نذكر مورفيم التثنية والجمع المذكر، فحين تتصل الألف والنون، والواو والنون بالأسماء، فكل من الألف والواو يدل على الكم بالإضافة إلى كونه حرف إعراب، والنون عوض عن التنوين فى المفرد وفق أحد الآراء، وحين تتصل الألف والنون، والواو والنون بالأفعال، فكل من الألف والواو يؤدى وظيفة

نحويةٍ، لكونهما يشغلان وظيفة الفاعل، وتعد النون حرف إعراب، ففى ثباته علامة للرفع، وفى عدم وجوده علامة على النصب والجزم .

- تبدو قيمة المورفيمات التى تتمثل فى الأدوات والحروف النحوية فى كونها وظيفية، لتأثيرها فيما تتصل به، وهذا التأثير قد يظهر فى الذى يليه مباشرة، أو يمتد إلى غيره فى التركيب، وليست هذه المورفيمات كلها تختص بالأسماء فقط، أو الأفعال فقط، بل منها ما يختص بالاسم، ومنها ما يختص بالفعل، ومنها ما يكون مشتركاً، كما أن هذه المورفيمات ليست كلها حرفية، بل منها الاسمية ومنها الحرفية، كما تتنوع الدلالات وتختلف من مورفيم إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى. وإن كانت تشترك كلها فى كونها حرة ومقيدة، لوجودها منفصلة بذاتها أحياناً، ولكنها تعجز عن تحقيق دلالة معينة إلا إذا اتصلت بغيرها .

- وأخيراً لا يعنى استخدام المورفيم وحدة للتحليل اللغوى عدم وجود صعوبات فى الاستعمال أو عند التطبيق، إذ فى الحقيقة يصادف الدارس كثير من الصعوبات عند التطبيق على الأبنية الفعلية والاسمية المجردة، ومع بعض المشتقات التى يشترك فيها أكثر من مشتق، مثل : مختار، مختل ومحتل، لاسم الفاعل والمفعول من غير الثلاثى ويضاف إليهما المصدر الميمى واسم الزمان والمكان من غير الثلاثى أيضاً، أو المصدر الميمى واسم الزمان والمكان من غير الثلاثى، مثل : فعال، مقام، مسار ونحو ذلك، ومثل اسم الفاعل من الفعل الثلاثى المعتل الوسط الذى يحتمل الأصل الواوى واليائى، مثل : قال ← قولاً، قال ← قيلاً ← قائل، قار ← قوراً ← قار ← قيراً ← قائر، إذ يصعب استخدام أى عنصر يميز الأصل الواوى من اليائى، وليس من وسيلة إلا السياق .

المصادر والمراجع

أولاً : العربية :

د. أحمد مختار عمر

- البحث اللغوى عند العرب - ط٢ / ١٩٨٧ - عالم الكتب - القاهرة .

الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد ٢٨٢-٣٧٠ هـ)

- تهذيب اللغة - تحقيق د. عبد الحليم النجار - مراجعة محمد على النجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

برجشتراسر

- التطور النحوى - بعناية د. حمدى البكرى - المركز العربى للبحث والنشر - القاهرة - ١٩٨١ .

أبو البقاء (أيوب بن موسى الحسينى الكفوى ١٠٩٤ هـ = ١٩٨٣)

- الكليات - مقابلة ووضع فهارس د. عدنان دروش، محمد المصرى - ط ١٩٩٣/٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

د. تمام حسان

- اللغة العربية معناها ومبناها ١٩٧٣ - الهيئة المصرية العامة - القاهرة .
- مناهج البحث فى اللغة ١٩٧٩ - دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب.

ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ)

- الخصائص - تحقيق/ محمد على النجار - دار الهدى - بيروت - لبنان (د. ت) .
- المحتسب - تحقيق على النجدى ناصف ود. عبد الفتاح اسماعيل شلبى - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٦٩ .

- سر صناعة الإعراب - تحقيق د. حسن هندى - ط١/ ١٩٨٥ - دار القلم - دمشق .
- المنصف شرح التصريف للمازنى - تحقيق : إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين - مكتبة مصطفى البابى - مصر - ط١/ ١٩٥٤ .
- علل التثنية - تحقيق د. صبيح التميمى ومراجعة د. رمضان عبد التواب ١٩٩٢ - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة .

د. حلمى خليل
- الكلمة ١٩٨٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .

ابن خالويه (الحسين بن أحمد ت ٥٢٩ هـ)
- ليس فى كلام العرب - تحقيق أحمد عبد الغفور - ١٩٧٩ - مكة المكرمة

الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٥ هـ)
- العين - تحقيق د. مهدى المخزومى، د. إبراهيم السامرائى - الدار الوطنية بغداد ١٩٨٥ .

الرضى (رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى ت ٦٨٦ هـ)
- شرح الشافية - تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد وآخرين - دار الفكر - القاهرة ١٩٧٥ .
- شرح الكافية ١٩٨٥ - دار الكتب العلمة - بيروت .

ريمون طحان
- الألسنية العربية (٢) - ط٢/ ١٩٨١ - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - لبنان .

الزبيدى (السيد محمد مرتضى١٢٠٥ هـ)
- تاج العروس - دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازى (د.ت).

الزمخشرى (أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ)
- المفصل - دار الجل - بيروت - لبنان - ط٢ (د.ت) .

ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل ت ٣١٦ هـ)
- الأصول فى النحو - تحقيق د. عبد الحسين الفتلى ط٢/١٩٨٧ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .

ابن سنان (محمد عبد الله بن محمد بن سعيد)
- سر الفصاحة - تحقيق على فوده - ط١/١٩٣٢ - الخانجى - القاهرة.

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ)
- الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون ١٩٧٧ - الهيئة المصرية - القاهرة.

السيوطى (أبو الفضل عبد الرحم ب الكمال أبو بكر جلال الدين ٨٤٩-٩١١ هـ / ١٤٤٥-١٥٠٥م)
- الأشباه والنظائر - تحقيق طه عبد الرءوف ١٩٧٥ - مكتبة الكلات الأزهرية - القاهرة .
- المزهر - تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ١٩٨٦ - المكتبة العصرية صيدا - بيروت .
- همع الهوامع - تحقيق عبد السلام هارون، د. عبد العال سالم ١٩٧٥ - دار البحوث العلمية - الكويت .

د. صبحى الصالح
- دراسات فى فقه اللغة - ط١١/١٩٨٦، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .

د. عبد الصبور شاهين
- فى علم اللغة العام- ط٥/١٩٨٨ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

- المنهج الصوتى - ط١/١٩٧٧ - مكتبة دار العلوم - القاهرة .

د. عبد القادر الفاسى الفهرى

- اللسانيات العربية - نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق - بحث منشور بالكتاب المعنون بـ «تقدم اللسانيات فى الأقطار العربية المسجل لوقائع ندوة جهوية - الرباط - ابريل ١٩٨٧ من ص١١ إلى ص٤٠ .

عبد القاهر الجرجانى (ت٤٧١ أو ٤٧٤)

- دلائل الإعجاز - قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ١٩٨٤ - الخانجى بالقاهرة .

د. عبد الكريم مجاهد

- الدلالة اللغوية عند العرب ١٩٨٥ - دار البيضاء - عمّان - الأردن .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣-٢٧٦ هـ)

- أدب الكاتب - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - ط٤/١٩٧٦ - المكتبة التجارية بالقاهرة .

القزوينى (جلال الدين محمد بن عبد الرحيم)

- التلخيص فى علوم البلاغة - ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقى، ط٢/١٩٣٢ - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله ٦٠٠-٦٧٢ هـ)

- شرح التسهيل - تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوى المختون - ط١/ ١٩٩٠ - هجر - القاهرة .

المبرد (أبو العباس محمد بن زيد ٢١٠-٢٨٥ هـ)

- المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٩ هـ .

د. محمد حلمى هليِّل
- دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللسانى فى الوطن العربى - بحث منشور بالكتاب المعنون بـ «تقدم اللسانيات المسجل لوقائع ندوة جهوية - الرباط ١٩٨٧ - من ص ٢٨٧ إلى ص ٣٣٤ .

محمد عبد الخالق عضيمة
- المغنى فى تصريف الأفعال - ط٣/ ١٩٦٢ - دار الحديث بالقاهرة .

د. محمد على الخولى
- معجم علم اللغة النظرى - ط١/ ١٩٨٢ - مكتبة لبنان - بيروت - لبنان .
- الأصوات اللغوية ١٩٩٠ دار الفلاح - عمَّان - الأردن .

د. محمد فتيح
- فى الفكر اللغوى - ط١/ ١٩٨٩ - دار الفكر العربى - القاهرة .

د. محمود فهمى حجازى
- علم اللغة العربية (مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية) ١٩٧٣ وكالة المطبوعات - الكويت .

د. محمود السعران
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربى) دار الفكر العربى بالقاهرة (د.ت) .

ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد ت ٧١١ هـ)
- لسان العرب - دار المعارف - مصر (د.ت) .

د. نايف خرما
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة - عالم المعرفة ١٩٧٨ - الكويت .

ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ت ٧٦١)
- أوضح المسالك - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - بيروت - لبنان .

ابن يعيش (موفق الدين يعيش ب على ت ٦٤٣ هـ)
- شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت (د.ت) .

ثانياً : المترجمة

استيفن أولمان
- دور الكلمة فى اللغة - ترجمة د. كمال بشر ١٩٨٧ - مكتبة الشباب - القاهرة .

دى سوسير
- دروس فى الألسنية العامة - ترجمة صالح القرمادى وآخرين - الدار العربية للكتاب بتونس العاصمة، طرابلس بليبيا ١٩٨٥ .

ديفيد ابروكرومبى
- مبادئ علم الأصوات العام - ترجمة د. محمد فتيح - ط١/١٩٨٨ - مطبعة المدينة - القاهرة .

فندريس
- اللغة - ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠ .

ماريو باى
- أسس علم اللغة - ترجمة د. أحمد مختار عمر - ط٢/١٩٨٣ - عالم الكتب - القاهرة .

مالمبرج

- الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمي هليّل ١٩٩٤ - عين للبحوث والدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالهرم - الجيزة - مصر.

ماييه

- علم اللسان - ترجمة د. محمد مندور ضمن كتاب النقد المنهجي عند العرب.

ثالثا : الأجنبية :

- Andrew Spencer, Morphological Theory, Cambridge, first published 1991, Reprinted 1992.
- Bloomfield, Language, London , First published 1935 .
- Frank Palmer, Grammar, Cambridge, first published 1971 .
- H.A. Gleason, An Introduction to descreptive Linguistics, 1967.
- Hockett, C.A Course In Modern Linguistics, Macmillan., 1958.
- John Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambrige University Press, 1968.
- Matthews, Morphology, Cambridge, 1974.
- Oswald Ducrot and Tzventan Todorov, Encyclopedic Dictionary of the sciences of language, Translated by Catherine Porter, University Press, London (without date).
- Raja, T. Naser, The Essential of Linguistic Science, Longman Group limited first published 1980.
- Raja, T. Naser, The Teaching of English to Arab students, Longman. 1980.
- Scott, F.S., et. al., English Grammer : A Linguistic Study of its Classes and Structures, Heinemann Educational Books, 1900.

ظواهر الغموض ووسائل رفع اللبس
فى التراكيب العربية
دراسة فى ضوء التراث النحوى

د. مأمون عبد الحليم وجيه

قد يعتور بعضَ التراكيبِ أحياناً خللٌ دلالىٌ أو تركيبىٌ ، فيؤثر عليها سلباً ، ويُلقى بها فى دائرة اللبس والغموض وعدم الوضوح . وقد اهتم هذا البحث بدراسة هذه الظاهرة فى محاولة للوصول إلى عدة أهداف أهمها :

١- تحديد أهم الأسباب المؤدية إلى وقوع اللبس .

٢- تحديد أهم مواطن اللبس ومظاهره فى الدرس النحوى .

٣- تحديد الوسائل التى استعانت بها العربية لرفع اللبس .

وقد اعتمدت مادة هذا البحث - فى المقام الأول - على كتب التراث النحوى والصرفى بدايةً من " سيبويه " وانتهاءً "بالسيوطى". واعتمدت كذلك على بعض الكتب الحديثة فى الدراسات النحوية واللغوية فى اللغتين العربية والإنجليزية كما هو موضح فى هوامش البحث وقائمة مراجعه .

وجاء هذا البحث مشتملاً على تحديد مفهوم اللبس وأسبابه . واهتم كذلك بتحديد ودراسة الوسائل التى استخدمتها اللغة العربية لرفع اللبس .

أولاً : – مفهوم اللبس وأسبابه :

"اللبس" و"الغموض" و"الإبهام" من المصطلحات المتداولة فى الدرس النحوى ، وغالباً مايستخدمها النحويون بمعنى واحد يدور حول التداخل والاختلاط وعدم الوضوح ، فهى مصطلحات مترابطة متشابكة من حيث الدلالة ،إذ "اللبس" Ambiguity هو الاختلاط والاشتباه [1]، والغموض Obsecurity هو الخفاء وعدم الوضوح [2]، ومثلهما الإبهام فهم يقولون " كلام مبهم لايعرف له وجه يؤتى منه .. يقال أمر مبهم إذا كان ملتبساً لايعرف معناه [3]

وقد استخدم "سيبويه" (ت -180 هـ) مصطلح "اللبس" بنفس المعنى المذكور حيث يقول: " ولايبدأ بما يكون فيه اللبس ، وهو النكرة ، ألا ترى أنك لو قلت : كان انسان حليماً ، أو كان رجل منطلقاً ، كنت تلبس لأنه لايستنكر أن يكون فى الدنيا إنسان هكذا ، فكرهوا أن يبدءوا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبراً لما يكون فيه هذا اللبس " [4] .

وقد فرّق بعض اللغويين المحدثين فى مجال علم الدلالة Semantics بين مصطلحى "اللبس" و"الغموض" ، حيث يرى بعضهم أن "اللبس" يتعلق بالتراكيب التى تحتمل أكثر من دلالة نظراً لاحتمالها أكثر من تركيب فى بنيتها العميقة Deep Structure أى أن هذا المصطلح يطلق بصفة خاصة على اللبس الناشئ نتيجة لأسباب تركيبية .

---

(1) انظر:لسان العرب لجمال الدين بن منظور،طبعة مصورة عن طبعة بولاق،مادة "لبس" جـ 8 ص 88

(2) انظر : لسان العرب مادة غمض جـ 9 ص 63 ، 64 .

(3)لسان العرب مادة " بهم " جـ 14 ص 323 .

(4) الكتاب لسيبويه : تحقيق عبد السلام هارون ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979 م ، الطبعة الثانية جـ 1 ص 48 .

وأما الغموض فيطلق على اللبس الناشئ عن تعدد احتمالات التفسير نتيجة لأسباب معجمية كالاشتراك اللفظى Polysemy مما يؤدى إلى تعدد الاحتمالات الدلالية ، ومن ثم يقع التركيب فى دائرة الغموض وقد ذكر بعض اللغويين أن "اللبس" يمكن تصنيفه باعتبار أسبابه العامة إلى نوعين[1] هما:

أ- اللبس المعجمى Lexical Ambiguity

وهو اللبس الناشئ عن تعدد دلالة الكلمة نحو : رأيت عيناً

فهذه جملة ملبسة نظراً لوقوع كلمة " عيناً " فى دائرة ما يسمى بالمشترك اللفظى Polysemous لأنها تطلق على عدة معان منها حاسة البصر والرؤية، وينبوع الماء ، والجاسوس ، والذهب ، وطائر أصفر البطن أخضر الظهر ، وأحد حروف الهجاء وغير ذلك[2] ، وكل هذه المعانى قائمة محتملة فى المثال المذكور ، وليس فى التركيب من حيث دلالة منطوقه ما يرجح دلالة على أخرى ؛ ولذا وقع التركيب فى دائرة اللبس المعجمى ، وهو لبس يقع فى العربية وفى غيرها من اللغات الأخرى أى أنها ظاهرة مشتركة ، ومن قبيل ذلك فى الإنجليزية

They passed the port at midnight

إذ تقع الجملة فى دائرة اللبس المعجمى نظراً لتعدد دلالة كلمة " Passed " فهى قد تعنى : " ناول " وقد تعنى " مرَّ على " أو " جاوز " وتستعمل كلمة Port بمعنى " ميناء " وهى أيضاً اسم نوع من الخمر ، ومن ثم فالمحتوى الدلالى للجملة لايمكن فهمه من خلال المنطوق وحده ، وإنما يفهم المقصود

---

(1) See : Crystal , D. , A Dictionary of Linguistic and Phonetics, p . 17

(2) انظر : لسان العرب مادة " عين " ، جـ 17 ص 175 185

بتلك الكلمات الملبسة أو التى يكتنفها الغموض من خلال السياق الذى قيلت أو كتبت فيه الجملة [1] .

ب- اللبس النحوى Grammatical Ambiguity

وهو الناشئ عن تعدد دلالة الجملة نظراً لاحتمالها أكثر من تركيب فى بنيتها المقدرة نحو : ضربت محمداً راكبا

إذ تعتور هذه الجملة دلالتان :

الأولى : ضربت محمداً وأنا راكب .

الثانية : ضربت محمداً وهو راكب .

أى أن كلمة " راكباً " تحتمل أن تكون حالاً من الفاعل،أو من المفعول به ،مما يؤدى إلى وقوع الجملة فى دائرة اللبس النحوى الناشئ عن أسباب تركيبية.وتستعين العربية لرفع اللبس فى مثل هذه التراكيب بالقرائن الحالية أو المقالية أى بدلالة السياق على المقصود[2]. ومن قبيل ذلك أيضاً تلك المسائل أو الجمل الملبسة تركيبياً التى أوردها "المبرد" فى كتابه "المقتضب" على أنها من قبيل التمارين التى يمتحن بها الطلاب[3]لمعرفة قدرتهم على فهم وبيان الوجوه النحوية المتعددة التى يحتملها التركيب مثل :

أعجبنى ضرب الضارب زيداً عبد الله

حيث يجوز نصب " عبد الله " باعتباره مفعولاً به . ويجوز رفعه على اعتباره فاعلاً . ومعنى ذلك أن الجملة تحتمل أكثر من تركيب ؛ ومن ثم تتغير دلالتها بتغير الوظائف النحوية التى تؤديها مفرداتها .

---

(1) See : Lyons, J .(1995) , Linguistic Semantics . P . 266 .

(2) انظر : شرح المفصل لابن يعيش جـ2 ص 55 ، 56 وشرح الكافية للرضى جـ 2 ص 200 .

(3) انظر : المقتضب للمبرد جـ 1، ص 151 .... 164 ، جـ3 ص 105 ، 106 ، جـ4 ص 54 ، 56.

وقد علق " الفارقى " على توجيه هذه المسألة قائلاً : " إذا قلت : أعجبنى ضَرْبُ الضاربِ زيداً عبدَ الله يكون " أعجبَ " فعلاً ماضياً ، و" النون والياء " اسم المتكلم فى موضع نصب ، " وضَرْبُ " فاعل " أعجب " ، و" الضارب " فاعل الضرب ، وهو مضاف إليه ، وفى " الضارب " ضمير فاعل يعود إلى "الألف واللام " ، و "زيداً" مفعول الضارب ، وهو آخر صلته ، و"عبدَ الله " ، مفعول الضرب كأنك قلت :

أعجبنى ضربُ زيدٍ عبدَ الله

فتجعل موضع "الضارب" اسماً مفرداً ؛ لينكشف لك معناه،ويكون"الضارب " حينئذٍ فى تأويل فاعل لفظه مجرور ، ومعناه مرفوع .

ويجوز أن ترفع "عبدُ الله " على أنه فاعل الضرب ، ويكون "الضارب" مفعوله ، فيكون على هذا لفظه مجروراً ، ومعناه منصوباً[1] " .

ومن هذه المسائل ماهو شديد التداخل والتعقيد ، ومنها ماتتعدد احتمالاته التركيبية تعدداً يصعب ضبطه وإحصاؤه نحو :

سيرَ بزيدٍ فرسخينِ يومينِ

حيث علق "الفارقى" على هذا التركيب قائلاً : " فى هذه المسألة على مافيها من الترتيب مائة وستة وستون وجهاً يتوجه إليه السؤال ويصح عنه الجواب . والفائدة بأحدها غير الفائدة بالأخرى جائزها وممتنعها[2] " .

وقد ألَّف"الفارقى"كتاباً مستقلاً لشرح هذه المسائل المشكلة التى أوردها "المبرد" فى كتابه"المقتضب"،والتى بلغت تسع عشرة مسألةً،وسمَّى "الفارقى" كتابه "تفسير المسائل المشكلة فى أول المقتضب" وهو مطبوعٌ متداول .

---

(1) تفسير المسائل المشكلة فى أول المقتضب للفارقى ، تحقيق د . سمير أحمد معلوف ، ط . معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، 1993 م ص 71 ، 72 .

(2) تفسير المسائل المشكلة للفارقى ص 412 .

وجدير بالذكر أن للَّبس على جهة التفصيل أسباباً عديدة يمكن الإشـارة إلى أهمها فيما يلى :

(1) اختلال نظم الكلام ، وتعقد طرق رصـفه وصيـاغته ، واضطراب تعلق بعضه ببعض ، ووقوع التناقض بين أجزائه .

(2) تعدد الاحتمالات التركيبية للجملة مما يؤدى إلى تعدد احتمالات دلالتها .

(3) تعدد دلالة الكلمة حقيقة أو مجازاً .

(4) التشابه فى الصيغ والأبنية مما يؤدى إلى وقوع التداخل والاختلاط .

(5) نقص التفصيلات المخصصة للعام أو المقيدة للمطلق ؛ والتى يُفتقر إليها لتحديد المراد على نحو دقيق .

(6) استخدام بعض الصور البلاغية كالاستعارة والتورية وإرادة الإلباس للتعمية على السامع أو القارئ لغرض بلاغى .

(7) استخدام بعض صور الحذف أو الفصل أو التضمين فى بعض التراكيب

(8) ارتباط المعنى بسياقات خارجة عن إطار النص لكنها ترتبط بـه وتؤدى دوراً هاماً فى تحديد الدلالة وبيان المقصود ومن ثم يترتب علـى عدم الإحاطة بها الوقوع فى دائرة اللبس .

ثانياً : وسائل رفع اللبس

لكل لغة طرائقها الخاصة التى تستعين بها على إبانة المعانى ومعالجة اللبس وإزالتـه ، وقـد اعتمـدت العربيـة علـى مجموعـة مـن الوسـائل لرفـع اللبـس الواقـع أو المتوهـم فـى بعـض تراكيبهـا ، وفيمـا يلـى تفصيـل – فـى ثمانية مباحث – يتناول هذه الوسائل ودورها فى رفع اللبس .

المبحث الأول : العلامـة الإعرابيـة Case - ending

تندرج اللغة العربية ضمن دائرة اللغـــات المعربة Case Language

إذ تعد ظاهرة الإعراب Parsing من الظواهرالمشتركة Universal بين عـدد من الغات ،.ولكل لغة حالاتها الإعرابية Cases التى قد تتفق أو تختلف مـع غيرها من اللغات المعربة.فاللغة العربية مثلاً بها ثلاث حالات إعرابية هى :

1- حالة الرفـع Nominative case

2- حالة النصب Accusative case

3- حالة الجــر Genitive case

وتعد ثلاثيـة الإعـراب فـى اللغـة العربيـة امتـداداً لظـاهرة الإعـراب الموجودة فى اللغـة السامية الأولـى[1] بينمـا تتمـيز كـل مـن اللغـة اللاتينيـة والتركية بست حالات إعرابية [2] .

وتقوم هذه الحالات الإعرابية بأداء وظيفتها فى التفريق بيـن الوظـائف النحوية ، وتحديد الأدوار الدلالية داخل التراكيب المختلفة ، ومن ثم يتضـح المعنـى المـراد بـلا لبــس أ و خفــاء . وقد استُخدمت علامــاتُ الإعـراب Case endings فى اللغـة العربيـة كوسيلة لرفـع اللبـس بيـن المعـانى التـى تعتور الأسماء.حيث تُحدد هـذه العلامـات فـى كثـير مـن التـراكيب الوظـائف النحوية لمكونات التركيب؛لأنـها تسند إلـى كـل مكـون وظيفـة نحويـة معينـة مثل الفاعلية أو المفعولية ، وتشير هذه الوظائف النحـوية Grammatical functions فــى الغـالـب إلى أدوار دلالية Semantic roles محددة ؛ ومن ثم

---

(1) انظر : علم اللغة العربية مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية د. محمود فهمى حجازى ص 144

(2) هذه الحالات فى اللاتينية هى : حالة الفاعلية Nominative case ، وحالة المفعولية Accusitive case وحالـة الإضافـة Genitive case ، وحالـة النـداء Vocative case وحالـة المفعولية غـير المباشرة Dative case وحالة المفعول فيه Ablative case، ونفس الحالات موجودة فى اللغة التركية ماعدا النداء Vocative فلا يعد حالة إعرابيـة فى التركيـة والحالـة السادسـة عندهم هى حالـة المكانيـة Locative case .

انظر : Blake, B . J. , Case . P. 2 , 3 , 4

يرتفع اللبس ويزول الغموض الذى قد يكتنف التركيب عند ترك هذه العلامات [1]، يؤكد ذلك أنك إذا قلت : ضربْ زيدْ بكرْ

بتسكين " زيد " و " بكر " لم يُعلم عندئذٍ من الضارب ومن المضروب ؟ ومن ثم يصبح التركيب غامضاً ملبساً ، ولكنك إذا أظهرت حركة الإعراب على أواخر الأسماء نحو : ضربَ زيدٌ بكراً

برفع " زيد " ونصب " بكر " زال اللبس واتضح المعنى ، لأن " ضمة " زيد تشير إلى أنه " فاعل " و" فتحة" بكر تشير إلى أنه " مفعول به " .

وكذلك تقوم علامات الإعراب بمنع التداخل ورفع " اللبس " بين أنماط أسلوبية ذات تراكيب متشابهة ودلالات مختلفة ، يؤكد ذلك أنك إذا قلت :

ما أحسنْ زيدْ

دون إعراب لكان التركيب غامضاً ملبساً ، إذ لايستطيع القارئ أو السامع عندئذ تحديد دلالة التركيب ومراده ؛ نظراً لوقوعه فى دائرة الإبهام والشيوع وله أن يتساءل : أهو تعجب أم نفى أم استفهام ؟

ولكن إذا ظهرت حركة الإعراب على " أحسن " و " زيد " زال اللبس واتضح المعنى لأنك إن قلت : ما أحسنُ زيدٍ ؟

برفع " أحسن " ، وجر " زيد " انصرف المعنى إلى الاستفهام ليس غير ، وإن قلت : ما أحسنَ زيداً

بفتح نون " أحسن " ، ونصب " زيد " انصرف المعنى إلى التعجب ، وإن قلت : ماأحسنَ زيدٌ

بفتح نون أحسن ، ورفع " زيد " انصرف المعنى إلى النفى .

---

(1) انظر : الخصائص لابن جنى جـ1 ص 35 ، وشرح المفصل لابن يعيش جـ1 ص 49 ، ص 51 وشرح الكافية للرضى جـ1 ص 17-20 ، وهمع الهوامع للسيوطى جـ1 ص 15

وهكذا تؤدى العلامات الإعرابية دوراً هاماً فى إزالة الغموض ورفع اللبس فى كثير من التراكيب العربية مما جعل السيوطى يعلق على قيمة الإعراب وأهميته ذاكراً أنه " الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام ولولاه ماميّز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت،ولاتعجب من استفهام ولا صدر من مصدر[1]،ولا نعت من تأكيد"[2]

المبحث الثانى : السياق Context

يُعَدُّ السياقُ من أهم الوسائل التى يستعان بها لمنع اللبس وإزالة الإبهام والغموض فى بعض التراكيب ، وأعنى بالسياق كل ما يرتبط بالنص أو التركيب من ظروف وملابسات ومؤثرات قد تساعد على فهمه وكشف معانيه أى أنه يشمل دلالة سياق المقال وأعنى به دلالة النص أو مايسميه الأصوليون دلالة المنطوق" وهى الدلالة المستفادة من اللفظ من حيث النطق به"[3]ويشمل كذلك دلالة سياق الحال Context of situation . حيث يقدم لنا سياق المقال أو المنطوق دلالة السياق اللغوى للألفاظ من خلال تضامها داخل التركيب،وتبرز قيمة هذا السياق وأهميته فى قيامه بربط التراكيب أو النصوص بعضها ببعض بالإضافة إلى مايقدمه من معلومات

---

(1) يقصد بالصدر هنا الفعل،لأنه صادر عن المصدر ومأخوذ منه على مذهب الخليل،وسيبويه،وجميع البصريين. انظر: تفسير رسالة أدب الكتاب،لأبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى، تحقيق د . عبد الفتاح سليم،ط.معهد المخطوطات العربية، 1993 م ، ص 123 ، 124 .

(2) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، ومحمد على البجاوى ، طبعة دار التراث جـ 1 ص 327 ، 328 .

(3) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير لابن النجار تحقيق د . محمد الزحيلى ، د . نزيه حماد ، نشر مكتبة العبيكان بالرياض 1993 جـ 3 ص 473 .

تتعلق بالخصائص الصوتية والنحوية والدلالية للألفاظ . وهى خصائص تفرض قيودها على السياق وتحدد طبيعته ، إذ لكل لفظ خصائصه الانتقائية Selective features التى تحدد نوعية وشكل مايجاوره من ألفاظ أخرى ، فالفعل المتعدى لمفعول واحد مثلاً يتطلب بعده كلمتين إحداهما فاعله والأخرى مفعوله ، ولابد فى الكلمة الأولى أن تكون حاملة للخصائص والصفات التى تؤهلها للقيام بدور الفاعل دلالياً ، كالقدرة على إيقاع الحدث والقيام به ، ولابد فى الثانية أن تكون صالحة للقيام بدور المفعولية . بينما يكتفى الفعل اللازم بكلمة واحدة صالحة للقيام بوظيفة الفاعل ، ومن ثم تقوم هذه الخصائص الانتقائية السياقية بدور كبير فى فهم النص وتحديد دلالته . وكذلك يقدم لنا " سياق الحال " معلومات هامة عن الخلفية غير اللغوية للكلام أو النص . حيث يوقفنا على طبيعة الزمان والمكان الذى كتب فيه النص أو وقع فيه الحدث الكلامى . ويطلعنا على نوعية المشاركين فيه ونشاطهم وثقافاتهم ومدى تأثير ذلك على فهم النص ودلالته [1] . ومن ثم يحتاج فهم أى نص أو تركيب إلى تلاحم ظاهر النص أو دلالة المنطوق مع غيره من السياقات المختلفة فى نسيج واحد بغية الوصول إلى تحديد المعنى والإبانة عن المقصود ، وكثيراً مايتوقف فهم بعض التراكيب وتحديد دلالتها بدقة على مدى الإحاطة بالسياق اللغوى أو الاجتماعى أو الثقافى أو الدينى أو غير ذلك من السياقات الخاصة بالجماعة اللغوية ، وكثيراً ما تفرض هذه السياقات قيوداً معينة على الاستعمال اللغوى ومن ثم فلا يمكن فهم النص

(2) See :Crystal , D . (1987) The Cambridge Encyclopedia of Language , p . 48 ....52 .

إلا فى ضوئها ، وسأبين فيما يلى بعض المواطن التى يقوم فيها السياق بدوره فى منع اللبس وتحديد المعنى المقصود .

(1) تحديد دلالة المشترك

قد يؤدى " الاشتراك " فى بعض الصيغ إلى تداخل المعانى مما يؤدى إلى وقوع اللبس والإبهام وعندئذ يتحتم تحديد الدلالة ورفع اللبس من خلال السياق ، كما يتبين من خلال النقاط الآتية :

(أ) تحديد دلالة حروف المعانى

تناول النحاة حروف المعانى ودلالاتها المتعددة وسنتخير من ذلك حديثهم عن " أو " وأنها تستخدم للدلالة على عدد من المعانى مثل : الإباحة ، والتخيير ، والتقريب ، والشك ، والإيهام ، والتفصيل وغير ذلك [1] بيد أن تحديد دلالتها فى كل تركيب يتوقف على الإحاطة بسياق المقال الذى وردت فيه ، وكذلك على الإحاطة بسياق الحال الذى يبين الظروف والملابسات والأحوال والثقافات والمتغيرات التى تحيط بالتركيب وتؤثر على دلالته يؤكد ذلك أنك إذا قلت : تزوّج هنداً أو أختها

لم يستطع أحد من خلال ظاهر التركيب أن يجزم بدلالة محددة لـ " أو " . أهى للإباحة أم للإبهام أم للتخيير أم ..؟ إذ كل الاحتمالات قائمة ممكنة، ولايوجد فى ظاهر التركيب ما يرجح احتمالاً على غيره،وهنا تظهر قيمة "سياق الحال " فى إزالة الإبهام وحسم الدلالة إذ يتعين بمقتضاه كون " أو " فى التركيب السابق للتخيير ليس غير،ولايمكن أن تكون للإباحة ؛ لأن

---

(1) انظر : شرح المفصل لابن يعيش جـ 8 ص 99 ، 100 ، وشرح الكافية للرضى جـ 2 ص 369 ، 370 ، 371 ، ومغنى اللبيب لابن هشام جـ1 ص 61 .... 67 .

الإباحة يجوز فيها الجمع بين الأمرين ،والاقتصار على أحدهما [1]، والجمع بين الأختين محرم شرعاً ، فتعين كونها للتخيير ، وعندئذٍ يكون السياق الدينى الموجود فى المجتمع هو المحدد لدلالة " أو " ومن ثم يرتفع اللبس الذى يعتور مثل هذا التركيب .

(ب) تحرير دلالة الأبنية (الصيغ) المشتركة :

قد تلتبس صيغة " اسم المفعول " من غير الثلاثى بصيغة " المصدر الميمى " ،" واسم الزمان والمكان"من غير الثلاثى. فكلمة" مُزْدَجَر" مثلاً تصلح أن تكون اسم مفعول،أو مصدراً ميمياً،أو اسم زمان أو مكان،فإذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾ [2] فإن كلمة "مزدجر"حال انفصالها عن سياقها تعتورها جميع الاحتمالات السابقة،إلا أن تفسيرها هنا طبقاً لمقتضيات السياق يحكم بكونها مصدراً ميمياً ؛لأنه الأنسب لمعنى الآية.إذ المعنى ولقد جاءهم من الأنباء مايزجرهم ويردعهم،وعليه فالأنسب لـ " مزدجر"كونها بمعنى"ازدجار" أى أنها مصدر ميمى وليست اسم زمان أو مكان أو مفعول .

وكذلك تتداخل المعانى فى الصيغ المحايدة وذلك نحو: " مختار " و "مرتاد"وما شاكل ذلك من الكلمات التى يلتبس فيها اسم الفاعل باسم المفعول،نظراً لصلاحية الصيغة لكلا الوصفين،وعندئذ يكون"السياق"هو الوسيلة الوحيدة لرفع اللبس وتحديد المراد .

وجدير بالذكر أن اعتماد العرب على دلالة السياق واتكاءهم عليه جعلهم لايبالون أحياناً بالتباس بعض الصيغ ، إذ اللبس مدفوع عندئذٍ بدلالة

---

(1) انظر : شرح الكافية للرضى جـ 2 ص 370

(2) سورة القمر آية 4 .

السياق على المقصود يقول"المازنى":"وبعض العرب لايبالى الالتباس فيقول: قد كِيْدَ زيد يفعل كذا وكذا،وما زِيْلَ يفعل كذا وكذا،يريدون كاد وزال"[1]

وبناء " كِيْد " و " زِيْل " من " كاد " و " زال "، يلتبس بصيغة " فُعِل " المبنية للمجهول نحو قيل وبيع إلا أنهم فعلوا ذلك اتكاء على دفع السياق لهذا اللبس ، لأن " كاد " لاتستلزم بعدها اسماً منصوباً على المفعولية ومن ثم فلا تُبْنى للمجهول.ولذا قال "ابن جنى" تعليقاً على كِيْد و زِيْلَ :"ولم يخافوا التباسه " بفُعِلَ " لأنك لاتقول : كِدتُ زيداً يقوم ، ومازلت زيداً يقوم فيُخاف أن يلتبس " كيد زيدٌ يقوم ، ومازيل زيد يقوم بـ " فُعِلَ " منه "[2] .

وقد أكدّ " ابن جنى " أن " السياق " هو الذى يُعوّل عليه لتحديد دلالة الصيغ أو الألفاظ الملبسة حيث يقول:" وهذا باب واسع جداً؛وإنما يعتمد فى تحديد الغرض فيه بما يصحب الكلام من أوله،أو آخره،أو بدلالة الحال فإن لها فى إفادة المعنى تأثيراً كبيراً،وأكثر ما يعتمدون فى تعريف ما يريدون عليها "[3]

(2) تحرير المحذوف والزائد

(أ) تحرير المحذوف : يكاد النحويون يتفقون على إجازة حذف ما يُفهم من السياق متى أُمِنَ اللبس.والنحو العربى مفعم بالأمثلة الدالة على ذلك مثل إجازة حذف المبتدأ،والخبر،والحال، وجواب الشرط،وجواب القسم وغير ذلك متى دلت على المحذوف قرينة حالية أو مقالية،ولم يؤد الحذف إلى خلل فى التركيب،أو لبس فى الدلالة،ومن قبيل ماحذف لدلالة المقال عليه حذف المبتدأ فى نحو : " بخيــرٍ "

---

(1) المنصف لابن جنى جـ 1 ص 252 .

(2) المنصف لابن جنى جـ 1 ص 253 .

(3) المنصف لابن جنى جـ 1 ص 255 .

إجابة لمن سألك.كيف أنت ؟ وقد سَّوغَ حذفَ المبتدأ هنا الاكتفاءُ بدلالة السؤال عليه .

ومن قبيل ما حذف لدلالة الحال عليه حذف الصفة فى نحو :

سِيْرَ عليه ليل

قال " ابن جنى " : " وهم يريدون : ليل طويل ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لِمَا دلّ من الحال على موضعها . وذلك أنك تحسّ فى كلام القائل لذلك من التطريح والتفخيم والتعظيم مايقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك ، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته ، وذلك أن تكون فى مدح إنسان والثناء عليه فتقول : كان والله رجلاً ، فتزيد فى قوة اللفظ " بالله " هذه الكلمة وتتمكن فى غطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، أى رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك ، وكذلك تقول سألناه فوجدناه إنساناً وتمكن الصوت بإنسان وتفخّمه فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك : إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك "[1] . وقد ذكر " ابن يعيش" فى معرض حديثه عن المبتدأ والخبر أن الأصل التصريح بهما " إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغنى عن النطق بأحدهما فيحذف لدلالتها عليه ، لأن الألفاظ إنما جئ بهما للدلالة على المعنى،فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لاتأتى به ويكون مراداً حكماً وتقديراً،وقد جاء ذلك مجيئاً صالحاً"[2] وكثيراً ما نجد فى كتب النحويين عند تعليلهم لبعض المحذوفات بعض التعليقات مثل :"محذوف لدلالة السياق عليه"،و"محذوف للعلم به"،و"محذوف لدلالة غيره عليه " .

وقد ذكر " الزركشى " أن من شروط الحذف " أن تكون فى المذكورة دلالة على المحذوف. إمّا من لفظه أو من سياقه وإلا لم يُتَمكّن من معرفته،

---

(1) الخصائص لابن جنى جـ 2 ص 370 ، 371

(2) شرح المفصل لابن يعيش جـ 1 ص 94 .

فيصير اللفظ مخلاً بالفهم ، ولئـلا يصير الكلام لغزاً فيهجّن فـى الفصاحـة وهو معنى قولهم لابد أن يكون فيما أُبقى دليل على ما أُلقى ، وتلـك الدلالـة مقالية وحالية "[1] .

(ب) تحرير الزائد :

تحدث النحويون فى أبواب متفرقة من كتبهم عن الأحرف الزائدة التـى يتم إقحامها بيـن ثنايا بعض التراكيب.وهذه الأحرف يسميها البصريـون" زيادة " و " لغوا "، ويسميها الكوفيـون " صلة " و" حشواً " .

وقد ذكر النحويون أن الزيادة لابد لها من قرائن تحددهـا حتـى يستقيم المعنى ويمتنع اللبس،وهنا تبرز قيمة "السياق" كقرينـة محدّدة للزيـادة ممـا يؤدى إلـى زوال اللبس أو الغموض الذى يكتنف ظـاهر التراكيب بسببها والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألاّ يقدرون على شئ من فضل الله ﴾ "[2].

والمراد : ليعلم ..... و " لا " زائدة ، ودلالتها على النفى هنا غير مرادة ، وذلك بناء على ما يقتضيه سياق الآية ويستلزمه ، إذ قبلها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمتـه، ويجعل لكم نـوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾[3] وبعدها قولـه تعالى:﴿ وأنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾"[4]

فالسياق يؤكّدُ أن الله يُبيّن للكافرين ويُعلمُهم أن الفضـل بيده ، وأنهـم لايملكون من ذلك شيئا ، ومن ثم فـإعلام الكافرين فـى الآيـة هو المقصود

---

(1) البرهان فى علوم القرآن للزركشى جـ 3 ص 111

(2) الحديد آية 28 .

(3) الحديد آية 28 .

(4) الحديد 29

وليس نفيه، ولذا علق" سيبويه" على الآية ذاكراً أن " لئلا يعلم : " فى معنى لأن يعلم "[1]. ونقل " الزركشى"عن" الشلوبين" أنه " لايمكن أن تحمل الآية إلا على زيادة " لا " فيها ، لأن ماقبله وما بعده يقتضيه " [2].

ومن قبيل ذلك أيضاً قوله تعالى مخاطباً إبليس :

﴿ ما منعك ألاَّ تسجد إذ أمرتك ﴾" [3]

والمراد ما منعك أن تسجد،و"لا" زائدة،وذلك ما يقتضيه سياق المقال والحال هنا ؛لأن الله قد أمر إبليس بالسجود فىآيات كثيرة كقوله تعالى:﴿ وإذ قلنا للملائكةاسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ [4]

وقد سأله عن علة عدم سجوده فى قوله :

﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾[5]

ومن ثم فهذه القرائن السياقية تشير إلى أن"لا " فى الآية زائدة غير مرادة وسَوغ زيادتها فهم المعنى المقصود ووضوحه من خلال السياق.وبذلك يتضح أن الزيادة فى مثل هذه التراكيب مرهونة أو مشروطة بقدرة السياق على ضبط دلالة التركيب وإبانة معناه المراد بلا لبس أو غموض .

المبحث الثالث : تقييد الترتيب Restricted word order

عندما يطلق مصطلح الترتيب word order فى الدرس اللغوى فإنه يعنى ترتيب المكونات التى تقوم بأداء الوظائف النحوية داخل الجملة كالفعل والفاعل والمفعول ..الخ [6]

---

(1) الكتاب لسيبويه جـ 4 ص 22

(2) البرهان للزركشى جـ3 ص 79

(3) الأعراف 12

(4) سورة البقرة آية 34

(5) سورة ص آية 75

(6) See : Crystal , D . (1987) The Cambridge Encyclopedia of Language, P . 98

ولغتنا العربية حافلة بكثير من التراكيب التى يمكن تصنيفها على أنها تراكيب حرّةِ الترتيب Free word order ومن ثم توصف مكوناتها بأنها غير محفوظة الرتبة يؤكد ذلك ما تقرّر من جواز تقدّم أحد المكونات أو تأخرّه فى كثير من التراكيب نحو : زيد فى الدار ،أو فى الدار زيد حيث يتقدم المبتدأ أو يتأخر " جوازاً " .

ويجوز فى الجملة الفعلية أن تجرى على ترتيبها الأصلى[1] نحو :

ضرب محمد زيداً

حيث يتصدر الفعل ويليه فاعله فمفعوله .ويجوز فى مثل هذا التركيب أيضاً أن يتقدم المفعول على فاعله،بل وعلى فعله،تقدماً جائزاً.والجواز فى كل ذلك مرهون بأمن اللبس وسلامة التركيب.

وتحفل اللغة العربية أيضاً بعدد من التراكيب التى يمكن تصنيفها على أنها تراكيب ثابتة الترتيب Fixed word order ومن ثم توصف مكوناتها بأنها محفوظة الرتبة حيث يلتزم فيها التركيب بنمط تركيبى ثابت لايقبل التغيير.ومن قبيل ذلك وجوب تقدم الفعل على فاعله،والمضاف علىالمضاف إليه ، والموصول على صلته،والموصوف على صفته،والجار على المجرور.. الخ .

وجدير بالذكر أنه قد يترتب على حرية ترتيب بعض المكونات ذات الرتبة غيرالمحفوظة الوقوع فى اللبس والخلل وعندئذٍ تلجأ العربية إلى تقييدالرتبة غيرالمحفوظة. ويُستَخدم تقييدُالترتيب عندئذٍ كوسيلة فعّالة لرفع الغموض وإزالة اللبس الذى قد يعتورمثل هذه التراكيب .

---

(1) انظر : الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى جـ2 ص 84 .

وللترتيب المقيّد Restricted word order نمطان هما :

الأول : وجوب الترتيب الأصلي

بعض التراكيب العربية لاتسلم من اللبس إلا إذا التزم كلُّ مكوّنٍ فيها بموقعه الأصلى ويمكن بيان ذلك من خلال القضايا الآتية :

(1) وجوب تقدم المبتدأ

الأصل فى ترتيب الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ ويتأخر خبره ، وعلة ذلك أن المبتدأ " محكوم عليه ، ولابد من وجوده قبل الحكم ، فقصد فى اللفظ أيضاً أن يكون ذكره قبل الحكم عليه " [1]

ورغم ذلك فمخالفة الأصل فى الترتيب فى هذا الباب جائزة سائغة مالم تؤد إلى لبس فى الدلالة ، أو خلل فى التركيب ، وقد أشار" ابن مالك " إلى ذلك بقوله :

والأصل فى الأخبار أن تؤخرا وجوّزوا التقديم إذ لاضررا[2]

فإن أدى تقديم الخبر إلى وقوع اللبس وجب عندئذٍ تقييد حركة المكونات داخل الجملة الاسمية ، حيث يلزم كل مكون موقعَه كما فى الحالات الآتية :

(أ) إذا استوى المبتدأ والخبر فى التعريف أو التنكير

يوجب النحويون تقدم المبتدأ وتأخر الخبر حال استوائهما فى التعريف والتنكير نحو : زيد أخوك

إذ يجب فى مثل هذا التركيب أن يتقدم المبتدأ و يتأخر الخبر،وعلة ذلك خوف التباس الخبر بالمبتدأ حالة كونهما"معرفتين أو نكرتين متساويين فى التخصيص،ولاقرينة تميّز أحدهما عن الآخر .... فإن كلاً من هذين الجزأين

---

(1) شرح الكافية للرضى جـ 1 ص 88

(2) ألفية ابن مالك ص18 .

صالح لأن يُخبَر عنه بالآخر ، ويختلف المعنى باختلاف الغرض "[1] لأن المخاطب إذا كان يعرف " زيداً " بعينه واسمه ، ولا يعرف أنه أخوه ، وأردت أن تخبره بذلك قلت : زيد أخوك

فيكون الإخبار عندئذٍ بالقرابة المجهولة بالنسبة للمخاطب، ولايصح فى هذه الحالة أن تقول : أخوك زيد

وإذا كان المخاطب يعرف أن له أخاً ولا يعرفه على التعيين باسمه ، وأردت أن تعينه عنده قلت : أخوك زيد ، ولايصح لك أن تقول : زيد أخوك هذا هو المشهور "[2] .

وقد ذكر "ابن الخباز" أن بين "زيدأخوك" و"أخوك زيد" إختلافاً من جهتين : " أحدهما : أنَّ " زيد أخوك " تعريف للقرابة و" أخوك زيد " تعريف للاسم ، والثانى : أنَّ " زيد أخوك " لاينفى أن يكون له أخ غيره،لأنك أخبرت بالعام عن الخاص،و"أخوك زيد" ينفى أن يكون له أخ غيره؛لأنك اخبرت بالخاص عن العام،وهذامايشير إليه الفقهاء فى قولهم:"زيد صديقى"،و"صديقى زيد" [3]

وقدعلق "ابن مالك" على الخبر فى المثالين:زيد صديقك،وخير منك فقير إليك قائلاً:"تأخير الخبر فى هذين المثالين وأشباههما واجب،وتقديمه ممتنع لأن خبريته لاتعلم إلا بالتأخير،إذ لوتقدم لتبادر لذهن السامع الحكم بابتدائية المتقدم،وبخبرية المتأخر،وماذاك إلا لتساويهما،وعدم قرينة تصرف عن الظاهر"[4] ومن ثم فلا مناص من تقييد الترتيب هنا لإزالةأى لبس أوغموض

---

(1) شرح التصريح جـ1 ص 171 (2) شرح التصريح جـ 1 ص 172

(3) الأشباه والنظائر ، للسيوطى ، جـ 2 ص 293 ، 294.

(4) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ص 74 ، وانظر : المقتصد شرح الايضاح لعبد القاهر الجرجانى جـ 1 ص 306 ، وشرح الألفية لابن الناظم ص 114 وارتشاف الضرب جـ 2 ص 41 ، وأوضح المسالك جـ 1 ص 206 ، والمقرب لابن عصفور ص 92 ، والفوائد الضيائية للجامى جـ 1 ص 284 ، وهمع الهوامع جـ 1 ص 102 ، حاشية الصبان على شرح الأشمونى جـ 1 ص 210 .

(ب) إذا كان المبتدأ مفرداً وخبره فعلاً مسنداً إلى ضميره

لايجوز تقدم الخبر على المبتدأ – عند النحويين القدماء – فى نحو :

زيـــد قـــــام

وعلة تقييد الترتيب عندهم فى مثل هذا التركيب راجعة إلى منع التباس المبتدأ بالفاعل،ولذا ذكر" ابن الناظم" أن هذا النوع من التراكيب" لايجوز فيه تقديم الخبر،لعدم القرينة الدالة على إرادته،فإنك لو قلت : قام زيد،وخرجت هند كانت من باب الفعل والفاعل لأن اعتباره أقرب "[1] .

(2) وجوب تقدم الفاعل على المفعول :

يأتى الترتيب الأصلى للجملة الفعلية على هذا النمط :

فعل + فاعل + مفعول به

وقد علل النحويون ذلك بأن الفاعل كالجزء من الفعل ، ومن ثم وجب أن يكون بعده ، ولايتقدم عليه ، كما لايتقدم بعض الكلمة عليها ، وكذلك وجب فى الترتيب الأساسى أن يتقدم الفاعل على المفعول ، لأن الفاعل عمدة ، والمفعول فضلة ، إذ يحتاج كل فعل إلى فاعل ، ولايحتاج كل فعل إلى مفعول إلا إذا كان متعدياً ، ومن ثم كانت رتبة المفعول بعد فعله [2]، بيد أن هذا الترتيب لايلزم فى كثير من الأحيان حيث يتقدم المفعول على فاعله لضرب من التوسع والاهتمام ، فإن أدى تقدم المفعول إلى لبس وغموض وجب تقييد حركته والتزامه بموقعه منعاً للبس ، وذلك عند تعذر تمييز الفاعل من المفعول ، لكونهما من الأسماء المقصورة ، أو المضافة إلى ياء

---

(1) شرح الألفية لابن الناظم ص 115

(2) انظر : شرح المفصل لابن يعيش جـ 1 ص 75 ، 86 ، واللباب فى علل البناء والإعراب ، للعكبرى جـ 1 ص 148 ، 149 ، 150

المتكلم ، أو المبنية ، ومن ثم لاتظهر عليها حركات الإعراب ، فإن أضيف إلى ذلك عدم تحديد السياق لهما ، وخلو التركيب عندئذ من أى قرينة مغيِّنة لأحدهما وجب فى هذه الحالة تقييد حركة الفاعل والمفعول بإلزام كل منهما ترتيبه الأساسى لمنع اللبس [1] وذلك كما فى :

ضرب موسى عيسى

حيث يوجب النحويون فى مثل هذا التركيب كون المتقدم فاعلاً ،والمتأخر مفعولاً ليس غير منعاً للبس ولذا قال ابن مالك :

وأخر المفعول إن لبس حذر ....[2]

الثانى : وجوب مخالفة الترتيب الأصلى

قد تخضع حركة المكونات Constituents داخل الجملة لبعض القيود Constraints التى توجب مخالفة الترتيب الأصلىحرصاً على سلامةالتركيب من اللبس والغموض كما يتبين من خلال القضايا التى يصبح فيها التقديم أوالتأخير"واجباً" Obligatory لمنع اللبس كما هو الشأن فى الحالات الآتية:

(1) وجوب تقدم الخبر على المبتدأ :

يجب تقديم الخبر " Predicate " على المبتدأ " Subject " منعاً للبس فى الحالات الآتية :

(أ) إذا اتصل المبتدأ بضمير يعود على بعض الخبر

يوجب النحويون تقدم الخبر وتأخر المبتدأ فى نحو :

فى الحديقة صاحبها

---

(1) انظر : شرح الكافية للرضى جـ 1 ص 72 ، والتسهيل لابن مالك ص 78وشرح التصريح جـ 1 ص 281 ، وشفاء العليل جـ 1 ص 422 .

(2) ألفية ابن مالك ص 25

وعلة تقييد الترتيب هنا راجعة إلى منع وقوع اللبس الذى قد ينشأ نتيجة للإضمار قبل الذكر عند تقدم المبتدأ.ومن ثم لايجوز : صاحبها فى الدار نظراً لاتصال المبتدأ بضمير مبهم غير محدد،لأنه لم يُسبَق بما يفسره، مما يؤدى إلى وقوع التركيب فى دائرة اللبس والغموض بسبب تأخُرِ مُفَسِّرِ الضمير فى مثل هذه الحالة ، ولذا قرر النحويون أنه لايجوز أن يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة[1] كما فى المثال الذى سبق ذكره،وقد عولجت هذه التراكيب بفرض بعض القيود على حركة مكوناتها ، ولذا وجب تقدم الخبر على المبتدأ فى كل تركيب يتصل فيه المبتدأ بضمير يعود على بعض الخبر [2] منعاً للغموض واللبس .

(ب) إذا كان المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة :

يتقدم الخبر وجوباً فى نحو : عندى فرس ، ولى مال

وعلة تقدم الخبر هنا راجعة إلى خوف التباس الخبر بالصفة" [3] حال تقدم المبتدأ فى مثل هذه التراكيب نحو : مال لى

حيث يتوهم قارئ هذا التركيب أوسامعه أن شبه الجملة " لى " فى موضع رفع صفة لـ " مال " ، وأن الخبر لم يذكر بعد فقد يكون المراد :

مال لى يدفعك إلى حبى

وفيه يكون " مال " مبتدأ و " لى " فى موضع رفع صفه للمبتدأ ، والجملة الفعلية خبر للمبتدأ ، وسوَّغ الابتداء بالنكرة مجيئها موصوفة ويحتمل هذا

---

(1) استثنى النحاة من ذلك سُبعة مواضع يعود فيها الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً انظرتفصيل ذلك فى الأشباه والنظائر للسيوطى جـ2 ص 52 .

(2) انظر : شرح الكافية جـ 1 ص 88 ، وهمع الهوامع جـ 1 ص 103 .

(3) انظر :شرح المفصل لابن يعيش جـ 1 ص 86 والمقتصد بشرح الايضاح لعبد القاهر الجرجانى جـ1 ص 308 .

التركيب أيضاً أن يكون جملة تامة مستقلة.وذلك إذا أراد المتكلم الإخبار عن المال بأنه كائن له.ولم يرد وصفه بشبه الجملة" لى".ولذا علل"ابن يعيش" وجوب تقدم الخبر فى مثل هذه التراكيب بأن" الظرف والجاروالمجرور قد يكونان وصفين للنكرة إذا وقعا بعدها،لأنه فى الحقيقة جملة من حيث كان متعلقاً باستقر وهو فعل،ويدل أنه جملة أنه يقع صلة،والصلات لا تكون إلا جملاً،وإذا كان كذلك فلو قلت : سرج تحت رأسى،أو درع على أبيه،أو .... درهم لى،لتوهم المخاطب أنه صفة،وينتظر الخبر، فيقع عنده لبس" [1]

(جـ) إذا كان المبتدأ " أنْ " المفتوحة وصلتها .

إذا وقعت " أن" المفتوحة وصلتها مبتدأ وجب تقديم خبرها ، لئلا تلتبس " أنْ " المفتوحة بـ " إنْ " المكسورة[2] نحو : فى ظنى أنك صادق

فـ " أن " وصلتها فى موقع رفع مبتدأ متأخر وجوباً ، لأنه لو تقدم لوجب كسر همزة " إن " لوقوعها فى صدر الكلام،وعندئذٍ تلتبس " أنْ " المفتوحة بـ " إن " المكسورة ، ولذا وجب تأخر الخبر فى مثل هذه التراكيب منعاً لالتباس " أنْ " المفتوحة بالمكسورة .

(2) وجوب تقديم المفعول على فاعله :

إذا اتصل الفاعل بضمير يعود على المفعول كقوله تعالى :

﴿ وإذ ابتلى ابراهيم ربُّه بكلمات .... ﴾ [3]

وجب تقدم المفعول على فاعله منعاً لللبس،إذ لو تقدم الفاعل"ربُّه"جرياً على الأصل فى الترتيب،لعاد الضمير المتصل به عندئذٍ على متأخر لفظا ورتبة .

---

(1)شرح المفصل لابن يعيش جـ 1 ص 86،وانظر:اللباب فى علل البناء والإعراب للعكبرى جـ 1ص 245

(2) انظر : شرح الكافية للرضى جـ 1 ص 99 ، ص 100 .

(3) سورة البقرة آية 124 .

وذلك غير جائز، بسبب ما يعتور التركيب عندئذٍ من إبهامٍ وغموض،إذ لو تقدم الفعل على فاعله فى الآية السابقة لأصبحت : وإذ ابتلى ربُّه إبراهيمَ وعندئذٍ يلتبس الأمر على السامع أو القارئ لأنه لايدرى علام يعود هذا الضمير المبهم الذى اتصل بالفاعل ولم يُسبق بما يُعينّه ويفسره ؟ ومن ثم التزمت هذه التراكيب ترتيباً ثابتاً،لا يجوز تغييره عند جمهورالنحويين منعاً للإبهام واللبس . بيدأن بعضهم مثل : " الأخفش" و" ابن جنى" و"ابن مالك" أجازوا تقدم الفاعل فى هذه التراكيب احتجاجاً بقول الشاعر :

جزى ربُّه عنى عدىَّ بن حاتم   جزاء الكلاب العاويات وقد فعل[1]

حيث تقدم الفاعل"ربُّ" وهو متصل بضمير يعود على المفعول المتأخر لفظاً ورتبة"عدى"،وأجاب الجمهورعن البيت بأنه من قبيل الضرورات الشعرية [2]

يتضح مما سبق عرضه وبيانه أن تقييد الترتيب يُعَد من الوسائل المستخدمة لرفع الغموض وإزالة اللبس فى بعض التراكيب العربية .

المبحث الرابع : الإقحام Insertion

وهو إدخال عنصر أو أكثر بين ثنايا بعض الكلمات أو التراكيب للقيام ببعض الوظائف التركيبية أو الدلالية مثل التوكيد ورفع اللبس،وهو من الظواهرالمشتركة Universal بين العربية وغيرها من اللغات كالإنجليزية .

وقد تحدث التحويليون Transformationalists كثيراًعن دورالعناصر

---

(1) نسب ابن جنى هذا البيت فى الخصائص جـ1 ص 294 للنابغة ، ونسبه البغدادى فى خزانة الأدب جـ1 ص 134 – 136 لأبى الأسود الدؤلى وهو من شواهد شذور الذهب لابن هشام ص 180

(2) انظر تفصيلات هذه المسألة فى : الخصائص ، لابن جنىجـ1 ص 293 ، 298 ، وشرح المفصل لابن يعيش جـ1 ص 76 ، وشرح الكافية للرضى جـ1 ص 72 ، وأوضح المسالك جـ 2 ص 25 ، والتسهيل لابن مالك ص 79 ، وشرح ابن عقيل جـ 1 ص 493 ، 479 ، وشرح التصريح جـ1 ص 283 ، وشفاء العليل جـ 1 ص 423 .

المقحمة Inserted elements مثل : be - en - by - it - there
وغير ذلك فى بناء الجملة الانجليزية ، فإذا أردنا أن نحول جملة :

The boy kicked the ball

إلى صيغة المبنى للمجهول فلابد من إقحام بعض العناصر مثل was , by ،
بالإضافة إلى تغيير الترتيب إلى : The ball was kicked by the boy
ويلاحظ أن هذه العناصر المقحمة لم تقدم أى إضافة دلالية جديدة إلى الجملة الإنجليزية،إذ لاتحمل هذه العناصرمعنى مستقلاً Independent meaning وإنما هى كلمات مفرغة دلالياً Semantically empty words تستخدم لغرض تركيبى أى لتأدية وظيفة نحوية Grammatical function خالصة ليس غير[1] .

ويلاحظ أن اللغةالعربية قداستخدمت"الإقحام"أحياناً لمنع وقوع اللبس، ولإزالةالإبهام والغموض الذى قد يكتنف بعض التراكيب،ويمكن بيان ذلك فيما يلى:

أ- إقحام ضمير الفصل:

ضمير الفصل ضمير منفصل مثل"هو وهى وهما وهم.....الخ ، والبصريون يسمونه"فصلاً"أو"ضمير الفصل"لفصله بين المتشابهات كالخبر والصفة،والكوفيون يسمونه دعامة؛ إذ يُعتمد عليه فى إبانة المعنى وتوضيح المقصود[2]وكثيراً ما يُقحم هذا الضمير بين المبتدأ والخبر،أو بين

(1) See : Akmajian , A and , Heny, F. An Introduction to the Principles of Transformational Syntax . p . 232

(2) انظر : الكتاب لسيبويه جـ2 ص 389، والجمل للزجاجى ص 142 ، وشرح المفصل لابن يعيش جـ 3 ص 110 ، 111 ، وشرح ابن عقيل جـ 1 ص 372،وارتشاف الضرب لأبى حيان جـ1 ص 489 ، وهمع الهوامع جـ 1 ص 68 ، وحاشية الصبان جـ 1 ص 282، 283 ، وظاهرة الفصل فى الجملة العربية دراسة تحليلية بين التراث والدرس اللغوى الحديث لمأمون وجيه ، ص 282 ، 283

ما أصله المبتدأ والخبر،لمنع التباس الخبر بالصفة،يؤكد ذلك أن تركيباً مثل

زيد القائم

يعتوره اللبس؛لاحتمالية كون " القائم "خبراً أو صفةً . فإذا ما أقحم ضمير الفصل بينه وبين " زيد " نحو : زيد هو القائم

ارتفع اللبس ، وتعيّن كون " القائم " خبراً لا صفة؛ لأن الضمير لا يوصف ، ولذا ذكر "سيبويه" أنك " إذا قلت : كان زيد الظريف

فقد يجوزأن تريدبالظريف نعتاً لزيد،فـإذاجئت بـ"هو" أعلمت أنها متضمنة للخبر"[1] وتابع "سيبويه" على ذلك كثير من النحويين فـأبو الحسن علىّ بن فضّال المجاشعى يؤكد أن لضمير الفصل دوراً هاماً فى رفع اللبس والتوهم ، حيث يدخل" ليفصل النعت من الخبر، ألا ترى أنك إذا قلت :

ظننت زيداً القائم

توهم السامع أن " القائم " نعت لزيد ، ويبقى ينتظر الخبر ، وإذا قلت :

ظننت زيداً هو القائم

زال هذا التوهم[2].

وبناء على ذلك فلضمير الفصل المقحم وظيفة هامة . وهى منع وقوع الالتباس بين المعانى.وليس له أى أثر على الناحية الإعرابية للتركيب، وقد أشار"سيبويه"إلى ذلك قائلاً:"واعلم أن ما كان فصلاً لا يغير مابعده عن حاله التى كان عليها قبل أن يذكر"[3]،ويقول أيضاً:"هو"وأخواتها هنا بمنزلة "ما"إذا

---

(1) الكتاب جـ 2 ص 388

(2) شرح عيون الإعراب لأبى الحسن على بن فضّال المجاشعى تحقيق د.عبد الفتاح سليم ص 133 وانظر : شرح ابن عقيل جـ 1 ص 372

(3) الكتاب جـ 2 ص 390

كانت لغواً فى أنها لاتغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر "[1] أى أن وظيفته هنا دلالية ليس غير .

(ب) إقحام نون الوقاية

تقحم نون الوقاية فى أنماط معينة من التراكيب لإزالة الإبهام ومنع وقوع اللبس ، ويمكن الإشارة إلى بعض وظائف نون الوقاية فيما يلى :

أولاً : رفع اللبس بين الاسم والفعل

يعد رفع اللبس بين الاسم والفعل من أهم الوظائف الدلالية التى تؤديها نون الوقاية كما يتضح من خلال المثالين التاليين :

ضَرْبِى زيداً إذ كان مسيئاً .

ضَرَبَنِى زيدٌ إذ كنت مسيئا .

فالجملة الأولى اسمية إذ " ضربى " مصدر أضيف إلى فاعله ، وهو ياء المتكلم . والجملة الثانية فعلية حيث تتكون" ضربنى " من الفعل الماضى " ضَرَبَ " ، ونون الوقاية ، وياء المتكلم الواقعة مفعولاً به .ولولا هذه " النون " لالتبس الفعل" ضَرَب " بالمصدر " ضَرْبٌ " ، لأننا لو حذفنا النون من الجملة الثانية لأصبحت على هذا الشكل : ضربى زيدٌ إذ كنت مسيئا بكسر باء الفعل لمناسبة الياء،وعندئذٍ يلتبس الفعل بالاسم نظراً لقبوله الكسر،وهو من خصائص الأسماء،وبمشاركته الاسم فى الصورة،ومن ثم تحتمل كلمة"ضرب"-بعد حذف نون الوقاية من ضربنى-أن تكون اسما أو فعلا،ولذا وجب إقحام"النون"بين الفعل وياء المتكلم؛ لمنع التباسه بالاسم

---

(1)الكتاب جـ 2 ص391،392،وانظر:المقتضب جـ 4 ص103وشرح المفصل لابن يعيش جـ3 ص 112

المضاف إلى ياء المتكلم،ولحمايته من الكسرالذى هو من خصائص الأسماء ،وقد أشار "سيبويه" إلى ذلك بقوله:"وإنما قالوا فى الفعل:ضربنى، ويضربنى،كراهية أن يدخلوا الكسرة فى هذه الباء كما تدخل الأسماء، فمنعوا أن يدخله كما مُنِع الجر "[1] .

ويقول "المبرد":"وتقول : غلامى،وهذا الضاربى، فيستويان فإذا قلت ضربنى زدت نوناً على المخفوض ليسلم الفعل؛لأن الفعل لايدخله جر ولا كسر ؛فإنما زدت هذه النون ليسلم؛لأن هذه الياء تكسر ما وقعت عليه"[2] ومن ثم يلتبس الفعل بالاسم كما بينت .

ويؤكد"السهيلى" أن إقحام"نون الوقاية"يؤدى إلى منع التباس الفعل بالاسم حيث يقول فى معرض حديثه عن " نون الوقاية " فإن قيل فما فائدة النون ؟ ولما خصت بهذا الموطن دون سائر الحروف ؟ فالجواب أنهم أرادوا فصل الفعل والحروف المضارعة له عن توهم الاضافة إلى " الياء " وكيلا يُظَنّ ببعض الكلم أنها أسماء مضافة،والاضافة فيها محال ، فألحقوها علامة الانفصال ، وعلامة الانفصال في أكثر الكلام هى النون الساكنة [3] وقد تحركت النون لئلا يلتقى ساكنان إذ الياء بعدها ساكنة .

ثانياً : رفع اللبس بين ياء المخاطبة وياء المتكلم

قد تقحم نون الوقاية فى بعض التراكيب لمنع التباس ياء النخاطبة بياء المتكلمكما يتبين من خلال المثالين : ياهندُ أكْرِمِى زيداً ، ويازيدُ أكْرِمْنِى

---

(1) الكتاب جـ 2 ص 369

(2) المقتضب للمبرد جـ 1 ص 383 وانظر : الأشباه والنظائر للسيوطى جـ 2 ص 291 ، 292

(3) نتائج الفكر فى النحو لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى ص 294 تحقيق د . محمد إبراهيم البنا دار الاعتصام .

فجملة"أكرمِى"فى المثال الأول تتكون من فعل الأمر"أكرم" وفاعله ياء المخاطبة.وجملة"أكْرِمنِى"فى المثال الثانى تتكون من فعل الأمر"أكرم"،ونون الوقاية،وياء المتكلم الواقعة مفعولاً به،وفاعله مستتر.ولو حذفت نون الوقاية فى المثال الثانى لجاء التركيب على هذا النحو : يا زيدُ أكْرِمِى بكسر الميم لمناسبة الياء،وعندئذٍ تلتبس ياء المخاطبة الواقعة" فاعلاً " فى المثال الأول بياء المتكلم الواقعة مفعولاً به فى المثال الثانى ، ومن ثم يلتبس المذكر بالمؤنث ، ولذا ذكر " ابن مالك " أن" النون " فى مثل هذا التركيب" تقى من التباس أمر المذكر بأمر المؤنث"[1] .

(ج) إقحام " لا " النافية الزائدة بعد واو العطف

لايجيز أكثر النحويين العطف بالواو على المنفى إلا بعد إقحام"لا" الزائدة بعد"واو العطف"[2] فلا يجوز : ماجاءنى زيد وعمرو

وإنما الجائز : ما جاءنى زيد ولا عمرو

وذلك لأن النفى فى: ماجاءنى زيد وعمرو،بدون " لا "المقحمة بعد " واو" العطف يعتوره احتمالان :

الأول : أن يقصد به نفى المجئ عن المعطوفين أى نفى المجيئين مطلقاً

الثانى : أن يقصد به نفى مجيئهما معاً،وعليه فـ"الواو"بمعنى"مع"،ومن ثم فالنفى مقيد بصورة محَدَّدة،وهى اجتماعهما فى المجئ،ولذا" ذهب " الرمانى " فى شرح الأصول إلى أنك إذا قلت : ماجاءنى زيد وعمرو

احتمل أن تكون إنما نفيت أن يكون اجتمعا فى المجئ "[3] وعليه فلا يمتنع مجئ أحدهما على غير هذه الصورة ومن ثم فإقحام " لا " فى مثل هذه

---

(1) همع الهوامع للسيوطى جـ 1 ص 64

(2) انظر : شرح الكافية جـ 2 ص 364

(3) شرح المفصل لابن يعيش جـ8 ص 137

الحالة ضرورى لرفع الإبهام وإزالةِ اللبس الناشئ عن تعدد الاحتمالات ، حيث تؤكد " لا " نفى الاحتمالات الثلاث [1] . أعنى نفى مجيئهما معاً . ونفى مجئ أحدهما قبل الآخر . فهى نص على " أن الفعل منفى عن المعطوفين حالة اجتماعهما وافتراقهما [2] ومن قبيل ذلك قوله تعالى :

﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم ﴾ [3]

حيث أقحمت"لا "بعد واو العطف لمنع اللبس ، ويقول السيوطى:" لو لم تدخل " لا " لاحتمل أن المراد نفى التقريب عند الاجتماع دون الافتراق "[4]

(و) إقحام " مِنْ " الزائدة قبل التمييز

يتم إقحام " من " الزائدة قبل التمييز فى بعض التراكيب لمنع التباس التمييز بالحال نحو : لله دره من فارسٍ

ولو حُذِفت " مِنْ " لأصبح التركيب : لله دره فارساً

وعندئذٍ تقع كلمة"فارسًا"بين احتمالية كونها حالاً أوتمييزاً،ولذا ذكر السيوطى"أن هذا الموضع ربما التبس فيه التمييز بالحال فأتوا بمن لتخلصه للتمييز " [5]

خامساً : منع الحذف

يجوز فى كثير من التراكيب العربية حذف بعض عناصرها أوأركانها تخفيفاً لدلالة السياق عليه ، حتى تقرّر عند النحويين أنّ كلّ مايُعلَم يجوز حذفه،ولذا قال ابن مالك :

---

(1) انظر : شرح الكافية للرضى جـ 2 ص 365

(2) همع الهوامع للسيوطى جـ2 ص 129

(3) سورة سبأ آية 37

(4) همع الهوامع جـ 2 ص 129

(5) الأشباه والنظائر للسيوطى جـ1 ص 339

وحذف ما يُعلم جائز كما   تقول زيد بعد من عندكما [1]

فإنْ أدّى الحذف إلى خلل فى التركيب أو الدلالة،كأنّ يؤدى إلى لبس أو غموض وجب عندئذٍ منعه صيانةً للدلالة ومنعاً للبّس،ويمكن الإشارة فيما يلى إلى بعض الأساليب التى استخدمت فيها العربية منع الحذف كوسيلة لمنع اللبس :

(أ) منع حذف حرف النداء قبل اسم الاشارة عند البصريين :

لا يجوز عند البصريين أن تقول : هـذا أقبل .وأنت تريد : ياهذا أقبل[2] وعلة المنع عندهم هى رفع اللبس،لأنّ"هذا"يستخدم فى الأصل للإشارة لغير المخاطب.والنداء لايكون إلا للمخاطب .ومن ثم فبين الاشارة،والنداء تنافر ظاهر.ومعنى ذلك أن نداء اسم الإشارة يخرجه عن أصله الذى وضع له، ويجعله مخاطباً،ولذا لزم حرف النداء وامتنع حذفه؛إذ هو القرينة الدالة على هذا الاستعمال الخاص فى هذه الحالة[3]،ولو حذف لأدى حذفه إلى التباس " الإشارة المقترنة بقصد النداء بالإشارة العارية عن قصد النداء "[4] وجدير بالذكر أن الكوفيين يجيزون حذف حرف النداء مع اسم الاشارة لورود السماع به [5]

---

(1) ألفية ابن مالك ، ط . مكتبة القاهرة ص 18

(2) انظر : الكتاب لسيبويه جـ 2 ص 230 ، والمقتضب للمبرد جـ 4 ص 258 ، والمفصل للزمخشرى ص 44 ، واللمع لابن جنى ص 171 ، وشرح المفصل لابن يعيش جـ2 ص 15 ، وهمع الهوامع للسيوطى جـ 1 ص 173 ، وأوضح المسالك لابن هشام جـ 4 ص 14 ، وشرح الألفية لابن الناظم ص 566 ، وشرح ملحة الإعراب للحريرى ص 180 ، والفوائد الضيائية الجامى ص 348 .

(3) انظر شرح الكافية للرضى جـ 1 ص 159 ، 160

(4) الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى جـ 1 ص 340 ، 341

(5) انظر : شرح المفصل لابن يعيش جـ2 ص 16 ، شرح الكافية للرضى جـ1 ص 16 ، وأوضح المسالك لابن هشام جـ4 ص 14 ، وشرح الألفية لابن الناظم ص 566 .

(ب) منع حذف حرف النداء فى أسلوب الاستغاثة

لايجيز النحويون أن تقول : لَموسى لِزيد.وأنت تريد: يا لَموسى لزيد لما يترتب على حذف حرف النداء من التباس لام الاستغاثة أى الداخلة على المستغاث به بلام الابتداء،ومن ثم لزم حرف النداء،وامتنع حذفه دفعاً للبس.وقد نصَّ على ذلك"سيبويه" فى معرض حديثه عن الاستغاثة قائلا :

" ولم يلزم فى هذا الباب إلا "يا"؛لئلا تلتبس هذه اللام بلام التوكيد كقولك لعمرو خير منك"[1] ويقول السيوطى:"وإنما امتنع حذف حرف النداء مع المستغاث به،لئلا يلتبس لامه بلام الابتداء ، فإنها مفتوحه مثلها ، ولايكفى الاعراب فارقاً ،لوجود اللبس فى المقصور ، والمبنى فى حالة الوقف "[2] .

(ج) منع حذف حرف النفى قبل المضارع المنفى بلا إذا أكد بإحدى النونين

ذكر النحاة أن المضارع المنفى،إذا استُقْبِلَ بالقسم،وجُرِّدَ من نون التوكيد جاز حذف نافيه كقوله تعالى: ﴿ تالله تفتؤ تذكر يوسف ﴾"[3]

والمراد لاتفتؤ .... ، ومن ذلك أيضا قول امرئ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولوقطعوا رأسى لديك وأوصالى[4]

والمراد : لا أبرح قاعداً .. ، وبناء على ذلك فإن قلت : والله يقوم زيد فالمراد : لايقوم زيد [5]

---

(1) الكتاب جـ 2 ص 218

(2) الأشباه والنظائر جـ 1 ص 341

(3) سورة يوسف آية 85

(4) ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الرابعة ، دار المعارف ص 32

(5) انظر : الأشمونى وبهامشه الصبان جـ3 ص 216 .

وقد علل"ابن يعيش" إجازتهم حذف النافى فى مثل هذه التراكيب بأن حذفه "لايُوقع لبساً،إذ لو كان إيجاباً لكان بحروفه اللازمة له،من اللام ونون التوكيد "[1].أى لو كان الإثبات مراداً لوجب تصدير الفعل باللام،وكسعه بالنون،ومن ثم فغيابهما دليل على عدم إرادة الإثبات،وإرادة عكسه،وهو النفى ، وعليه فلا لبس فى المعنى .

بناء على ماسبق يتبين أنَّ العلة المسوّغة للحذف هى أمن اللبس، فإن أدى حذف النافى إلى وقوع اللبس وجب ذكره ، وامتنع حذفه ، كما هو الحال إذا نُفِىَ المضارع بلا ، واستُقْبِلَ بالقسم وأُكِّدَ بإحدى النونين[2] نحو : والله لا أردنَّ سائلاً . وكقول الشاعر :

تالله لا يُحمدنّ المرءُ مجتنباً فعل الكرام وإن فاق الورى حسباً[3]

إذ لايجوز – فى مثل هذه التراكيب – حذف حرف النفى وإرادة معناه لما يترتب على ذلك من التباس المنفى بالمثبت [4]

المبحث السادس : العدول عن الأصل

تلجأ العربية–فى بعض التراكيب–إلى العدول عن الأصل لمنع وقوع اللبس،وسأقدم فيما يلى بعض صورالعدول عن الأصل لدواعى أمن اللبس .

---

(1) شرح المفصل لابن يعيش جـ 9 ص 97 . وانظر : همع الهوامع جـ2 ص 43 .

(2) تأكيد المضارع المنفى بالنون من المسائل الخلافية حيث ذهب الجمهور إلى منع ذلك فى السعة ، وأجازه ابن جنى.وابن مالك والرضى وغيرهم استدلالاً لوجوده فى الشعر الذى خرجه الجمهور على الضرورة . وفى النثر كقوله تعالى : " واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " الأنفال آية 25 وللجمهور عدة تأويلات لهذه الآية منها أن " لا " فيها ناهية لانافية والجملة محكية بقول محذوف صفة لفتنة وقيل غير ذلك . انظر : الأشمونى جـ3 ص 218 ، 219 .

(3) استشهد به عدد من النحاة ولم ينسبهم أحد منهم انظر : ارتشاف الضرب جـ2 ص 488 والأشمونى جـ3 ص 215 ، وشفاء العليل جـ2 ص 693 .

(4) انظر : ارتشاف الضرب جـ2 ص 488 .، وهمع الهوامع جـ2 ص 43 وشفاء العليل جـ2 ص 693

(أ) بناء اسم المفعول من الثلاثي المجرد على زنة " مفعول " .

الأصل في اسم المفعول من الثلاثي المجرد أن يكون على وزن "مُفْعَل" بضم الميم وفتح العين، لأنه يُشْتَقُّ من المضارع المبني للمجهول بقلب حرف المضارعة ميماً، إلا أنهم عدلوا عن هذا الأصل؛ لئلا يلتبس باسم المفعول من الثلاثي المزيد بالهمزة نحو "أكرم" إذ مضارعه المبني للمجهول هو "يُكرَمُ"، ومن ثم فاسم مفعوله هو "مُكْرَم" على وزن "مُفعَل" ولو جئنا باسم مفعول من "يُضرَبُ" على هذا الأصل لكان "مُضرَب" على وزن" مُفْعَل" أيضاً، وعندئذٍ يلتبس اسم المفعول من الثلاثي المجرد باسم المفعول من الثلاثي المزيد بالهمزة، نظراً لاشتراكهما في صيغة "مُفْعَل"؛ ومن ثم لجأ العرب إلى العدول عن الأصل تجنباً للبس، ولم يُؤتَ باسم المفعول من الثلاثي المجرد على صيغة "مُفْعَل" بل اختص بصيغة بديلة وهي صيغة "مَفْعُول" غالباً. وهي محولة عن صيغة "مُفْعَل" الأصلية. إذ يذكر الصرفيون أن اسم المفعول من الثلاثي المجرد نحو "ضرب" هو في الأصل "مُضرَب" بضم الميم وفتح الراء ثم فُتِحَ الميمُ حتى لايلتبس مفعول الثلاثي المجرد بمفعول باب الأفعال نحو "مُكْرَم"... فصار "مَضرَب" بفتح الميم والراء، ثم ضُمَّ الراء حتى لايلتبس المفعول بالموضع من الثلاثي المفتوح العين نحو "مَنْصَر"، ولو كسر التبس بالموضع من الثلاثي المكسور العين نحو "مَضْرِب"، ولو أُسكِنَ التقى ساكنان ، فتعيّن الضم فصار "مَضرُب" بضم الراء، ثم أشبع الضم أي ضمة الراء لانعدام "مَفْعُل" بضم العين في كلامهم[1] ومن ثم أصبحت الكلمة بعد إشباع ضمة العين على وزن "مفعُول". وهكذا يتضح أن العربية قد لجأت إلى العدول عن الأصل بل وإلى إحداث أكثر من تغيير في شكل الصيغة الأصلية لتجنب وقوع التداخل واللبس بين الصيغ .

---

(1) الفلاح شرح المراح لشمس الدين أحمد بن سليمان المشهور بابن كمال باشا ط . الحلبي ، ص 74.

(ب) النسب إلى عجز المركب الإضافي

الأصل الذى عليه القياس فى النسب إلى المركب الإضافى ، نحو :
عبد الدار وعبد القيس أن ينسب إلى الصدر دون العجز،أى أنهم يحذفون المضاف إليه وينسبون إلى المضاف،فيقولون فى النسبة إلى عبد الدار أو عبد القيس : عبدىّ،إلا أنهم خالفوا هذا الأصل وعدلوا عنه إذا كان المضاف إليه نكرة كما فى قولك :عبد مناف،وعبد قيس فإنهم يحذفون الصدرأى المضاف وينسبون إلى المضاف إليه فى هذه التراكيب فيقولون"منافىّ"، و"قيسىّ"،وعلة العدول عن الأصل هنا هى تجنب اللبس؛لأنهم لونسبوا"عبد مناف"وما شاكله على الأصل لقالوا:"عبدىّ"،وعندئذٍ يلتبس الأمر ولا يدرى أهو من قبيل المضاف إلى معرفة أم قبيل المضاف إلى نكرة ؟ ولذلك عُدِل عن الأصل منعاً للبس .

يقول " سيبويه " : " وسألت الخليل عن قولهم فى عبد مناف : " منافىّ " فقال : أمّا القياس فكما ذكرت لك ، إلا أنهم قالوا : " منافىّ " مخافة الالتباس "[1]. ويقول الفارسى" قالوا : فى عبد مناف : منافىّ، وكان القياس " عبدىّ " وكأنهم عدلوا عن القياس لإزالة اللبس "[2]

(جـ) بعض صور الإعلال والإبدال

تُعَدُّ ظاهرة الإعلال والإبدال نمطاً من أنماط العدول عن الأصل؛إذ يؤدى الإعلال والإبدال إلى ترك الأصل وإحلال غيره محله،وذلك باستبدال حرف بحرف،أو حركة بحركة،وقد يقع ذلك لعلة صوتية،أو تركيبية،وقد يكون لعلة دلالية كمنع اللبس كما هو الشأن مثلاً فى بعض أساليب الندبة،إذ الأصل فى المندوب أن يُكْسَعَ بمدة يسمونها ألف الندبة،وهى فتحة طويلة يؤتى بها

---

(1) الكتاب لسيبويه جـ3 ص 376،وانظر:التسهيل لابن مالك ص 26،وشفاء العليل جـ 3 ص 1017
(2) كتاب التكملة لأبى على الفارسى تحقيق د. كاظم بحر المرجان ص 254

لمطل الصوت وإطالته يقول " ابن يعيش" : " ولما كان يُسلك فى الندبة والنوح مذهبِ التطريب زادوا الألف آخرا للترنم كما يأتون بها فى القوافى المطلقة ، وخصوها بالألف دون الواو والياء ؛ لأن المد فيها أمكن من أختيها "[1] ومن ثم فإذا ندبت زيداً قلت : و ازيدا

وإذا ندبت ما أضيف إلى كاف المخاطب المذكر نحو:أخاكَ قلت : وا أخا كَا وجرياً على هذا الأصل فإذا ندبت ما أضيف إلى كاف المخاطبة المؤنثة نحو أخاكِ لزم أن تقول : وا أخا كَا

بفتح الكاف؛لمناسبة ألف الندبة،وعندئذٍ يقع المحذور،إذ تلتبس ندبة المضاف إلى ضمير المخاطبة المؤنثة بندبة المضاف إلى ضمير المخاطب المذكر،ولذلك عدل العرب عن هذا الأصل واستبدلوا ألف الندبة بياء بعد كاف المخاطبة المؤنثة لمنع اللبس قائلين: وا أخا كِى ، أو وا أخا كِيه بإضافة هاء السكت بعد الياء،يقول سيبويه"وتقول:وا غلامكيه إذا أضفت الغلام إلى مؤنث،وإنما فعلوا ذلك ليفرقوا بينها وبين المذكر إذا قلت وا غلامكاه "[2]

وعلى كل فقد قرر النحاة أنه إذا خِيف التباس المذكر بالمؤنث ، أو المفرد بالجمع فى بعض تراكيب الندبة ، وجب طرح ألف الندبة ، وقلبها حرفاً من جنس حركة ما قبلها منعاً للبس .

يقول"سيبويه":"هذا باب تكون ألف الندبة فيه تابعة لما قبلها إن كان مكسوراً فهى"ياء"،وإن كان مضموماً فهى"واو"،وإنما جعلوها تابعة ليفرقوا بين المذكر والمؤنث،وبين الاثنين والجمع،وذلك قولهم : وا ظهرَهُوه

---

(1) شرح المفصل لابن يعيش جـ 2 ص 13

(2) الكتاب لسيبويه جـ 2 ص 224 .

إذا أضفت الظهر إلى مذكر ، وإنما جعلتها واواً ، لتفرق بين المذكر والمؤنث إذا قلت واظهَرهَاه "[1] .

وهكذا يتبين من الأمثلة السابقة أن العدول عن الأصل يندرج ضمن الوسائل التى تستخدمها العربية لرفع اللبس .

المبحث السابع : الإلصاق : Affixation

وهويعنى إضافة بعض المورفيمات Morphemes على الكلمة لتحقيق دلالة معينة ، فهناك فرق بين كلمتى"محمد" و"محمّدىّ" ، وكذلك بين " محمَد"و"محمدين"،و"قائم"و" قائمة"،و هو فرق ناشئ عن إضافة مورفيمات النسب،والتثنيه،والتأنيث إلى الكلمة غيرالمعلمة Unmarked،مما يؤدى إلى تغيير دلالتها بعد الإلصاق ، أى بعد دخول المورفيم عليها .

وقد أشار"ابن الحاجب"إلى هذه اللواصق ذاكراً أنها لا تعد" كلمة" بخلاف حروف المعانى كـ"اللام"و"إلى"و"من"وذلك لأن الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد ،وهذه اللواصق ليس لها معنى حال انفصالها،وإنما يظهر معناها عند اتصالها،يقول"ابن الحاجب":"نون الوقاية وأشباهها مثل حروف المضارعة وشبهها ليست بكلمة،وإنما هى كالألف فى ضارب،والميم فى مخرج،والألف فى سكرى و غضبى ونحو ذلك،وقد تخيل كونَ حرف المضارعة كلمة بعضُ المتأخرين وهو غلط،والفرق بين هذه الحروف وأشباهها مما ليس بكلمة ، وبين الحروف التى هى كلمات،أن هذه لا تدل على المعنىالذى قُصِدبزيادتها له إلا بسبك ما انضم إليها معها حتى صارت كالجزء منها ... وأما الحرف الذى هو"كلمة"فتجدماينضم اليه مستقلاًفى دلالته قبله،وتجده أيضا موضوعاً

---

(1) الكتاب لسيبويه جـ 2 ص 224

لذلك بمُجَرَّده ،وإن اشتُرِط فى استعماله ذِكر متعلقه"[1]

ويمكن تقسيم اللواصق التى تدخل علىالكلمة باعتبارمكانها إلىثلاثةأنواع[2]

1ـ لاصقة سابقة Prefix

وهى التى تقع فى صدر الكلمة،ومن أمثلتها فى العربية " أل " التعريفية ، وحروف المضارعة ، والحروف الدالة على الاستقبال كالسين وسوف .

2- لاصقة لاحقة Suffix

وهى تلحق عجز الكلمة ، ومن قبيل ذلك فى لغتنا ياء النسب وعلامة التثنية والجمع ، والتأنيث ... الخ .

3ـ لاصقة بينية Infix

وهى التى تدخل فى ثنايا الكلمة ومن أمثلتها ياء التصغير، ونون الوقاية وغير ذلك .

وتختلف وظيفة " اللواصق " من لغة إلى أخرى ، فهى تستخدم فى الإنجليزية مثلاً كوسيلة من وسائل الاشتقاق وتوليد الكلمات فمثلاً :

كلمة Generate تدخل عليها اللاحقة"Ion فتولد كلمة Generation وكذلك تدخل السابقة Un على كلمة Happy فتولد كلمةUnhappy .. الخ .

وتقوم اللواصق فى اللغة العربية بتأدية مجموعة من الوظائف الدلالية، حيث تتحدد دلالات التثنية ، والجمع ، والنسب ، والتعريف ، والتأنيث من خلال اللواصق ، وتشير حروف " أنيت عند دخولها على الفعل إلى الزمن المضارع ولذا سميت " حروف المضارعة " وكذلك تشير سوف والسين إلى الاستقبال وتعد اللواصق إحدى الوسائل التى استُخْدِمَت فى العربية لمنع

---

(1)الأمالى النحوية،لابن الحاجب،تحقيق هادى حه، د،ط.مكتبةالنهضة الطبعةالاولى 1985،جـ4 ص 106

(2) See : Matthews, P . H . (1991) Morpho ogy , Second Edition Cambridge University Press . p . 131

وقوع اللبس والاختلاط يؤكد ذلك أن كلمة " قائم " وصف لمذكر ، فإن وصفت بها مؤنثاً قلت " قائمة "،ولو سقطت علامة التأنيث من"قائمة" لأصبح لفظ " قائم " مشتركاً بين المذكر والمؤنث ، ومن ثم يقع اللبس والاختلاط بينهما ، ولذا ذكر ابن يعيش أن " الأصل فى كل مؤنث أن تلحقة علامة التأنيث للفرق بين المذكر والمؤنث نحو : " قائم وقائمة ، وامرئ وامرأة وذلك لازالة الاشتراك بين المؤنث والمذكر "[1] .

ورغم ذلك فإن أمِن اللبس جاز حذف علامة التأنيث ، كما هو الحال فى بعض الصيغ ، نحو: فعول ، ومفعال ، وفعيل بمعنى مفعول ، وهى صيغ يصفها النحويون بأنها مما يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقولون : رجلٌ قتيل وامرأة قتيل . والأصل امرأة قتيلة ، وإنما ساغ ترك علامة التأنيث فى قولهم " امراة قتيل" نظراً لوضوح المعنى وأمن اللبس ، لأن قولهم " امرأة " يصرف معنى التأنيث على وصفه" قتيل"،وعندئذ يكون" قتيل " فى مقام " قتيلة " ولكن إن أدى ترك لاصقة التأنيث إلى وقوع اللبس بين المذكر والمؤنث ، وجب عندئذ ذكرها كما هو الشأن فى حالة عدم ذكر الموصوف نحو : رأيت قتيلة العرب

إذ لايجوز عندئذ أن تقول : رأيت قتيل العرب

وأنت تعنى قتيلةالعرب؛لما يترتب على ذلك من وقوع اللبس بين المذكر والمؤنث يقول ابن يعيش"وقالوا:امرأة جريح وقتيل،فهذه الأسماء إذاجرت على موصوفها لم يأتوا فيها بـ"الهاء"وإذا لم يذكروا الموصوف أثبتوا الهاء خوف اللبس نحو رأيت صبورة ومعطارة وقتيلة بنى فلان"[2]

---

(1) شرح المفصل لابن يعيش جـ 5 ص 96

(2) شرح المفصل لابن يعيش جـ 5 ص 102

وما ذكرناه عن لاصقة التأنيث ودورها في رفع اللبس ينطبق على غيرها من اللواصق ، فلوحذفت اللاصقة " ال " من المعرف بها لأدى ذلك إلى إلتباس المعرفة عندئذ بالنكرة ، وكذلك يلتبس المفرد بالمثنى والجمع ، ويلتبس المنسوب بغير المنسوب ،حالة حذف لواصق التثنية والجمع والنسب من كلماتها مما يؤكد أن لهذه اللواصق دوراً هاماً في تحديد دلالة الكلمة ومنع التباسها بغيرها .

ثامناً : التخصيص

عَرَّفه" ابن الحاجب " بأنه " قصر العام على بعض مسمياته "[1] وعرفه غيره بأنه "إخراج بعض ما يتناوله الخطاب عنه [2] وهو من الوسائل التى اعتمدت عليها العربية لرفع اللبس كما يتضح مما يلى :

1- تخصيص اللفظ العام :

يتم تخصيص اللفظ العام بمجموعة من الوسائل أو المخصصات، وتكمن أهمية التخصيص أحياناً فى إزالته للإبهام ودفعه للبس،وسنقدم بعض الأمثلة التى توضح ذلك :

أ- التخصيص بالنعت :

يتم تقييد اللفظ العام بالصفة لتحديد المقصود،ومنع التباسه بغيره،نحو:

صاح زيد صيحة واحدةِ

فـ " فصيحة " اسم عام مشترك يقع على " المصدر " ويقع على " اسم المرة " ومن ثم جاءت الصفة " واحدة " مقيدة لشيوع الموصوف وناقضة

---

(1) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، لمحمد بن على الشوكانى ، الطبعة الأولى ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ص 142 .

(2) المحصول فى علم أصول الفقه ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازى ، ط . دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1988 .، جـ1 ص 396 .

لاشتراكه وذلك بقصره على اسم المرة حالة وصفه ، ولو حذفت الصفة لالتبس اسم المرة بالمصدر[1] .

وقد أشار "سيبويه"إلى قيمة التخصيص بالوصف وأهميته لرفع اللبس بقوله " وقد تقول كان زيد الطويل منطلقاً إذا خفت التباس الزيـدين "[2]

(ب) التخصيص بالتوكيد :

يعد التخصيص ودفع التوهم واللبس من أهم الوظائف الدلالية التى يقوم بها التوكيد المعنوى ، فهناك فرق دلالى كبير بين التركيبين :

قتل الخليفةُ اللصَّ

وقتل الخليفةُ نفسُه اللصَّ

إن دلالة المثال الأول يعتورها احتمالان :

الأول : أن المراد : قتل عاملُ الخليفةِ اللصَّ ، إذ يُستبعد أن يقوم الخليفة نفسه بتنفيذ الأحكام ، وعليه فالفاعل فى الأصل مركب إضافى هو " عامل الخليفه " ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أى أن احتمالية المجاز والتوسع فى المثال قائمة واردة .

الثانى :أن الخليفةَ هو الفاعل الحقيقى،وهو الذى نفذالحكم بيده،ولا شك أن تعدد الاحتمالات مدعاة للابهام واللبس،وهنا تظهر قيمة التوكيد المعنوى فى المثال الثانى،لأنه نصّ على أن الخليفةَ مارس تنفيذ العقوبة بنفسه،ومن ثم يكون التوكيد هنا مخصصاً ورافعاً لتوهم الاضافة وما يترتب على ذلك من الوقوع فى دائرة اللبس .

---

(1) شرح الشافية للرضى جـ 1 ص 179

(2) الكتاب لسيبويه جـ 1 ص 48.

(جـ) التخصيص بالبدل :

يؤدى البدل أيضاً وظيفة دلالية تتمثل فى التخصيص ورفع اللبس أحياناً . يؤكد ذلك أن تركيباً مثل : جاءنى أخوك

قد يكون له عدة احتمالات دلالية :

(1) أن المراد : جاءنى كتابُ أخيك،ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أى أن احتمالية المجاز قائمة .

(2) أن المراد جاءنى أخوك نفسه، وهذا المعنى يعتوره الابهام أيضاً ، إذ ربما كان للمخاطب عدة أخوة ، ومن ثم يطرأ على ذهنه سؤال هو :

أى اخوتى يقصد المتكلم ؟ ولكن إذا خُصِّص الفاعل فى هذا التركيب بواسطة البدل نحو : جاءنى أخوك زيد تحدد المعنى ، وارتفع اللبس ، وزالت احتمالية المجاز ، ولذا قال " ابن يعيش": " اعلم أنه قد اجتمع فى البدل ما افترق فى الصفة والتأكيد ، لأن فيه إيضاحاً للمبدل ، ورفع لبس كما كان ذلك فى الصفة ، وفيه رفع المجاز وإبطال التوسع الذى كان يجوز فى المبدل منه "[1] .

2 ـ تخصيص الحكم النحوى

تلجأ العربية أحياناًإلى تخصيص الحكم النحوى وذلك بقصره على تراكيب معينه أو كلمات محددة ؛ منعاً للبس كما يتضح من خلال النقاط التالية :

(أ) اختصاص لفظى " أب " و " أم " بدخول التاء عليهما فى النداء . .

يخص النحويون لفظى أب وأم فى النداء بدخول التاء عليهما نحو :

يا أبت ، ويا أمت

(1) شرح المفصل لابن يعيش جـ 3 ص 66

ولا يجيزون دخول التاء على غير هذين اللفظين نحو"عم" و "خال" فلايجوز: يا عمة أو ياخالة . وأنت تريد : ياعم ، وياخال ، لما يترتب على ذلك من التباس المذكر بالمؤنث ، لأن للفظ " عم " و " خال " مؤنثاً من لفظه ، ولذا امتنع دخول التاء عليه ، وقُصِرَ ذلك على لفظى " أب " و " أم " ، نظراً لأمن اللبس معهما ؛ إذ لامؤنث لهما من لفظهما ، ومن ثم فسبب قصر الحكم هنا على ألفاظ معينة دون غيرها يعود إلى منع وقوع اللبس [1] .

(ب) ترخيم بعض الألفاظ المؤنثة على لغة من ينتظر ليس غير

ذكر النحاة أن للعرب فى الترخيم مذهبين هما : لغة من ينتظر ، ولغة من لاينتظر . والترخيم على المذهبين جائز سائغ ، فإذا رخمت " عامرا " قلت : يا عامِ . بكسرالميم جرياً على لغة من ينتظر ويسمونها لغة النقص، ويجوز: يا عامُ . بالبناء على الضم ، جرياً على لغة من لاينتظر ، ويسمونها لغة التمام .

والترخيم على المذهبين جائز مقبول مالم يؤد إلى لبس، فإن وقع اللبس قُيّد هذا الجواز كما هو الشأن عند ترخيم بعض الأعلام المؤنثة المختومة بتاء التأنيث فلو سُمّيَتْ امرأة شيخة أو حارثة أو مسلمة وجب ترخيمها على لغة من ينتظر ليس غير نحو : يا شيخَ ، ويا حارثَ ، ويامسلمَ بحذف التاء وفتح الحرف الأخير،ولا يجوز ترخيم تلك الأعلام المؤنثة فى هذه الحالة على لغة التمام،أى لغة من لاينتظر فلايجوز: يا شيخُ أو ياحارثُ أو يامسلمُ ؛ لما يترتب على ذلك من التباس المذكر غير المرخم بالمؤنث المرخم على لغة التمام، ومن ثم اختصت مثل هذه الكلمات بحكم نحوى خاص وهوالترخيم على لغة من ينتظر ليس غير حيث تشير فتحة الحرف

---

(1) انظر : الأشباه والنظائر للسيوطى جـ 1 ص 338 .

الأخير عندئذٍ إلى أن الكلمة مرخمة، وأن لها بقية محذوفة، ومن ثم يرتفع اللبس الواقع عند ترخيمها على لغة التمام .

يقول سيبويه :" اعلم أنه لايجوز أن تحذف"الهاء" وتجعل البقية بمنزلة اسم ليست فيه" الهاء"، إذا لم يكن اسماً خاصاً غالباً من قِبَلِ أنهم لو فعلوا ذلك التبس المؤنث بالمذكر،وذلك أنه لايجوز أن تقول للمرأة : ياخبيثُ أقبلى.وإنما جاز فى الغالب،لأنك لاتُذَكّرمؤنثاً ولا تؤنث مذكراً "[1]

يتضح مما سبق أن اللغة العربية قد تستعين بتخصيص الألفاظ العامة وبعض الأحكام النحوية لرفع اللبس وإزالة الإبهام فى بعض التراكيب .

الخاتمـــة :

" اللبس " و " الغموض " مصطلحان يستخدمهما النحويون بمعنى واحد ، وهو الاشتباه والاختلاط ، وقد خص بعض اللغويين اللبس بالاختلاط الناشئ عن تعدد دلالة التركيب ، والغموض بالاختلاط الناشئ عن تعدد الدلالة المعجمية للألفاظ ، ومن ثم فاللبس خلل يؤدى إلى وقوع الاختلاط والتداخل فى المعنى ، وعدم القدرة على تحديد المراد من الكلام ، ولذلك حرصت اللغة العربية على رفعه وإزالته حرصاً على الإبانه والوضوح إلا فى بعض المواطن التى يكون " اللبس " فيها مطلوباً لتحقيق غرض ما كما هو الشأن فى بعض الأساليب والصور البلاغية .

للبس أسباب تفصيلية عديدة ترجع كلها بصفة عامة إلى سببين رئيسين هما تعدد الدلالة المعجمية للالفاظ ، وتعدد دلالة التركيب ، ولذا قسم بعض اللغويين اللبس إلى نوعين هما :

اللبس المعجمىLexical ambiguityواللبس النحوىGrammatical ambiguity

---

(1) الكتاب جـ2 ص 251 .

اعتمدت العربية على مجموعة من الوسائل لرفع اللبس والغموض وقد اهتم البحث بتتبع هذه الوسائل وتفصيلها حيث جاءت كما يلى :

أولاً : - العلامة الإعرابية

تقوم العلامات الإعرابية بتحديد الوظائف النحوية للألفاظ المُعْرَبة المتحملة للحركة الإعرابية ، وعندئذ تتحدد غالباً الأدوار الدلالية التى تقوم بها هذه الكلمات ، مما يؤدى إلى منع اللبس وانتظام المعنى ووضوحه .

ثانيا : - السيـــــــاق

يقوم السياق بدور هام فى تحديد دلالة كثير من التراكيب وذلك من خلال تقديمه للمعلومات اللازمة التى تَخرُج عن دائرة منطوق النص ، ولكنها تؤثر فى دلالته بحيث لا يتحدد المعنى المراد إلا فى ضوئها ، حيث يظهر بجلاء قيمة السياق فى تحديد دلالة المشترك ، وتحديد الزائد ، والمحذوف وما شاكل ذلك مما يعين على إبانة المعنى ورفع اللبس.

ثالثا : - تقييد الترتيب

تلجأ العربية إلى فرض بعض القيود على ترتيب المكونات داخل بعض التراكيب ؛ لأسباب دلالية أو تركيبية ، وذلك منعاً لوقوع اللبس ، كما هو الشأن فى تحديد ترتيب المكونات النحوية التى لا تتحمل الحركات الإعرابية كالأسماء المقصورة أو المبنية ، ومن ثم لا يُعْرَف الفاعل من المفعول إلا من خلال الترتيب ، وكما هو الشأن فى تقييد الترتيب لمنع عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً وغير ذلك دفعاً للبس ورغبة فى البيان .

رابعا :- الإقحـــــــام

تستعين العربيةبإقحام بعض العناصرمثل:"ضميرالفصل"،و"نون الوقاية" و"لا"النافية و"من"الجارة وغيرذلك من العناصرالتى يتم إقحامها داخل بعض التراكيب منعاً للتداخل والالتباس كماهوموضح فى ثناياهذا البحث .

خامسا : - منع الحـــذف

أحيانــاً تُوجِب العربيـة الذِّكْرَ،وتفـرض قيـوداً علـى الحـذف وتمنعــه حرصاً علىَ سلامـة المعنى من اللبس والاختلاط عند الحذف،كما هـو الشـأن مثـلاً فـى منــع حـذف حـرف النـداء فـى أسـلوب الاسـتغاثـة،لئـــلا تلتبــس لام الاستغاثة بلام التوكيد،وهكذا يُمنَع الحذف فى كل موقع يترتب على الحـذف فيه لبس أو غموض .

سادسا : - العدول عن الأصل

تستعين العربية لرفع اللبس أحياناً بـترك الأصـل والعـدول عنـه،كمـا يتضح فى بعض صور الإعـلال والإبـدال،وصياغـة بعض أنـواع المشـتقات وغير ذلك مما هو موضح فى موضعه من هذا البحث .

سابعا : - الإلصــــــاق

تستعمل العربية مجموعة من اللواصـق السـابقة أو اللاحقـة للدلالـة علـى مجموعـة مـن المعــانى مثــل : لواصــق التثنيــة،والجمــع،والتــأنيث، والتعريف،وغير ذلك حيث تقوم هذه اللواصق بدور فعال فى تحديد المعنـى، وتقليل الشيوع، ومنع الاشتراك واللبس .

ثامنا : - التخصــيص

وهو من الوسائل الهامة التى تستعين بها العربية لمنع الاختلاط فـى المعانى،حيث تستخدم مجموعة من المخصِّصَات مثل النعت،والتوكيد، والبدل ،لتخصيص العام وتحديده،أو لتقييـد المطلـق،وكذلـك تلجـأ العربيــة إلــى تخصيص بعض الأحكام النحوية وقصرها على تراكيب معينة دفعاً للبس

وهكذا استعانت العربية بهذه الوسائل المختلفة لرفع اللبس والإبهام حرصـاً على سلامة التراكيب ووضوح المعنى .

أنماط اللبس فى التراكيب فى ضوء التراث النحوى

النمـــــــــط	المثـــــال	وسيلة رفع اللبس	الصفحة
التباس الفاعل بالمفعول	ضرب زيدٌ بكرٌ	العلامة الإعرابية	٢٥٦
التباس التعجب بالنفى والاستفهام	ما أحسنْ زيدْ	العلامة الإعرابية	٢٥٦
الالتباس الناشئ نتيجة للتعدد الدلالى	رأيت عيناً	السياق	٢٥١
	تزوج هنداً أوأختها	السياق	٢٥٩
التباس الحال من الفاعل بالحال من المفعول	ضربت محمداً راكباً	السياق	٢٥٢
التباس الفاعل بالمفعول	أعجبنى ضربُ الضارب زيداً عبد الله	السياق	٢٥٢
التباس اسم المفعول باسم الزمان والمكان والمصدر الميمى	ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر	السياق	٢٦٠
التباس اسم الفاعل باسم المفعول	مُرتاد – مختار	السياق	٢٦٠
التباس المبنى للمعلوم بالمبنى للمجهول	خِيدَ زيدٌ يقول	السياق	٢٦١
التباس الموصوف بغيرالموصوف	سِيرَ عليه ليل	السياق	٢٦٢
التباس الحرف الزائد بالأصلى	لئلا يعلم أهل الكتاب	السياق	٢٦٣
	مامنعك ألا تسجد	السياق	٢٦٤
التباس المبتدأ بالخبر	زيدٌ أخوك	تقييد الترتيب	٢٦٦
التباس المبتدأ بالفاعل	زيدٌ قام وقام زيد	تقييد الترتيب	٢٦٨
التباس الفاعل بالمفعول	ضرب موسى عيسى	تقييد الترتيب	٢٦٩
الالتباس الناشئ عن الإضمار قبل الذكر	صاحبها فى الحديقة	تقييد الترتيب	٢٦٩
التباس الخبر بالصفة	مالٌ لى	تقييد الترتيب	٢٧٠
التباس " أنْ " المفتوحة بـ "إنْ " المكسورة	فى ظنى أنك صادق	تقييد الترتيب	٢٧١
الالتباس نتيجة لعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة	جزى ربه عنى عدى ابن حاتم	تقييد الترتيب	٢٧٢
التباس الخبر بالصفة	زيدٌ القائم	الإقحام	٢٧٤

النمط	المثال	وسيلة رفع اللبس	الصفحة
التباس الاسم بالفعل	ضربى – ضربنى	الإقحام	٢٧٥
التباس ياء المخاطبة بياء	أكرِمِى – أكرِمِنِى	الإقحام	٢٧٦
المتكلم			٢٧٧
التباس المنفى بالمثبت	ماجاءنى زيدٌ وعمرو	الإقحام	٢٧٧
التباس التمييز بالحال	لله دره فارساً	الإقحام	٢٧٨
التباس اسم الإشارة المنادى	هذا أقبل	منع الحذف	٢٧٩
بغير المنادى			
التباس لام التوكيد بلام	لَموسى لِزيد	منع الحذف	٢٨٠
الاستغاثة			
التباس المنفى بالمثبت	والله يقوم زيد	منع الحذف	٢٨٠
	والله لأردن سائلاً		٢٨١
التباس اسم المفعول من الثلاثى	مُكْرَم – مُضْرَب	العدول عن الأصل	٢٨٢
المجرد باسم المفعول من			
الثلاثى المزيد بالهمزة			
التباس المضاف إلى معرفة	عبدىّ	العدول عن الأصل	٢٨٣
بالمضاف إلى نكرة عند النسب	عند النسب إلى عبد		
	القيس وعبد مناف		
التباس المندوب المضاف إلى	وا أخاكا	العدول عن الأصل	٢٨٤
ضمير المخاطبة المؤنثة			
بالمندوب المضاف إلى ضمير			
المخاطب المذكر			
التباس المذكر بالمؤنث	قاتم –قتيل – جريح	الإلصاق	٢٨٧
التباس المصدر باسم المرة	صاح زيدٌ صيحة	التخصيص	٢٨٨
التباس الحقيقة بالمجاز	قتل الخليفة اللص	التخصيص	٢٨٩
	جاءنى أخوك	التخصيص	٢٩٠
التباس المرخم المذكر بالمؤنث	يـ يخ – يامسلم	التخصيص	٢٩١

أولاً :- المصادر والمراجع العربية

الأزهـــــرى خالد بن عبد الله . ت 905 هـ

● شرح التصريح على التوضيح ، المطبعة الأزهرية الطبعة الأولى 1313 هـ

الأشـــــمونى نور الدين على بن محمد بن عيسى .ت 929 هـ

● شرح الأشمونى على ألفية بن مالك ط . عيسى الحلبى

امرؤ القيس ● ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط . دار المعارف 1984 .

الجـــــامى نور الدين عبد الرحمن ت 898 هـ .

● الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب تحقيق د. أسامة الرفاعى ، ط . وزارة الأوقاف العراقية 1403 هـ 1983 م .

الجـــرجانى عبد القاهر ت 471 هـ .

● المقتصد شرح الايضاح تحقيق د . كاظم بحر المرجان ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية 1982 م

ابن جـــــنى أبو الفتح عثمان . ت 392 هـ

● الخصائص تحقيق محمد على النجار ط . دار الهدى للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية .

● المنصف شرح كتاب التصريف للمازنى تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط . عيسى الحلبى الطبعة الأولى 1954.

● اللمع فى العربية تحقيق حامد المؤمن ط . عالم الكتب مكتبة النهضة القومية الطبعة الثانية 1985 .

ابن الحاجـب أبو عمر جمال الدين عثمان بن عمر بن يونس الكردى ت 646 هـ

● الأمالى النحوية ، تحقيق هادى حسن حمودى ، ط. عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الأولى 1985

حجـــــازى د . محمود فهمى .

● علم اللغة العربية مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية نشر مكتبة غريب .

الحـــــريرى أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان ت 516 هـ .

● شرح ملحة الإعراب، تحقيق د . أحمد محمد قاسم، الطبعة الأولى 1982 م

أبو حيان محمد بن يوسف ت 754 هـ

● ارتشاف الضرب من لسان العرب تحقيق وتعليق مصطفى أحمد النماس الطبعة الأولى 1984 م .

الـــــرازى فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ت 606 هـ .

● المحصول فى علم أصول الفقه،ط.دارالكتب العلمية-بيروت الطبعة الأولى 1988م

الرضـــــى	رضى الدين محمد بن الحسن الإستراباذى 686 هـ.

● شرح كافية ابن الحاجب ، ط . دار الكتب العلمية بيروت .

● شرح شافية ابن الحاجب ط . دار الكتب العلمية بيروت

الــزجاجـى	أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي . ت 337 هـ

● كتاب الجمل فى النحو تحقرق د . على توفيق الحمد ، ط / دار الأمل

● تفسير رسالة أدب الكتاب تحقيق د . عبد الفتاح سليم ط .معهد المخطوطات العربية القاهرة 1993 .

الزركشـــــى	بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ت 794 هـ .

● البرهان فى علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط . مكتبة دار التراث – القاهرة (د . ت) .

الزمخشــرى	أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت 538 هـ

● المفصل فى علم العربية ، ط . دار الجيل ، بيروت الطبعة الثانية .

السلسيلــــى	أبو عبد الله محمد بن عيسى السلسيلى ت 770 هـ .

● شفاء العليل فى إيضاح التسهيل تحقيق د . الشريف عبد الله الحسينى البركاتى ، ط . المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة الطبعة الأولى 1986 م .

السهيلــــــى	أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى ت 581 هـ .

● نتائج الفكر فى النحو تحقيق د . محمد ابراهيم البنا ط . دار الاعتصام .

سيبويـــــه	أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت . 180 هـ

● الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979 الطبعة الثانية .

السيـــوطى	جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت 911 هـ .

● الأشباه والنظائر فى النحو الطبعة الأولى 984 ، دار الكتب العلمية بيروت

● همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية ط .دار المعرفة بيروت .

● المزهر فى اللغة وأنواعها تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البيجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط . دار التراث .

الشوكانــــــى	محمد بن على محمد الشوكانى ت 1255 هـ .

● إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،طبعة مصطفى البابى الحلبى

الصبــــــان	محمد بن على .ت 1206

● حاشية الصبان على الأشمونى ، ط . عيسى الحلبى .

ابن عصفـور	على بن مؤمن بن محمد الأشبيلى ت 669 هـ.

●المقرب تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى مطبعة العانى بغداد

● الضرائر تحقيق ابراهيم محمد نشر دار الأندلس بيروت الطبعة الثانية 1982

ابن عقيـــل عبد الله بن عقيل العقيلى ت 769 هـ.

● شرح بن عقيل تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية بيروت

العكبـــــرى · أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ت 616 هـ

● اللباب فى علل البناء والإعراب جـ 1 تحقيق غازى مختار طليمات ، و جـ 2 تحقيق د . عبد الإله نبهان الطبعة الأولى 1995 م . دار الفكر دمشق .

الفارســـــى أبو على الحسن بن أحمد .ت 377 هـ .

● التكملة تحقيق كاظم بحر المرجان ، ط . العراق 1981 م .

الفارقـــــى أبو القاسم سعيد بن سعيد الفارقى ت 391 هـ .

● تفسير المسائل المشكله فى أول المقتضب تحقيق د . سمير أحمد معلوف ط . معهد المخطوطات العربية القاهرة 1993 م .

ابن كمال باشا شمس الدين أحمد بن سليمان ت 940 .

● الفلاح شرح المراح . الطبعة الثالثة 1959 م مصطفى البابى الحلبى .

ابن مالـــــك محمد بن عبد الله بن مالك الأنصارى ت 672 هـ .

● عمدة الحافظ وعدة اللافظ تحقيق د . عبد المنعم هريدى . طبعة الأمانة الطبعة الأولى 1975 .

● تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تحقيق محمد كامل بركات نشر دار الكتاب العربى 1378 هـ 1967 م .

● ألفية بن مالك فى النحو والصرف طبعة مكتبة القاهرة

المـــــــبرد أبو العباس محمد بن يزيد ت 285 هـ .

● المقتضب تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ط . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية 1979 .

المجاشعى أبو الحسن على بن فضال المجاشعى .ت 479 هـ

● شرح عيون الإعراب تحقيق د عبد الفتاح سليم ط.دار المعارف،الطبعة الأولى 1988 .

ابن منظـــور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ت 711 هـ .

● لسان العرب طبعة مصورة عن طبعة بولاق .

ابن الناظـــم أبو عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك ت 686 هـ .

● شرح ألفية ابن مالك تحقيق عبد الحميد السيد عبد الحميد ط . دار الجيل بيروت

ابن النجـــار محمد بن أحمد بن على الفتوحى الحنبلى ت 972 هـ .

● شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ، تحقيق د . محمد الزحيلى ، د . نزيه حماد ، نشر مكتبة العبيكان بالرياض ، 1993 .

ابن هشـــام أبو محمد بن جمال الدين بن يوسف الأنصارى ت 761 هـ .
● أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط . دار الجيل الطبعة الخامسة 1975 .
● مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب تحقيق محمد محيى الدين ط . بيروت .
وجيـــــــه د . مأمون عبد الحليم .
● ظاهرة الفصل فى الجملة العربية دراسة تحليلية بين التراث والدرس اللغوى الحديث رسالة دكتوراة بكلية دار العلوم .
ابن يعيـــش موفق الدين يعيش بن على بن محمد بن يعيش النحوى ت 643 هـ .
● شرح المفصل ط . عالم الكتب بيروت .

ثانياً :- المصادر والمراجع الأجنبية :

Akmajian A , and .Heny,F (1975) An Introduction to the Principles of Transformational Syntax .MIT Press,Cambridge, Mass

Blake B . J . (1994) Case , Cambridge University Press Great Britain .

Crystal D. (1980) A Dictionary of Linguistics and Phonetics . Blakwell publishers , Cambridge , Mass .

Crystal D. (1987) , The Cambridge Encycolopedia of Language , Cambridge University Press .

Empson W. (1961) Seven Types of Ambiguity , Penguin Books Ltd England

Lyons J. (1995) Linguistic Semantics An Introduction , Cambridge University Press .

Matthews P . H . (1991) Morphology , Second edition . Cambridge University Press .

تصويبان ضروريان

١ - ترتب على اختصار اسم (ابن السيرافي) فى البحث الأخير من العدد الأول نوع من اللبس ، الاسم الكامل : أبو محمد يوسف بن أبى سعيد السيرافى، وهو صاحب كتاب : شرح أبيات سيبويه ، تحقيق د. محمد على سلطانى - دار المأمون للتراث، دمشق - ١٩٧٩م.

مجدى إبراهيم يوسف

٢ - كتاب بروكلمان الكبير فى النحو المقارن للغات السامية عنوانه الألمانى :

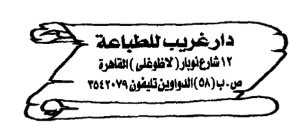
C. Brockelmann, Grundriss der
Vergleichenden Grammatik der
Semitischen Sprachen

واختصار هذا العنوان :

Brockelmann, Grundriss

عمر صابر عبد الجليل

رقم الإيداع ٦٨١٥


دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

